

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثاني

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

2

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[10] ـ أخبار مجنون بني عامر ونسبه[1]

[نسبه وتصحيح اسمه]

هو ، على ما يقوله من صحَّح نسبَه وحديثَه ، قَيْسٌ ، وقيل : مَهْدِيّ ، والصحيح [أنه] قيسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن عُدَس[2] بن ربيعة بن جَعدة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ ليلى صاحبته فيه : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْري والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

وأخبرني الحسن بن عليّ[3] قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مَن لا أُحْصِي يقول : اسم المجنون قيسُ بن الملوّح .

[كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً]

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ ، وأخبرني الجَوهريّ عن عمر بن شبَّة أنّهما سمِعا الأصمعيّ يقول ، وقد سُئل عنه : لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لُوثة كلُوثة أبي حَيَّة النُّمَيريّ .

[اختلاف الرواة في وجوده]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّةَ عن الحزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عَباية قال : سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه .

وأخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْب[4] قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرِف المجنون وتروِي من شعره شيئاً ؟ قال : أَوَقد فرَغنا من شعر العقلاء حتى

---

1 مجنون بني عامر : لا فائدة في الإحالة على مصادر لترجمته ، ففي كتب أخبار العشّاق مثل : مصارع العشّاق وتزيين الأسواق ، وكتاب الشوق والفراق ، لابن المرزبان ، وفي الزهرة لابن داود الظاهريّ وخزانة الأدب 4 : 229-233 وغيرها أخبار وأشعار له ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج ، وتلك مغامرة لا تحمد آثارها في الدارسين (طبعة مكتبة مصر ، القاهرة) على أنّه حاول ـ رحمه الله ـ استقصاء المراجع في تخريج الشعر وإثبات الروايات المختلفة . وقال الجاحظ (البيان والتبيين 4 : 22) وأمّا مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ ، وهو الذي يقال له : مجنون بني عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجنّنهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة . وقال أيضاً : ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي ، وهو مجنون بني جعدة .

2 ل : بن قيس بن عدي .

3 ل : وأخبرني الحرمي .

4 ابن دأب اسمه عيسى بن يزيد .

نَروي أشعار المجانين ؟ إنّهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنّما أَعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنّما يكون هذا في هذه اليَمانية الضِّعاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولُها ، الصَّعْلَةِ[1] رؤوسها ، فأمّا نزار فلا .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : رجلان ما عُرِفا في الدنيا قَطُّ إلاّ بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنّما وضَعهما الرُّواة .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعد عن الحِزاميّ قال : ولم أسمعه من الحزاميّ فكتبتُه عن ابن أبي سعد قال أحمد : وحدّثنا به ابن أبي سعد عن الحزاميّ قال حدّثنا عبد الجَبَّار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مُساحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال : سعيتُ[2] على بني عامر فرأيتُ المجنون وأُتِيتُ به وأنشدني .

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفشُ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال : المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيس بن مُعاذ من بني عامر ، ثم من بني عُقَيل ، أحد بني نُمَير بن عامر بن عُقَيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِيّ بن المُلوّح من بني جَعْدَة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعَة .

[قيل إنّ فتى من بني أميّة وضع حديثه وشعره ونسبه إليه]

وأخبرني عمِّي عن الكُرانيّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال[3] : حُدِّثتُ أنّ حديث المجنون وشعرَه وضعه فتًى من بني أميَّة كان يهوى ابنة عمّ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسَبها إليه .

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحَسن الأَسَديّ قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعاذٍ أحدُ بَني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وأخبرني أبو سعد الحسن بن عليّ بن زكريّا العَدَوِيّ قال حدّثنا حَمَّاد[4] بن طالوت بن عبّاد : أنّه سأل الأصمعيّ عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لُوثةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها ليلى ، واسمه قيس بن مُعاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعاذ .

---

1 رأس صعل : صغير .
2 سعى على القوم : عمل ساعياً أي جابياً للزكاة .
3 انظر الخزانة : 4 : 229 .
4 عثمان بن طالوت .

وذكر شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النَّحويّ أنّ اسمه قيس بن الملوّح . قال أبو عمرو الشَّيباني : وحدّثني رجل من أهل اليمن أنّه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنّه[1] قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنّه قيس بن الملوّح ، وحدّث أنّ أباه مات قبل اختلاطه[2] ، فعقَر على قبره ناقته وقال في ذلك : [من الطويل]

عقـرتُ على قبر الملـوّح ناقتي ... بذي السَّرْح[3] لما أن جفاه الأقاربُ

وقلـتُ لهـا كُوني عَقِيراً فإنّني ... غداً راجلٌ أمشي وبالأمسِ راكبُ

فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يا ابن مُزاحمٍ ... فكلٌّ بكأس الموت لا شكَّ شارِبُ[4]

وذكر إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى أنّ اسمه البُخْتُريّ بن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبيريّ والرياشيّ وأبو العالِية أنّ اسمَه الأقرع بن مُعاذ . وقال خالد بن كلثوم : اسمه مهديٌّ بن الملوّح .

وأخبرني الأخفش عن السُّكَّريّ عن أبي زياد الكِلابيّ[5] ، قال : ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سَعد بن مَهْدِيّ بن رَبيعة بن الحَريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلابة الرَّقاشيّ[6] ، قال حدّثني عبد الصَّمد بن المُعَذَّل ، قال : سمعتُ الأصمعيّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول : لم يكن مجنوناً وإنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل[7] : [من مجزوء الكامل]

أخذَتْ محاسنَ كلِّ مـا ... ضَنَّـتْ محاسنُـه بحُسنِهْ

كادَ الغـزالُ يكونُهـا ... لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

[لقب بالمجنون كثير غيره وكلّهم كان يشبب بليلى]

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : سألتُ أعرابيّاً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامِريّ فقال : عن أيِّهم تسألُني ؟

---

1 في ل : فعرفه أنّه .

2 اختلاطه : تغيّر عقله .

3 ذو السرح : واد بنجد .

4 لا شك في ل : لا بدّ .

5 أبو زياد الكلابيّ : اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث عاش في أوائل الدولة العباسية وكان شاعراً وعالماً باللغة .

6 أبو قلابة الرقاشي ، هو عبد الملك بن محمد الرقاشي .

7 ديوان المجنون : 281 .

فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذي كان يُشَبّب بليلى ، فقال : كلُّهم كان يُشبّب بليلى ، قلتُ : فأنشِدني لبعضهم ، فأنشدني لمُزاحِم بن الحارث المجنون[1] : [من الطويل]

ألا أيُّها القلبُ الذي لَجَّ هائِماً ... بلَيْلى وليــداً لم تُقَطَّــعْ تمائِمُهْ

أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنى ... لكَ اليومَ أن تَلقى طبيباً تُلائِمُهْ

أجِــدّكَ لا تُنسِيكَ لَيْلى مُلِمَّةٌ ... تُلِمُّ ولا عهــدٌ يَطُــولُ تَقادُمُهْ

قلت : فأنشِدني لغيره منهم ، فأنشَدَني لمُعاذ بن كُلَيب[2] المجنون : [من الطويل]

ألا طالَما لاعَبْتُ لَيْلى وقادَني ... إلى اللَّهوِ قلبٌ للحِسانِ تَبُـوعُ

وطال امتراءُ الشّوقِ عينيَ كلّما ... نَزَفْــتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُموعُ

فقد طال إمساكي على الكَبِد التي ... بها مِن هَوى لَيْلى الغَداةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأَنشِدني لغير هذين ممّن ذكرتَ ، فأنشدَني لَمَهْدِيّ بن الملوّح : [من الطويل]

لو انّ لــكَ الدنيا وما عُدِلَتْ به ... سِواها وليلى بائــنٌ عنــكَ بينُها[3]

لكنــتَ إلى ليـــلى فقيراً وإنّمــا ... يقــود إليهــا وُدَّ نفسِك حَينُها

قلتُ له : فأنشِدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال قال ابن الأعرابيّ : كان مُعاذ بن كليب مجنوناً ، وكان يُحبّ ليلى ، وشَرِكَه في حبّها مُزاحم بن الحارث العُقَيليّ ، فقال مزاحمٌ يوماً للمجنون : [من الوافر]

كِلانــا يــا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلى ... بفِيّ وفيكَ مِــن لَيْلى التُّرابُ

شَرِكتُكَ في هَوى من كان حظِّي ... وحظَّكَ مِــن مودّتِها العَذابُ

لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثــم ثَنَّتْ ... بقلبــي فهــو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنّه لما سمع هذه الأبيات التُبِس وخولِط في عقله .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ : أنّه سمع في الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الأبيات ، فكانت سبب جنونه .

---

1 ديوان مجمون ليلى : 248 .

2 هذه الأبيات لمعاذ بن كليب ، ولكنها موجودة في ديوان المجنون أيضاً .

3 بائن في ل : حائن .

وذكر إبراهيم بن المُنذر الحِزاميّ عن أيُّوب بن عباية : أنّ فتًى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون ، وأنّه عملَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر ، فحمله الناس وزادوا فيه .

[إنكار وجوده والقول بأنّ شعره مولد عليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن عَوانةَ أنّه قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ ، فسئل مَن قال هذه الأشعار ؟ فقال : فتًى من بني أميّة .

وقال الجاحظ[1] : ما تركَ الناس شعراً مجهولَ القائل قِيل في لَيْلى إلاّ نسَبوه إلى المجنون ، ولا شعراً هذه سبيلُه قيل في لُبْنَى إلاّ نسَبوه إلى قيس بن ذَرِيح .

وأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني أبو أيُّوب المَدِيني[2] قال حدّثني الحَكَم بن صالح قال : قِيلَ لرجل من بني عامر : هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشقُ ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنّما يقتلُ العشقُ هذه اليمانية الضّعاف القلوبِ .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عباية قال حدّثني مَن سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرِفُه .

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزْهَر قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابيّ أنّه ذَكر عن جماعة من بني عامر أنّهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعر كلَّه مُوَلَّد عليه .

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمَّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوانة قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاحم[3] ، وابن القِرِّيَّة[4] ، ومجنون بني عامر .

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعتُ الأصمعيّ يقول : الذي أُلقِيَ على المجنون من الشعر وأُضِيفَ إليه أكثرُ ممّا قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني إسحاق قال :

---

1 هذا القول مهمّ للدارس ، وهو منطلق لتصحح الدراسة في المجنون وشعره ؛ وقد ردّد هذا القول البغدادي في الخزانة 4 : 229 .

2 أبو أيوب المديني : هو سليمان بن أيوب بن محمد المديني (أي من أهل المدينة) .

3 قصيدة الملاحم : قصيدة يزعم فيها صاحبها أنّه سينبىء عمّا سيجري من أحداث في المستقبل .

4 له محاورات مع الحجّاج ، يبدو أنّ معظمها موضوع .

أنشدتُ أيُّوب بن عباية هذين البيتين[1] : [من الطويل]

وخبَّرتُمـــاني أنّ تَيمـــاءَ منزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ أَلْقَى المَراسِيا

فهذي شهورُ الصَّيْفِ عنّا قد انقضَتْ فما لِلنّـوَى تَرمِـــي بلَيْلَى المَرامِيا

وسألتُه عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروونَهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرني عمّي عن عبد الله بن شَبيب عن هارون بن موسى الفَرْويّ قال : سألت أبا بكر العَدَوِيّ عن هذين البيتين فقال : هما لجَميل ، ولم يَعرِف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما ؟ قال : نعم ، وأنشدني : [من الطويل]

وإنِّي لأخشى أن أموتَ فُجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هِيا

وإنِّي لَيُنْسِينِي لِقاؤكِ كلَّما لقِيتُكِ يوماً أنْ أَبُـثَّكِ ما بِيا[2]

وقالوا بـــه داءٌ عَياءٌ أصابه وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائِيا

وأنا أذكر ممّا وقع إليّ من أخباره جُمَلاً مستحسنةً ، مُتَبرِّئاً من العهدة فيها ، فإنّ أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبُها بعضُ الرُّواة إلى غيره وينسبُها مَنْ حُكِيتْ عنه إليه ، وإذا قدّمتُ هذه الشريطة برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتَبِّع للعيوب[3] .

[بدء تعشّقه ليلى]

أخبرني بخبره في شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة ، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتّسقَ ولم يختلِفْ ، فإذا اختلفَ نسَبتُ كلَّ رواية إلى راويها .

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ ، قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيّوبَ عن ابن قُتَيبة ، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلْثُوم وأبي عَمْرو الشَّيباني وابن دَأْبٍ وهِشام بن محمد الكَلْبيّ وإسحاق بن الجَصَّاص وغيرِهم من الرُّواة .

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلى بنت مَهديّ بن سَعد بن مهديّ بن ربيعة بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتُكنى أُمَّ مالك ، وهما حينئذٍ صبيان ، فعَلِق كلٌّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشيَ أهلِهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبِرا فَحُجِبتْ عنه ، قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من الطويل]

---

1 بشأن ما يرد من الأبيات اليائية المنسوبة للمجنون انظر القصيدتين رقم 307 و308 في ديوانه .

2 ل : ليثنيني .

3 تأمّل تَحرج أبي الفرج في هذا الموضع .

صوت

تَعلّقتُ لَيْلى وهي ذاتُ ذُؤابةٍ ... ولم يَبْدُ للأتراب من ثَدْيِها حجمُ[1]
صغيريْنِ نرعَى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا ... إلى اليوم لم نَكْبُرْ ولم تَكْبُرِ البَهْمُ

في هذين البيتين للأَخْضَر الجُدِّيّ لحن من الثقيل الثاني بالوسطى ، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشاميّ .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ونسختُ هذا الخبر بعينه من خطّ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أبو عَتّاب البصريّ عن إبراهيم بن محمد الشافعيّ قال : بَيْنا ابنُ مُلَيكةَ يؤذّن إذ سمع الأخضر الجُدِّيَّ يُغنّي من دار العاص بن وائل : [من الطويل]

وعُلِّقتُها غَرّاءَ ذاتَ ذوائبٍ ... ولم يَبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيريْنِ نرعَى البهمَ يا ليتَ أنّنا ... إلى اليومِ لم نَكْبُرْ ولم تَكبُرْ البَهْمُ

قال : فأراد أن يقول : حيّ على الصلاة فقال : حيٍّ على البَهْم ، حتى سمِعه أهلُ مكّة فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابن الكلبيّ : حدّثني مَعروف المَكّيّ والمُعَلَّى بن هِلال وإسحاقُ بن الجَصّاص قالوا : كان سبب عشق المجنون لَيْلَى ، أنّه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حُلّتان من حُلَل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعةُ نسوةٍ يتحدّثن فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يُحدّثهنّ وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته ، وظَلّ[2] يحدّثهنّ بقيةَ يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ من بُرَدِ الأعراب يقال له : «مُنازِلُ» يَسُوق مِعْزًى له ، فلمّا رأيْنه أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنون ، فغضب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول : [من الطويل]

أَأَعقِرُ مِنْ جَرّا كَريمةَ ناقَتِي ... ووَصْلِي مَفْروشٌ لِوَصْلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعْقَعنَ الحُليَّ ولم أكُنْ ... إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخلِ
متى ما انتضَلْنا بالسِّهام نضَلْتُه ... وإن نَرْمِ رَشْقاً عندها فهو ناضِلِي[3]

قال : فلمّا أصبح لبِس حُلَّتَه ، وركب ناقة له أُخرى ومضى مُتعرِّضاً لهنّ ، فألفَى لَيْلَى

---

1 في رواية : وهي ذات تمائم .
2 ل : وجعل .
3 انتضلا : تباريا في رمي السهام .

قاعدةً بفناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهوِيَته ، وعندها جُوَيريات ٌ يتحدّثْنَ معها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدَعونَه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَن لا يَشغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه ؟ فقال : إي لَعَمْرِي ، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلتْ تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدّث غيره ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبّها إيّاه وشَغَفَتْه واستملحها ، فبينا هي تُحدِّثه ، إذ أقبل فتًى من الحيّ فدعته وسارّته سِراراً طويلاً ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانتُقِع[1] لونه وشَقّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول : [من الوافر]

كِلانا مُظهِـرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عنـدَ صاحبهِ مَكِينُ
تُبلِّغُنا العيـونُ بما أردنـا وفي القلبين ثَمَّ هَوىً دَفِينُ

فلمّا سمع البيتين شَهَقَ شهقةً شديدة وأُغمِيَ عليه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونضَحوا الماء على وجهه [حتى أفاق] وتمكّن حبُّ كلّ واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلّ مَبلغ .

[خطبته لليلى واختيارها عليه غيره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سعيد المَخزوميّ عن أبي الهيثم العقيليّ قال : لمّا شُهِر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها ، خطبَها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيليّ وبذل لها عَشْراً من الإبل وراعِيها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَنِ اختارَتْ تزوّجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وَرْداً لَنُمثِّلَنّ بك ، فقال المجنون[2] : [من الوافر]

ألا يــا لَيْلَ إن مُلِّكْتِ فينا خِيارَكِ فانظُرِي لِمَن الخيارُ
ولا تَسْتَبْدِلِي منّــي دَنِيّــاً ولا بَرَماً إذا حُبّ القُتارُ[3]
يُهَرْوِل في الصغير إذا رآه وتُعجِــزُه مُلِمَّـاتٌ كِبارُ
فمثلُ تأيُّـم منــه نكاحٌ ومثلُ تَمَــوُّلٍ منه افتِقارُ

فاختارت ورداً فتزوّجته على كُرهٍ منها .

---

1 انتقع لونه : تغيّر .
2 ديوان مجنون ليلى : 122–123 وينسب البيتان للعباس بن الأحنف .
3 البرم : اللئيم ، والأصل وصف للذي لا يدخل مع القوم في الميسر . القتار : رائحة اللحم المشويّ .

[حكاية أبيه عن جنونه بليلى]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة بن خُريم[1] المُرّي قال : خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنون ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّته ، فلَقِيت أباه شيخاً كبيراً وحولَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً ؛ فسألتهم عنه فبَكَوه ، وقال الشيخ : أما والله لهو كان آثَر عندي من هؤلاء جميعاً ، وإنّه عَشِقَ امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله ، فلمّا فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يزوّجه إيّاها بعد ما ظهر من أمرهما ، فزوّجها غيره ، وكان أوّل ما كَلِفَ بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّث الفِتيان ، وكان أجملَهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفِيضون في الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِض عنه وتُقبِل على غيره ، وقد وقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فظنَّتْ به ما هو عليه من حبّها ، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَتْ فقالت : [من الوافر]

صوت

كِلانا مُظهِـرٌ للنـاسِ بغضاً ... وكلٌّ عنـدَ صاحبـهِ مَكِـينُ
وأسرارُ المَلاحِظِ ليس تَخْفَـى ... إذا نطَقتْ بما تُخْفِي العيونُ[2]

غنّت في الأوّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنّ هذا الغناء لشارية ، والبيت الأخير ليس من شعره ، قال : فخَرّ مغشيّاً عليه ثم أفاق فاقداً عقلَه ، فكان لا يلبس ثوباً إلاّ خَرَّقه ولا يمشي إلاّ عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظام حوله ، فإذا ذُكرتْ له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلاً ولا يُخطىء حرفاً ، وترك الصلاة ، فإذا قيل له : ما لكَ لا تُصلّي ! لم يَرُدَّ حرفاً ، وكنّا نحبسه ونُقيّده ، فيَعضُّ لسانه وشفته ، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيله فهو يهيم .

[قصّته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف]

قال الهيثم : فولّى مروان بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوف صدقاتِ بني كعب وقُشَير وجَعْدَة والحَريش وحبيبَ وعبد الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكم جُنونه[3] فكلَّمه وأنشده فأُعجِبَ به ، فسأله أن يخرجَ معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنّ أهلها استَعدَوُا السلطان عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عمّا وعده وأمر له بقلائص ، فلمّا علم بذلك وأُتِي بالقلائص ردّها عليه وانصرف .

---

1 هو حريم (بالحاء المهملة) في تاريخ الطبري .
2 الشطر الثاني في ل : وقد تغرى بذي اللحظ الظنون .
3 ل : يستحكم حبّه .

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة : أنّ المجنون هو الذي سأل عمر بنَ عبد الرحمن أن يخرج به ، قال له : أكون معك في هذا الجَمْع الذي تَجمعه غداً ، فَأُرى في أصحابك ، وأتجمّل في عشيرتي بك ، وأفخرُ بقربك ، فجاءه رَهطٌ من رهط لَيْلى وأخبروه بقصّته ، وأنّه لا يريد التجمّل به ، وإنّما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها ، وأنّهم قد شكَوْه إلى السلطان فأهدر دمَه إن دخل عليهم ، فأعرض عمّا أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص ، فردّها وقال [في ذلك] : [من الوافر]

رَددتُ قلائصَ القرشيّ لَمّا ... بدا لي النقضُ منه للعهودِ
وراحوا مُقْصِرين وخَلَّفُوني ... إلى حُزنٍ أُعالجُهُ شديدِ

[نوفل بن مساحق يتوسط للمجنون]

قال : ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى ، قال : فلم تزل تلك حالَه ، إلاّ أنّه غيرُ مستوحش ، إنّما يكون في جَنَباتِ الحيّ منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلاّ خَرَّقه ، ويَهْذِي ويُخطِّط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يُجيب أحداً سأله عن شيء ، فإذا أحبُّوا أن يتكلَّم أو يثوب عقلُه ذكروا له ليلى ، فيقول : بأبي هي وأُمِّي ، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم ، ويأتيه أحداث الحيّ فيحدِّثونه عنها ويُنشدونه الشعر الغزل ، فيجيبهم جواباً صحيحاً ويُنشدهم أشعاراً قالها ، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفلُ بن مساحق ، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان ، فقال لغلام له : يا غلام ، هاتِ ثوباً ، فأتاه به ، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوب فألقِه على ذلك الرجل ، فقال له : أتعرِفه جُعِلتُ فِداك ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن سيّدِ الحيّ ، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن ، وإذا طُرِحَ عليه شيء خَرَّقه ، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وحدَّثه عن أمره ، فدعا به وكلَّمه ، فجعل لا يعقِل شيئاً يكلّمه به ، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها له وسأله عن حبّه إيّاها ، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إيّاها ويُنشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحبّ صيّرك إلى ما أَرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي إلى ما هو أشدّ مما ترى ، فعجب منه وقال له : أتُحِبُّ أن أزوّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيلٍ ؟ قال : انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبهم في المهر لها ، قال : أتُراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : انظر ما تقول ، قال : لك عليّ أن أفعل بك ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إيّاها ، وراح معه المجنون كأَصحِّ أصحابه يحدّثه ويُنشده ، فبلغ ذلك رهطها فتلقَّوه في السلاح ، وقالوا له : يا ابن مُساحِق ، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمه ،

فأَقبل بهم وأَدبر ، فأَبَوْا ، فلمّا رأى ذلك قال للمجنون : انصرف ، فقال له المجنون : والله ما وفَيْتَ لي بالعهد ، قال له : انصرافُك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سَفْكِ الدماء ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيــا وَيْح مَنْ أَمْسى تُخُلِّسَ عقلُه ... فأصبحَ مذهوباً بـه كلَّ مذهبِ[2]

خليّـاً مــن الخُــلاَّنِ إلاّ مُعَذِّراً ... يُضاحِكني مَنْ كان يَهوى تَجَنُّبِي[3]

الغناء للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من جامع أغانيه : [من الطويل]

إذا ذُكرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعَتْ ... روائع عقلي مِن هَوىً مُتَشَعِّبِ[4]

وقالوا صحيحٌ مــا به طيفُ جِنَّةٍ ... ولا الهــمُّ إلاّ بــافتراء التكذّبِ

وشاهدُ وجْدِي دمعُ عيني وحُبُّها ... بَرى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكِبِي

صوت

[من الطويل]

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ[5]

ألا إنّمــا غــــادَرْتِ يا أمّ مالكٍ ... صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يَذْهَبِ[6]

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وفيه لابن جامعٍ هزج من رواية الهشاميّ وهي قصيدة طويلة .

ومما يُغنّى فيه منها قوله : [من الطويل]

صوت

فلم أَرَ ليلى بعــد مَوْقِــفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنىً تَرمِي جِمارَ المحصَّبِ[7]

ويُبْدِي الحَصى منها إذا قذَفتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ

---

1 ديوان مجنون ليلى : 78–80 وفيه تخريج كثير .

2 تخلّس عقله : أُخذ خلسة .

3 المعذّر : المقصّر .

4 روائع عقلي في ل : عوازب قلبي .

5 الحب في ل : اليأس .

6 غادرت في ل : أبقيت .

7 بعد في ل : غير .

فأصبحتُ من لَيْلى الغَداةَ كناظرٍ ... مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنّما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيل أوّل مطلق باستهلال ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لأبيه يحيى ، وذكر الهشاميّ أنّه للواثق ، وذكر حبش أنّه لابن محرز ، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب للمجنون[1] : [من الطويل]

فوالله ثم اللهِ إنّي لدائبٌ ... أُفكّر ما ذنبي إليها وأعجَبُ
ووالله ما أدري عَلامَ قتلتِني ... وأيَّ أموري فيك يا ليلَ أركبُ
أأقطَعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه ... أمَ اشْربُ رَنْقا منكم ليس يُشرَبُ
أمَ اهربُ حتى لا أرَى لي مجاوراً ... أمَ اصنعُ ماذا أم أبوح فَأُغلَبُ
فأيّهما يا ليلَ ما ترتضينَه ... فإنّي لمظلومٌ وإنّي لَمُعْتِبُ

[حجّه مع أبيه لسلوان ليلى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال : ذكر هشام بن الكلبيّ ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه : أنّ أبا المجنون وأمّه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحِمَ ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهالكٌ ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاكِ بذهاب عقله ، وإنّك فاجعٌ به أباه وأهلَه ، فنشَدناك الله والرحم أن تفعل ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكَّمَك في المَهر ، وإن شئتَ أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنّه لا يزوّجه إيّاها أبداً ، وقال : أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحدٌ من العرب ، وأَسِمُ ابنتي بمِيسَم فضيحة ، فانصرَفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه ، فما أمسى إلاّ وقد بنى بها ، وبلغه الخبر فأيِس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً ، فقال الحيّ لأبيه : احجُجْ به إلى مكّة وادعُ الله عزّ وجلّ له ، ومُره أن يتعلّق بأستار الكعبة ، فيسأل الله أن يعافيه ممّا به ويُبغِّضَها إليه ، فلعلّ الله أن يُخلِّصه من هذا البلاء ، فحجَّ به أبوه ، فلمّا صاروا بمِنًى سمع صائحاً في الليل يَصيح : يا ليلى ، فصرخ صَرخةً ظنّوا أنّ نفسه قد تَلِفَت وسقط مَغشيّاً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ اللون ذاهلاً ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 45–46 . والشطر الثاني من البيت الخامس فيه «فأوّل مهجور وآخر معتب» .

2 ديوان مجنون ليلى : 162 وانظر أيضاً ص 163–164 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لغير المجنون .

صوت

عَرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... مِن الآنَ فايأسْ لا أعزّك مِن صَبْرِ
إذا بـانَ مَنْ تهوى وأصبحَ نائياً ... فلا شيءَ أجدَى من حُلُولكَ في القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن منىً ... فهيَّجَ أطرابَ الفؤادِ ومـا يَدرِي
دعا باسم ليـلى غيرِها فكأنّما ... أطارَ بليلى طائـراً كان في صدرِي
دعا باسم ليـلى ضلَّل اللهُ سعيَه ... وليـلى بأرضٍ عنـه نازحةٍ قفرِ

الغناء لعريب خفيف ثقيلٍ ، ثم قال له أبوه : تعلَّقْ بأستار الكعبة واسأل اللهَ أن يعافيك من حبِّ ليلى ، فتعلّقَ بأستار الكعبة وقال : اللهمّ زِدني لليلى حبّاً وبها كَلَفاً ولا تُنْسِنِي ذكرها أبداً ، فهام حينئذٍ واختلطَ[1] فلم يَضْبِطْ . قالوا : فكان يهيم في البريَّة مع الوحش ولا يأكل إلاّ ما ينبُت في البرِّيَّة من بقل ولا يشرب إلاّ مع الظباء إذا وردَتْ مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألِفَتْه الظباء والوحوش فكانت لا تنفِر منه ، وجعل يَهِيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب إليه عقله سأل مَن يمرّ به من أحياء العرب عن نجدٍ ، فيقال له : وأين أنت من نجد؟ قد شارفتَ الشام ! أنتَ في موضع كذا ، فيقول : فأروني وِجهة الطريق ، فيرحمونه ويعرِضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه .

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ وأخبرنا حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال : خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[2] إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال ، وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوال جعد[3] كأحسن مَن رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصُفرة ، وإذا هم متعلّقون به ، فسألت عنه ، فقيل لي : هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت ، وهو على نيّة أن يأتي به قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليدعوَ له هناك لعلّه يُكشَف ما به ، فإنّه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوُّه ، يقول : أَخرِجوني لعلّني أتنسَّم صَبا نَجدٍ ، فيُخرجونه فيتوجّهون به نحو نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقي نفسه من الجبل ، فإن شئتَ الأجرَ دنوتَ منه فأخبرته أنّك أقبلتَ من نجدٍ ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له : يا أبا المهديّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفَّسَ تَنفُّسةً ظننتُ أنّ

1 ل : وخولط .
2 بئر ميمون : بئر في مكّة .
3 طوال : زائد في الطول ؛ جعد : شديد الأسر ، غير مضطرب الخلق .

كبِده قد انصدعتْ ، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبره وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ وأَوجعه للقلب ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري عن عُوارِضَتَيْ قناً ... لطولِ الليالي هــلْ تغيَّرتا بعدِي[2]

وهل جارتانــا بالبَتِيل إلى الحِمى ... على عَهْدِنا أم لم تَدُوما على العهدِ[3]

وعن عُلْوِيَّاتِ الريــاح إذا جرتْ ... بريح الخُزامَى هل تهُبُّ على نجدِ[4]

وعن أُقْحُوانِ الرملِ مــا هو فاعلٌ ... إذا هــو أَسْرى ليلةً بثَرىً جَعدِ[5]

وهل أنفُضَنَّ الدهــرَ أفنــانَ لِمَّتِي ... على لاحِقِ المتنينِ مُندَلِقِ الوْخدِ[6]

وهلْ أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ ... تَحدَّرُ من نَشْزٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ[7]

[سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ والعُتْبِيّ قالا[8] : مرّ المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلي في يومٍ شاتٍ ، وقد أتى ابن عمٍّ له في حيّ المجنون لحاجةٍ ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

صوت

بربِّك هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى ... قُبيــلَ الصبح أو قَبَّلْــتَ فاها

وهل رَفَّتْ عليكَ قُرونُ ليلَى ... رَفِيــفَ الأُقْحُوانـــةِ في نَداها

فقال : اللهمّ إذ حلَّفتَني فنَعَمْ ، قال : فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى سقط مغشيّاً عليه ، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه ، وعضّ على شفته فقطعها ، فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله مُتعجّباً منه فمضى .

غنَّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرز ، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 ديوان مجنون ليلى : 123–124 .
2 قنا وعوارضتاه : جبال بنجد .
3 البتيل : هو بحسب السياق اسم موضع .
4 علويات الرياح : الرياح التي تهبّ من جهة العالية من نجد .
5 الثرى الجعد : الذي أصابه الندى .
6 لاحق المتنين : ضامر . مندلق الوخد : سريع في سيره .
7 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . النشز : المكان المرتفع .
8 الخبر والشعر في خزانة الأدب : 10 : 54–55 .

[مروره بجبلي نعمان ومكثه فيهما إلى هبوب الصبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال قال محمد بن الحكَم عن عَوانة : إنّه حدّثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا : إنّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرى قبل توحشه ليَمْتاروا خوفاً عليه [من] أن يضيعَ أو يهلِك ، فمرّوا في طريقهم بجبلي نعمان ، فقال له بعض فِتيان الحيّ : هذان جبلا نعمان ، وقد كانت ليلى تنزل بهما ، قال : فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما ؟ قالوا : الصَّبا ، قال : فوالله لا أَرِيم هذا الموضع حتى تهُبَّ الصبا ، فأقام ومَضَوْا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أَتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيّام حتى هَبَّتِ الصَّبا ، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أيـــا جَبَلَـــيْ نَعمـــانَ باللهِ خَلِّيا ... سبيل الصَّبا يَخلُصْ إليّ نَسيمُها[2]

أجِدْ بردَها أو تَشْفِ منّـــي حرارَةً ... على كَبِـدٍ لم يبـقَ إلاّ صَميمُها

فإنّ الصَّبــا ريحٌ إذا مــا تنسّمَتْ ... على نَفْسِ محزونٍ تجلَّتْ هُمُومُها[3]

[ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله في ذلك]

أخبرني عليّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسين بن الحَرون قال حدّثني الكِسْرَوِيُّ[4] عن جماعةٍ من الرواة قال : لمّا منَعَ أبو ليلى المجنون وعشيرتُه من تزويجه بها ، كان لا يزال يَغشى بيوتهم ويهجم عليهم ، فشكَوْه إلى السلطان فأهدر دمه لهم ، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْهُ وقال : الموت أَرْوح لي فليتهم قتلوني ، فلمّا علموا بذلك وعرفوا أنّه لا يزال يطلب غِرَّةً منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورهم ، فارتحلوا عنها وأَبعدوا ، وجاء المجنون عشيّةً فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بَلاقِعُ ، فقصد منزل ليلى الذي كان بيتُها فيه ، فألصق صدره به وجعل يُمرِّغ خدَّيه على ترابه [ويبكي] ، ثم أنشأ يقول ، وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له [بغير خبر][5] : [من الطويل]

أيا حَرَجاتِ الحيّ حيثُ تحمّلوا ... بِذي سَلَمٍ لا جادَكُـــنَّ رَبيعُ[6]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 250 .

2 سبيل الصّبا في ل : نسيم الصبا .

3 تجلّت في ل : تسلّت .

4 ل : الكردوسي .

5 ديوان مجنون ليلى : 190–193 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لقيس بن ذريح .

6 الحرجة : الغيضة .

وخَيماتُكِ اللاتِي بمُنعَرَجِ اللِّوى ... بَلِينَ بِلىً لم تَبلَهنّ رُبُوعُ
نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً ... كما يَندَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فَقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ فإنّني ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[1]
فقرّبتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ ... إليكِ ثَنايا ما لهنّ طُلُوعُ[2]

[حديثه مع نسوة فيهنّ ليلى]

وذكر خالدُ بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها[3] أنّ ليلى وعدَته قبل أن يختلِط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فُرصةً لذلك ، فمكث مدّةً يراسلها في الوفاء وهي تَعِده وتُسَوِّفُه[4] ، فأتى أهلَها ذات يوم والحيّ خُلُوفٌ[5] ، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرةً[6] منها بحيث تسمع كلامه ، فحادثهنّ طويلاً ثم قال : ألا أُنشِدكنّ أبياتاً أحدثتُها في هذه الأيّام ؟ قلن : بَلى ، فأنشدهنّ[7] : [من البسيط]

صوت

يا لَلرِّجالِ لِهَمٍّ باتَ يَعرونِي ... مُستَطْرَفٍ وقَدِيمٍ كادَ يُبْلِيني
مَنْ عاذِري مِن غريم غيرِ ذي عُسُرٍ ... يأبى فيمطُلُني دَيْني ويَلْويني
لا يُبعِدُ النقدَ مِن حقّي فينكرَه ... ولا يُحدِّثُني أنْ سوفَ يَقضِيني
وما كشُكرِيَ شكرٌ لو يوافِقُني ... ولا مُنايَ سِواه لو يُوافِيني[8]
[أطعتُه وعصيتُ الناس كلَّهُمُ ... في أمرِه وهواه وهو يَعْصِيني][9]

قالا : فقلن له : ما أنصفكَ هذا الغريم الذي ذكرتَه ! وجعلنَ يتضاحكنَ وهو يبكي ، فاستحيَتْ ليلى منهنّ ورقّت له حتى بكت ، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو .

في الثلاثة الأبيات الأُوَل من هذه الأبيات هزج طنبوريّ للمسدود ؛ قالا في خبرهما هذا :

1 نفس شعاع : انتشر أمرها فلا تتشدّد .
2 أشرفت : ارتفعت . الثنايا : العقاب (ج عقبة) .
3 ل : صنفاها .
4 تسوّفه : تماطله .
5 الحيّ خلوف : غاب عنه الرجال وبقي فيه النساء .
6 حجرة : ناحية .
7 ديوان مجنون ليلى 279 .
8 يوافيني في رواية : يواتيني .
9 هذا البيت لم يرد في ل .

وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيانِه فيُحدّثانه ويُسلّيانه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهديّ ألا تجلس ؟ قال : لا ، بل أَمضي إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه ، فأشفي بعض ما في صدري بها ، فقالا له : فنحن معك ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُما وأحسنتُما ، فقاما معه حتى أتى دار ليلى ، فوقف بها طويلاً يتتبَّع آثارَها ويبكي ويقفُ في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي ، ثم قال[1] : [من البسيط]

صوت[2]

يا صاحبيّ أَلِمَّا بِـي بمنزلةٍ	قد مـرَّ حينٌ عليها أيُّما حينِ
إنّي أَرى رَجَعاتِ الحبّ تَقتُلُني	وكان في بدئِها ما كان يَكْفِيني
لا خيرَ في الحبّ ليسَتْ فيه قارعةٌ	كأنّ صاحبها في نَزْعِ مَوتونِ[3]
إن قال عُذَّالُهُ مَهْلاً فَلانَ لهم	قال الهَوى غيرُ هذا القولِ يَعْنِيني
أَلْقى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُني	ولِلرجـاء بشاشاتٌ فتُحْيِيني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين : إنّ جماعة من بني عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بني عامر بن عُقَيلٍ يقال له : قيس بن معاذ ، وكان يُدعى المجنون ، وكان صاحب غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمرّ بامرأة من بني عُقَيل يقال لها : كريمة ، وكانت جميلة عاقلة ، معها نسوة فعرفنَه ودعونَه إلى النزول والحديث ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطَيلسان وقَلَنسُوة ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشدهنّ وهنّ أعجبُ شيءٍ به فيما يُرى ، فلمّا أعجبه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقته ، وقُمْنَ إليها فجعلنَ يَشوين ويأكلنَ إلى أن أَمْسى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه من حيّهنّ فجلس إليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلن له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِب ، فقام وتركهنّ وهو يقول[4] : [من الطويل]

أَأُعقِـرُ مـن جَـرَّا كريمـةَ ناقتِي	وَوَصْلِـي مَفْرُوشٌ لِوصْـلِ مُنازِلِ
إذا جـاء قَعقَعْنَ الحُلِـيَّ ولم أَكُـنْ	إذا جئتُ أَرضى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نتصارع أو نتناضل ، فقال له : إن شئتَ ذلك فقُم إلى حيث لا

1 ديوان مجنون ليلى : 280 .
2 وردت هذه الأبيات في الشعر والشعراء أيضاً .
3 الموتون : المنقطع الوتين .
4 قد مرَّ الخبر والشعر في هذه الترجمة عن ابن الكلبيّ من طريق آخر .

تراهُنَّ ولا يَرَيْنَك ، ثم ما شئت فافعل ، وقال : [من الطويل]

إذا ما انتضَلْنـا في الخلاء نَضَلْتُه وإن يَرْمِ رَشْقاً عندَها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبيّ في هذا الخبر : فلمّا أصبح لبِسَ حُلَّته وركب ناقته ومضى مُتعرِّضاً لهـنّ ، فألفى ليلى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذٍ جالسة ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيريات يُحدِّثْنَها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدعَونه إلى النزول وقُلنَ له : هل لك في محادثة مَن لا يشغله عنك مُنازِل ولا غيره ؟ قال : إي لعَمري ، فنزل وفعَل فَعلته بالأمس ، فأرادت أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلت تُعرِض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتُحدِّث غيره ، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه واستملَحها ، فبينا هي تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحيّ فدعته فسارَّتْه سِراراً طويلاً ثم قالت له انصرف ، فانصرف ، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وامتُقِع وشَقَّ عليه ما فعلَت ، فأنشأَتْ تقول : [من الوافر]

كلانا مُظهِرٌ للناسِ بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبِهِ مَكِينُ
تُبلِّغُنـا العيـونُ مَقالَتَيْنـا وفي القلبيْن ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

[قد نسبت هذا الشعر متقدّماً] فلمّا سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً وأُغمِيَ عليه فمكث [كذلك] ساعةً ، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق ، وتمكَّنَ حبُّ كُلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبْلغٍ .

حدّثني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القُرَشيّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبي ثُمامة الجعديّ قال : لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلاّ قيس بن الملوّح .

[اتّصاله بليلى في صباه]

قال : وحدّثني بعض العشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخالَطَ : ما أَعجبُ شيء أصابك في وَجدِك بليلى ؟ قال : طَرَقَنا ذات ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي : اطلب [لنا] منه أُدماً ، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طَرَقَنا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسلَني أبي أطلب منك أُدماً ، فقـال : يا ليلى ، أخرجي إليه ذلك النِّحْيَ[1] ، فاملئي له إناءه من السمن ، فأخرجَتْه ومعي قَعْبٌ[2] ، فجعلَت تَصُبُّ السمن فيه ونتحدَّث ، فألهانا الحديث وهي تصُبُّ السمن وقد امتلأ القَعبُ ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى استنقعت أرجلُنا في السمن ، قال : فأتيتُهم ليلةً ثانية

1 النحي : الزق .

2 القعب : القدح الضخم .

أطلُبُ ناراً ، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُردٍ لي ، فأخرجَت لي ناراً في عُطبةٍ[1] فأعطتْنيها ووقفنا نتحدَّث ، فلمّا احترقت العُطبة خَرَقْت من بُردي خرقةً وجعلتُ النارُ فيها ، فكلّما احترقت خرقتُ أُخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلاّ ما وارى عورتي ، وما أعقِل ما أصنع ، وأنشدني[2] : [من الطويل]

أَمُسْتَقْبِلِي نَفحُ الصَّبا ثم شائِقي ... ببَـرْدِ ثَنايا أُمّ حَسَّانَ شائِقُ
كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها ... بماء النَدَى من آخرِ الليلِ غابِقُ[3]
وما شِمْتُــه إلاّ بعيني تَفَرُّساً ... كما شِيم في أعلى السّحابةِ بارِقُ[4]

ومن الناس مَن يروي هذه الأبيات لنُصَيبٍ ، ولكن هكذا رُوي في [هذا] الخبر .

[حدّث الأصمعيّ أنّه لم يكن مجنوناً وروى من شعره]

أخبرنا محمد بن خلف وَكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقاشيّ عن عبد الصَّمد بن المعذَّل قال : سمعتُ الأصمعيّ يقول ، و[قد] تذاكرنا مجنون بني عامر قال : هو قيس بن معاذ العُقَيليُّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

أخـذَتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضَنَّــتْ محاسنُه بحُسْنِهْ
كادَ الغـزالُ يكونُهـــا ... لولا الشَّوى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

قال : وهو القائل : [من الطويل]

[صوت]

ولم أَرَ ليلى بعــدَ موقِفِ ساعةٍ ... بخَيْفِ مِنىً ترمِي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخَضّبِ
فأصبحتُ مِـن لَيْلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنّمــا غــادَرْتِ يا أمَّ مــالِكٍ ... صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يذهَبِ

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره ابن المكيّ لأبيه يحيى . وهو في جامع غناء سُلَيم[5] بن سَلام له . وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأوّل في أحدهما إلى ابن محرز ، والآخر إلى يحيى المكيّ . وزعم الهشاميّ أن فيه لِسُلَيم بن سَلام لحناً آخر من الثقيل الأوّل .

---

1 العطبة : خرقة تعلق بها نار .
2 ديوان مجنون ليلى : 203 .
3 الغابق : الساقي .
4 شمته في ل : ذقته .
5 ل : سليمان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصوفيّ قال حدّثني إبراهيم بن سعد الزُّهريّ قال : أتاني رجل من عُذرة لحاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق ، فقلت له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنّا لأرقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها .

[شيء من أوصافه]

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه[1] القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال أخبرني عبد الجبّار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيت مجنون بني عامر ، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شُحُوبٌ ، واستنشدتُه فأنشدني قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ ليلَى والسِّنِينَ الخَوالِيا ... وأيّامَ لا أُعْدِي على اللَّهْوِ عادِيا[2]

أخبرني محمد بن الحسن الكِندي خطيب مسجد القادسية قال حدّثنا الرياشي قال : سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : سمعت مُعاذاً وبشر بن المفضَّل جميعاً يُنشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر : [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَرِيعَ وإنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ[3]

وداينتُ ليلى في خَلاءٍ ولم يكن ... شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقانِعُ[4]

وحدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو خليفة [الفضل بن الحُباب] عن ابن سَلاَّم قال : قضى عبيد الله بن الحسن بن الحُصين بن أبي الحرّ العَنبريُّ على رجل من قومه قضيَّةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العنبريّ أنّه تحاملَ عليه وانصرف مُغضَباً ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بلِجام بغلتِه وكان شديداً أيِّداً ، ثم قال له : إيه يا عبيد الله ! [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَريـعَ وإنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجـالِ المطامِعُ

فقال عبيد الله : [من الطويل]

وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ ... شهودٌ عدولٌ عندَ ليلَى مَقانِعُ

خَلِّ عن البغلة . قال الصُّوليّ في خبره هذا : والبيتان للبَعِيث[5] هكذا ، قال : فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة .

---

1 لعلّ الصواب : زكرويه .

2 اللّهو في ل : الدهر .

3 تريع : ترجع .

4 المقانع : الشهود العدول .

5 البعيث : من شعراء العصر الأمويّ .

[زيارة ليلى له وحديثه معها]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباريّ عن عبد الله بن خلف الدلاّل قال حدّثنا زكريا بن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النحويّ قال[1] : لما اختلط عقلُ قيس بن الملوَّح وترك الطعامَ والشراب ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها : إنّ قيساً قد ذهب حُبُّكِ بعقله ، وترك الطعام والشراب ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه [بعض] عقلِه ، فقالت ليلى : أمّا نهاراً فلا [لأنّني لا][2] آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً ، فأتته ليلاً فقالت له : يا قيس ، إنّ أمّك تزعم أنّك جُنِنتَ من أجلي وتركتَ المطعم والمشرب ، فاتّقِ الله وأَبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول : [من البسيط]

قالت جُنِنتَ على أيْشٍ فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ ممّا بالمجانينِ[3]

الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنّما يُصرَعُ المجنونُ في الحِينِ

قال : فبكتْ معه ، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ ، ثم ودّعتْه وانصرفَتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها .

[سبب جنونه بيت شعر قاله]

أخبرنا ابن المرزُبان قال قال القحذَميُّ : لمّا قال المجنون : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهلاَّ بشيءٍ غيرِ ليلَى ابتلانيا

سُلِب عقله . الغناء لحَكَم ثقيل أوّل ، وقيل إنّه لابن الهِربذ . وفيه لمتيَّم خفيف ثقيل أوّل من جامع أغانيها . وحدّثني جَحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنّه بلغه أنّه لمّا قال هذا البيت بَرِصَ .

[اختلاف الرواة في تسميته المجنون]

أخبرني الحسن بن عليّ [قال حدّثنا محمد بن طاهر] القرشيّ عن ابن عائشة قال : إنّما سُمِّي المجنون بقوله : [من البسيط]

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعا ... في حبِّ مَنْ لا تَرى في نَيْلِه طمَعا

الحبُّ والودّ نيطا بالفؤادِ لها ... فأصبحا في فؤادي ثابتَيْنِ معا

حدّثنا وَكِيعٌ عن ابن يونس قال قال الأصمعيّ : لم يكن المجنون مجنوناً ، إنّما جنّنه العشقُ ، وأنشد له : [من الطويل]

---

1 ورد هذا الخبر بسند آخر عن يونس النحويّ في مصارع العشّاق 1 : 125 .

2 في مصارع العشّاق : أمّا نهاراً فلا يمكنني ذلك ، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي . . .

3 على أيش (أصلها على أي شيء) وقيل إنها مولدة في الاستعمال ، وفي مصارع العشاق : قالوا جننت على رأسي (وهو مصحّف) .

يُسَمُّونني المجنونَ حين يَرَوْنني نَعمْ بيَ مِن ليلَى الغـداةَ جنونُ
لَيالِيَ يُزْهى بِـي شَبابٌ وشِرَّةٌ وإذ بــيَ مِنْ خَفْضِ المعيشةِ لِينُ[1]

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أَبان قال حدّثني عليّ بن سهل عن المدائنيّ: أنّه ذُكِرَ عنده مجنون بني عامر فقال: لم يكن مجنوناً، وإنّما قِيل له المجنون بقوله: [من الطويل]

وإنِّـي لمجنــونٌ بليـلى مُوَكَّـــلٌ ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيــتُ صَبابـةً لِتَذْكارِها حتى يَبُــلَّ البُكا الخَدَّا

أخبرني عمر بن جميل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا عون بن عبد الله العامريّ أنّه قال: ما كان والله المجنون الذي تَعْزُونه إلينا مجنوناً، إنّما كانت به لُوثة وسَهوٌ أحدثهما به حُبُّ ليلى، وأنشد له: [من الطويل]

وبي مِن هَوى ليلَى الذي لو أَبُثُّـه جماعةَ أعدائي بكـــتْ لِي عُيونُها
أرى النفسَ عن ليلَى أبتْ أن تُطِيعَني فقد جُنَّ مِن وَجْدِي بليلَــى جُنونُها

أخبرني ابن المرزبان قال قال العُتبيّ: إنّما سمّي المجنون بقوله: [من الطويل]

يقــول أُناسٌ عَـــلَّ مجنونَ عامرٍ يرومُ سُلُوّاً قلـــتُ أنَّى لِمَـا بيا
وقد لامنِي في حُبِّ ليلَــى أقاربي أخي وابنُ عمّي وابنُ خالِي وخالِيا[2]
يقولون ليلَى أهـــلُ بيتِ عَداوةٍ بنفسي ليلَــى مِــن عَــدُوٍّ ومالِيا
ولــو كان في ليلَى شَذاً من خصومةٍ للَوَّيتُ أعنــاقَ المَطِـيّ[3] المَلاوِيا

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سَلاَّم: لو حلفتُ أنّ مجنونَ بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقتُ، ولكن تَولّه[4] لمّا زُوِّجت ليلى وأيقن اليأسَ منها، ألم تسمَعْ إلى قوله: [من الطويل]

أيـا ويحَ مَــنْ أمسى تُخُلِّسَ عَقلُـه فأصبح مذهوباً بــه كلَّ مذهبِ
خَلِيعــاً مِــنَ الخُلاَّنِ إلاّ مُجامِلاً يُساعِدني مَنْ كان يَهْوى تَجنُّبِي[5]
إذا ذُكِرتْ ليلَى عَقَلتُ وراجَعَتْ عَوازِبُ قلبــي مِنْ هَوىً مُتَشَعِّبِ

1 الشرة: نشاط الشباب.
2 أقاربي في ل: قرابتي.
3 المطي في ل: الخصوم.
4 ل: تدلّه.
5 خليعاً في رواية تقدّمت: خليّاً. مجاملاً ورد في ما تقدّم «معذراً».

[أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلَبيّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلاَّم ونحوه .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السِّكّيت للمجنون : [من الطويل]

يُسَمُّونَنِي المجنونَ حينَ يرونَنِي نَعَمْ بيَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ]

قال : وأنشدنا له أيضاً : [من الكامل]

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديثِ سِوَى ما كان فيكِ فإنّه شُغْلِي

وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرى أنْ قد فهِمتُ وعِندكُم عَقْلِي

[تكنيته ليلى بأمّ مالك]

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأَحْول عن عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن أبي عبيدة : أنّ صاحبة مجنون بني عامر التي كَلِفَ بها ليلى بنتُ مهديّ بن سَعْد بن مهديّ [بن ربيعة] بن الحَرِيش ، وكنيتها أُمُّ مالكٍ ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ في شعره فقال : [من الطويل]

تكادُ بِلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

فإنّ الذي أمّلتُ مِن أُمّ مالكٍ أشابَ قَذالي واستَهامَ فُؤادِيا

خليلَيَّ إنْ دارَتْ على أُمِّ مالكٍ صُرُوفُ اللّيالي فابغِيا ليَ ناعِيا

وقال أبو عَمرو الشيبانيّ : عَلِقَ المجنون ليلى بنت مهديّ بن سعد من بني الحَرِيش ، وكنيتُها أمُّ مالكٍ ، فشُهِر بها وعُرِف خبره فحُجِبَت عنه ، فشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إيّاها ، فاشتدَّ به الأمر حتى جُنَّ وقيل له : «مجنون بني عامر» ، فكان على حاله يجلسُ في نادي قومه فلا يفهم ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله إلاّ إذا ذُكِرَتْ ليلى . وأنشد له أبو عمرو[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِليلَى لا تُرى عند مَضْجَعِي بليلٍ ولا يَجْرِي بذلكَ طائرُ

بَلى إنّ عُجْمَ الطيرِ تَجرِي إذا جَرَتْ بليلَى ولكنْ ليس للطير زاجرُ

---

1 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .

أزالَتْ عـن العهد الذي كان بيننا ... بذِي الأَثْلِ أم قـد غيَّرتْها المقادِرُ
فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يُسْلِينِي ولا أنا صابِرُ
وواللهِ مـا أدري بأيَّـةِ حِيلَـةٍ ... وأيِّ مَـرامٍ أو خِطـارٍ أُخاطِرُ[1]
وتاللهِ إنَّ الدهـرَ في ذاتِ بيننا ... عـليَّ لها في كلِّ حـالٍ لجائِرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هَجري تركتِنِي ... جميعَ القُوى والعقلُ مِنِّيَ وافِرُ
ولكـنَّ أيّامِـي بِحَقْـلِ عُنَيزَةٍ ... وبالرَّضْم أيّامْ جناهـا التَّجاوُرُ[2]
وقـد أصبحَ الوُدُّ الذي كان بيننا ... أمانِـيَّ نفسٍ والمؤمِّـلُ حائِـرُ
لَعَمْرِي لقـد رَنَّقْتِ يـا أمّ مالكٍ ... حياتِي وساقَتْنِـي إليـكِ المقادِرُ[3]

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بني عامر ، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ ، فخبَّروني عنه أنّه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى ، رَبا معها ثم حُجِبَتْ عنه ، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصْنعُ بنفسه ، فقال[4] : [من البسيط]

صوت

يا صاحِبيّ أَلِمّا بـي بمنزلةٍ ... قد مـرَّ حينٌ عليها أَيُّما حينِ
في كلِّ منزلةٍ ديـوانُ مَعْرِفةٍ ... لم يُبقِ باقيةً ذكـرُ الدواوينِ
إنّي أَرى رَجَعاتِ الحبِّ تقتُلُني ... وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ .

[جنونه بليلى وهيامه على وجهه من أجلها]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن [العباس بن الفرج] الرِّياشيّ قال : ذكر العُتْبيُّ عن أبيه قال : كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره ، فكان أهلُه يُعزُّونه عنها ويقولون : نُزوِّجك أنفسَ جاريةٍ في عشيرتك ، فيأبى إلاّ ليلى ويَهذي بها ويذكرها [فكان ربّما استراح إلى أمانيّهم ورَكِنَ إلى قولهم] ، وكان ربّما هاج عليه الحزن والهمُّ فلا يملك ممّا هو فيه أن يَهيمَ على وجهه ، وذلك قبل أن يتوحَّش مع البهائم في القِفار ، فكان قومُه

---

1 الخطار : المراهنة .
2 حقل عنيزة والرضم : موضعان .
3 رنّق : كدَّر .
4 ديوان مجنون ليلى : 280 .

يلومونه ويَعذُلُونه ، فأكثروا عليه في الملامة والعَذْلِ يوماً فقال : [من البسيط]

صوت

يـا لَلرِّجالِ لهـمٍّ بـاتَ يَعْرُوني ... مُسْتطـرَفٍ وقديـمٍ كان يَعْنِيني
على غَرِيم مَـلِيء غيرِ ذي عُدُمٍ ... يأبَـى فيمْطُلُنـي دَيْنِـي ويَلْوِيني
لا يذكُر البعضَ مِـن دَيني فيُنكرُه ... ولا يُحَدِّثنـي أنْ سوفَ يَقْضِيني[1]
وما كَشُكْرِي شُكرٌ لو يُوافِقُني ... ولا مُنـىً كَمُنـاهُ إذ يُمنّيني
أطعتُـه وعَصَيـتُ النـاسَ كُلَّهُـمُ ... في أمره ثم يأبـى فهـو يَعْصِيني
خَيرِي لمن يبتغي خيري ويأمُلُه ... من دون شَرّي وشَرّي غيرُ مأمونِ
ومـا أُشارِكُ في رأيِي أخا ضَعَفٍ ... ولا أقولُ أَخِـي مَـنْ لا يُواتِيني

في هذه الأبيات هَزَجٌ طُنبوريّ للمسدود من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : حدّثني رَباح العامريّ قال : كان المجنون أوّل ما عَلِقَ ليلى كثير الذِّكر لها والإتيان بالليل إليها ، والعرب ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدّث الفتيان إلى الفتيات ، فلمّا عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدّموا إليه ، فذهب لذلك عقلُه ويئس منه قومه واعتَنَوا بأمرِه[2] ، واجتمعوا إليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنع بنفسه ، وقالوا : والله ما هي لك بهذه الحال ، فلو تناسيتها رَجَونا أن تَسلوَ قليلاً ، فقال لمّا سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء : [من الطويل]

صوت

فواكبِدا مِن حـبّ مَن لا يُحبّني ... ومِـن زَفَـراتٍ مـا لهـنَّ فَناءُ
أَرَيْتكِ إن لم أُعطِكِ الحبَّ عن يدٍ ... ولم يكُ عنـدي إذ أبيْتِ إباءُ[3]
أتارِكَتِي للمـوتِ أنـتِ فميِّتٌ ... ومـا للنفـوسِ الخائفـاتِ بَقاءُ

ثم أقبل على القوم فقال : إنّ الذي بي ليس بهيِّنٍ ، فأقِلّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ .

[قصّة حبّه ليلى في رواية رباح العامريّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب وابن المرزُبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دَأْبٍ عن رَباح بن حبيب العامريّ : أنّه سأله عن حال المجنون وليلى ،

1 فينكره في ل : فننظره .
2 ل : واغتموا بأمره .
3 أريتك : مخفّف عن أرأيتك . عن يد : عن استسلام ؛ طواعية .

فقال : كانتْ ليلى من بني الحَرِيش وهي بنت مَهدِيّ بن سعيد بن مهديّ بن ربيعة ابن الحريش ، وكانت من أجمل النساء وأظْرَفِهنّ وأحسنِهنّ جِسماً وعقلاً وأفضلهنّ أدباً وأملحهنّ شكلاً ، وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صَبّاً بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهّب لذلك ولبِس أفضلَ ثيابِه ورجّل جُمَّته ومسَّ طِيباً كان عنده ، وارتَحَل ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلّد سيفَه وأتاها ، فسَلَّم فردّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ[1] في المسألة ، وجلس إليها فحادثَته وحادثها فأكثرا ، وكلٌّ واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلةٍ شوقاً إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى واجتهد أن يُغمِض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

نَهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا بدا لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ
أُقَضّي نهارِي بالحديثِ وبالمُنَى ويَجمَعُني والهـمَّ بالليـلِ جامِعُ
لَقَد ثَبَتَتْ في القلبِ منكِ محبَّةٌ كما ثبتَتْ في الراحتـينِ الأصابعُ

عَروضه من الطويل . والغناء لإبراهيم الموصليّ رملٌ بالوسطى عن عمرو ، قال : وأدامَ زيارتها وترك مَن كان يأتيه فيتحدّث إليه غيرَها ، وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف ، فخرج ذات يومٍ يريد زيارتها فلمّا قَرُب من منزلها لقِيَتْه جاريةٌ عَسْراء فتطيّر منها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

وكيف يُرَجَّى وصلُ لَيْلى وقد جرى بجَـدٍّ القُوى والوصلِ أعسرُ حاسِرُ
صَدِيعُ العَصا صَعْبُ المرام إذا انتحى لوصلِ امرىءٍ جُذَّتْ عليه الأواصِرُ[3]

ثم سار إليها في غدٍ فحدّثها بقصّته وطِيرَتِه ممّن لقِيه ، وأنّه يخاف تغيُّرَ عهدِها وانتكاثَه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ ، حاشَ للهِ من تَغَيُّرِ عهدي ، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء اللهُ ، فلم يزل عندها يُحادثها بقية يومه ، ووقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فجاءها يوماً كما كان يجيء ، وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ، تريد بذلك مِحنَتَه وأن تعلم

---

1 ل : وأحفت .

2 الأبيات في شرح أمالي القالي : 961 قال ورواهما غير أبي عليّ :

نهاري نهـار الواهين صبابـة وليليَ تنبو فيه عني المضاجع

وقال المحقق : من قصيدة في الأغاني 17 : 72 لابن الدمينة ، ومنها بيتان في عيون الأخبار 1 : 262 بغير نسبة وستأتي في الأغاني منسوبة لقيس بن ذريح . وفي ديوانه تحقيق الأستاذ راتب النفاخ ، ص 88 .

3 صدع العصا : كناية عن التفرّق .

ما في قلبه ، فلمّا رأى ذلك جَزِعَ جَزَعاً شديداً حتى بانَ في وجهه وعُرِف فيه ، فلمّا خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسرّة إليه فقالت[1] : [من الوافر]

كِلانا مُظهرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبِهِ مَكِينُ

فَسُرِّيَ عنه وعلم ما في قلبها ، فقالت له : إنّما أردتُ أن أمتحِنَكَ والذي لكَ عندي أكثر من الذي لي عندكَ ، وأُعطِي اللهَ عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوقَ الموت إلاّ أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَتْ عنه وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرِّهم عيناً ، وقال : [من الطويل]

أَظُنُّ هواها تارِكِي بِمضَلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِي إليه وصيَّتي ولا صاحبٌ إلاّ المطيَّةُ والرَّحْلُ[2]
مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلَها وحَلَّتْ مكاناً لم يكن حُلَّ مِنْ قَبْلُ

[شعره فيها بعد أن تزوّجت وأيس منها]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أبي العَيْناء عن العُتبيّ قال : لّما حُجبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من بني ثقيفٍ موسِرٌ فزوّجوه وأخْفَوا ذلك عن المجنون ثم نُمِي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقّقه ، فقال[3] : [من الطويل]

دعَوْتُ إلهي دعوةً ما جهِلتُها وربِّي بما تُخفِي الصدورُ بصيرُ
لئن كنتَ تُهدِي بردَ أنيابها العُلا لأفقرَ مِنِّي إنَّنِي لَفَقِيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوَّجَتْ فهل يأتِيَنِّي بالطلاقِ بشِيرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

ألا تِلك لَيْلى العامِريَّةُ أصبَحَتْ تَقَطَّعُ إلاّ من ثَقِيفٍ حِبالُها[5]
همُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتَغى بها المالَ أقوامٌ ألا قَلَّ مالُها
إذا التفتتْ والعِيسُ صُعْرٌ من البُرى بنخلةَ جلّت عبرةَ العينِ حالُها[6]

---

1 خبر الجارية العسراء ، والشعر الذي يتلوه في مصارع العشاق للسراج : ج2 : 46–48 (طبعة دار صادر ، 1958) .
2 صاحب في مصارع العشّاق : ولا وارث .
3 تنسب الأبيات لابن الدمينة . انظر ديوانه تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ وانظر ديوان مجنون ليلى : 140 .
4 الأبيات في مصارع العشّاق 2 : 288 وديوان مجنون ليلى : 227 .
5 حبالها في مصارع العشّاق : وصالها .
6 جلت في مصارع العشاق : خلَّى .

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه : [من الطويل]

صوت

ألاَ أيُّها البيتُ الذي لا أَزُوره وإن حَلَّه شخصٌ إليّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفاً وفيك عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستعتِبُ الأيّامَ فيكَ لعلّها بيومِ سُرورٍ في الزمانِ تؤوبُ

الغناء لعَريبَ ثاني ثقيل بالوسطى . قال : وبلغه أنّ أهلَها يريدون نقلَها إلى الثّقَفِيّ فقال[1] : [من الوافر]

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدى بلَيْلى العامريَّةِ أو يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

عَروضه من الوافر . الغناء لابن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ [أوّل] بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ ، قال : فلمّا نُقِلتْ [ليلى] إلى الثّقفيّ قال : [من الطويل]
[قصيدته العينية]

طَربتَ وشاقتكَ الحُمولُ الدّوافعُ غَداةَ دعا بالبين أسْفَعُ نازعُ[2]
شَحا فاهُ نعباً بالفِراقِ كأنّه حريبٌ سلِيبٌ نازحُ الدار جازِعُ[3]
فقلتُ ألا قد بَيَّنَ الأمرُ فانصرِف فقد راعنا بالبين قبلكَ رائعُ
سُقِيتَ سُمُوماً من غراب فإنّني تبيّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ[4]
ألم تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ ألومُه ولا بِبديلٍ بعدهم أنا قانِعُ

---

1 ورد الشعر في الزهرة 1 : 229 منسوباً لتوبة بن الحمير ؛ وفي شرح الأمالي : 696 منسوباً لنصيب بن رباح أو لقيس بن ذريح . وهو للمجنون في الأمالي 2 : 61 . وانظر ديوان مجنون ليلى 180–182 .

2 هذا البيت مكوّن في الديوان من بيتين :

طربت وهاجتك الديار البلاقع وعادك شوق بعد عامين راجع
وأوقد ناراً في فؤادك محرقاً غداتئذٍ للبين أسفع نازع

الأسفع : صفة للغراب .

3 شحا فمه : فتحه . نعباً في الديوان : نطقاً .

4 سموماً في ل : سماماً . خبرت في الديوان : حاولت .

[ألم تر دارَ الحيّ في رونقِ الضحى بحيثُ انحنتْ للهَضْبَتينِ الأَجارعُ]

وقـد يتناءى الإلْفُ من بعد أُلْفةٍ ويصدَعُ ما بين الخليطين صادِعُ[1]

وكم من هَوىً أو جيرةٍ قد أَلِفتُهُم زمانـاً فلـم يمنعهمُ البينَ مانِعُ[2]

كأنّي غـداةَ البين مَيّتُ جوبةٍ أخو ظمإٍ سُدّت عليه المشارِعُ[3]

تَخَلّسَ مـن أوشال مـاءٍ صُبابةً فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هـو ناقِعُ[4]

وبيضٍ تَطَلَّـى بـالعَبير كأنّـهـا نِعاجُ المَـلا جِيبَتْ عليها البراقعُ[5]

تحمّلنَ من وادي الأراكِ فأومَضَتْ لهـنّ بأطرافِ العيـونِ المدامعُ[6]

فما رِمْنَ ربعَ الدار حتى تشابهتْ هجائنُها والجُونُ منها الخواضعُ[7]

وحتى حملنَ الحُورَ من كلّ جانب وخاضت سُدُولَ الرَّقْمِ منها الأكارِعُ[8]

فلمّا استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانينِ رَادِعُ[9]

أَشَرْنَ بأن حُثّوا الجِمال فقد بدا من الصيفِ يومٌ لافحُ الحرِّ ماتِعُ[10]

فلمّـا لَحِقْنا بالحُمـولِ تباشَرَتْ بنا مُعْصِرَاتٌ غاب عنها المطامعُ

يُعَرِّضْنَ بـالدَّلِّ المَليـحِ وإن يُرِدْ جَناهُـنَّ مشغـوفٌ فهـنَّ مَوانِعُ[11]

فقلتُ لأصحابي ودَمعِيَ مُسْبَلٌ وقـد صَدَعَ الشملَ المشتَّتَ صادِعُ

أَليلَى بأبـوابِ الخُدورِ تعرّضَتْ لِعَيني أم قـرنٌ من الشمسِ طالعُ

[مروره مع ابن عمّ له على حمامة تهدل]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال حدّثنا الهيثم بن فِراسٍ قال حدّثني العُمَريّ عن

1 من بعد أُلفة في ل : من بعد قربه . والشطر الأول في الديوان : «وقد يشعب الألآف من بعد عزة» .

2 جيرةٍ في الديوان : خلة .

3 جوبة : أرض سهلية ملساء . وفي الديوان «رهن منية» .

4 الشطر الأول في الديوان : «تخلّس من يهواه ماء حياته» .

5 الشطر الأول في الديوان : «وبيض غذاهن النعيم كأنّها» . نعاج الملا : البقر الوحشية في الصحراء .

6 الشطر الأول في الديوان : تحملت من ذات التناضب وانبرت» .

7 في الديوان : هجل الدار . الهجائن : الإبل البيض ، والجون : (هنا) السود .

8 الحور : صفة للنساء . السدول : ما يجلل من الهودج . الأكارع : السيقان .

9 رادع : مزوّد بالردع وهو الطيب والخلوق . وفي الديوان «المطي» «طيب الظل» .

10 متع الحرّ فهو ماتع : اشتدّ وطال .

11 جناهن في الديوان : حِماهن .

الهيثم بن عَدِيّ : أنّ أبا المجنون حجَّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ في الموقف أن يُعافِيه ، فسار ومعه ابنُ عمّه زياد بن كعب بن مزاحم ، فمرّ بحمامة تدعو على أَيْكة فوقف يبكي ، فقال له زياد : أيّ شيء هذا ؟ ما يُبْكِيك أيضاً ؟ سِرْ بنا نلحَقِ الرُّفقةَ ، فقال[1] : [من الطويل]

أأن هَتَفَتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ ... بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذِرُ

دعَتْ ساقَ حُرٍّ بعد ما عَلَتِ الضُّحى ... فهاجَ لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ[2]

تُغنّي الضُّحى والصُّبحَ في مُرْجَحِنَّةٍ ... كِثافِ الأعالي تحتها الماءُ حائرُ[3]

كأنّ لم يكن بالغَيْل أو بطنِ أَيْكةٍ ... أو الجزْعِ من ثولِ الأَشاءةِ حاضِرُ[4]

يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هَجَّرُوا ... أَرى الحيّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ[5]

وإنّي وإن غالَ التقادُمُ حاجتي ... مُلِمٌّ على أوطانِ لَيْلَى فَناظِرُ[6]

[هيامه إلى نواحي الشام]

أخبرني [محمد بن مَزيد] بن أبي الأزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البَكريّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شَبيب عن [هارون بن موسى] الفرويّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني ابن المرزُبان عن ابن الهيثم عن العمريّ عن العُتبيّ قالوا جميعاً : كان المجنون وليلى وهما صَبِيّان يَرعَيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التَّوباد[7] ، فلمّا ذهب عقله وتوحَّش ، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به ، فإذا تذكّر أيّام كان يُطيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : بأبي أنتم ، أين التَّوباد من أرض بني عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بني عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فَأُمَّه ، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن ، فيرى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يعرِفهم

1 ديوان مجنون ليلى : 125 .
2 ساق حرّ : ذكر الحمام .
3 مرجحنة : متمايلة (يعني الأغصان) .
4 الغيل وبطن أيكة والجزع : مواضع ؛ وكذلك : ثول الأشاءة . والأشاءة في الأصل نوع من الشجر ؛ والثول : نوع من الشجر أو تجمّع النحل .
5 هجروا : ظعنوا في الهاجرة .
6 غال التقادم حاجتي : أي أنّ تقادم العهد ومضيه قد قضى على حاجتي وذهب بها .
7 في تحديد جبل التوباد والشعر المتّصل به ، انظر معجم البلدان لياقوت ، مادة «توباد» 2 : 55 (طبعة دار صادر) . وانظر الشعر في الزهرة 1 : 295 وفيه بعض الخبر أيضاً .

فيسألهم عن التَّوباد وأرض بني عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من أرض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا ، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ ، فإذا رآه قال في ذلك : [من الطويل]

[شعره عند رؤيته التوباد]

وأجْهَشْتُ للتَّوبادِ حين رأيتُه ... وكَبَّر للرحمنِ حينَ رآنيَ[1]

وأذرَيتُ دمعَ العين لمّا عرفتُه ... ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ ... وعهدِي بذاكَ الصّرم منذ زمانِ[2]

فقال مَضَوْا واستودَعُوني بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثانِ[3]

وإنّي لأبكي اليومَ من حَذَرِي غداً ... فِراقَكَ والحيَّانِ مُجْتَمِعانِ[4]

سِجالاً وتَهْتاناً ووَبْلاً ودِيمَةً ... وسَحّاً وتَسْجاماً إلى هَمَلانِ

[سبب ذهاب عقله]

أخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شبيب عن هارون بن موسى الفَرْوِيّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال : لما قال المجنون : [من الطويل]

خليليّ لا واللهِ لا أملكُ الذي ... قضى اللهُ في لَيْلى ولا ما قَضى لِيا

قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهَلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانِيا

سُلِبَ عَقلَه .

[توهّم أنّ منادياً ينادي ليلى]

وحدّثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصليّ أنّه لمّا قالهما بَرِصَ . قال موسى بن جعفر في خبره المذكور : وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح : يا ليلى في ليلةٍ ظلماءَ أو توهّم ذلك ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِف بليلى ، ثم أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

أقولُ لأدنى صاحِبَيَّ كُلَيمةً ... أُسِرَّتْ من الأَقصى أجِبْ ذا المنادِيا

إذا سِرْتُ في الأرضِ الفَضاءِ رأيتُني ... أُصانِعُ رَحْلِي أن يَمِيلَ حِيالِيا

---

1 ياقوت : وسبَّح ؛ الزهرة : وهلل .

2 ياقوت : فقلت له أين الذين عهدتهم ... بربّك في خَفْض وعيش لِيانِ

3 ياقوت : يغترّ بالحدثان .

4 ياقوت : وأقلق .

5 هناك أبيات متفرّقة في الزهرة 1 : 71 ، 82 ، 85 لعلّها من هذه القصيدة اليائية . وانظر ديوانه .

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شِمالاً يُنازِعْنِي الهَوى عن شِمَالِيا

[شعر له في منى وغيرها]

وقال ابن شبيب وحدّثني هارون بن موسى قال : قلت لغُرَير بن طلحة المخزوميّ : مَن أشعر الناس ممّن قال شعراً في منًى ومكّةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشيُّون ، ولقد أحسن المجنون حيث يقول[1] : [من الطويل]

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من مِنًى ... فهيَّجَ أحزانَ[2] الفؤادِ وما يدرِي

دعا باسم لَيْلى غيرَها فكأنّما ... أطارَ بلَيْلى طائراً كانَ في صدرِي

فقلت له : هل تروي للمجنون غير هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له : [من الطويل]

أما والذي أرْسى ثَبيراً مكانَه ... عليه السَّحابُ فوقه يتنصَّبُ[3]

وما سَلَكَ المومَاةُ مِن كلِّ جَسْرَةٍ ... طليحٍ كجفنِ السّيفِ تَهْوِي فتُركَبُ[4]

لقد عشْتُ مِنْ لَيْلى زماناً أُحِبُّها ... أخا الموت إذ بعضُ المحِبِّين يكذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد [بن إسحاق] عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو ، وأنشَد للمجنون[5] : [من الطويل]

صوت

أبى القلبُ إلاّ حُبَّهُ عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

تكادُ يدِي تَنْدى إذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

الغناء لعريب ثقيل أوّل ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيف ثقيلٍ .

[ليلى تتزوّج رجلاً من ثقيف]

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن دماذ عن أبي عبيدة قال : خطب ليلى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيفٍ موسرٌ فرضيته ، وكان جميلاً فتزوّجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك[6] : [من الطويل]

---

1 البيتان في الزهرة : 238 وانظر ديوانه : 56 .
2 الزهرة : أطرابَ (وكتبت هناك خطأ أطرار) .
3 يتنصّب : يعلو .
4 الجسرة : الناقة القوية ، طليح : متعبة من كثرة السير .
5 يرد البيت الثاني في قصيدة لأبي صخر الهذلي (شرح ديوان الهذليين 2 : 957) وفي الشرح أنّه للمجنون .
6 انظر مصارع العشّاق 2 : 288 وديوانه : 56-57 .

ألا إنّ لَيْلى كالمَنِيحَةِ أصبحَتْ ... تَقَطَّعُ إلاّ من ثقيفٍ حبالُها[1]
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغَى ... بها الربحَ أقوامٌ تَساحَتَ مالُها[2]
خليليّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانِها ... يُدَنّي لنا تكليمَ لَيْلى احتيالُها
فإن أنتما لم تَعْلَماها فلستُما ... بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُها
كأنّ مع الركبِ الذينَ اغتَدَوْا بها ... غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمالُها
نظرتَ بمُفْضى سَيلِ جَوْشَنَ إذ غَدَوا ... تَخُبُّ بأطرافِ المَخارِمِ آلُها[3]
بشافيةِ الأحزان هيَّج شوقَها ... مُجامَعَةُ الأُلاّفِ ثم زِيالُها
إذا التفتتْ من خَلْفِها وهي تَعْتَلي ... بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حالُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال : وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال[4] : [من الطويل]

صوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ ... بذِكْراكِ والمَمْشى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشاةُ بظِنَّةٍ ... وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُرِيبُ
فقد جعلتْ نفسي ، وأنتِ اجترمتِه ... وكنتِ أعزَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزلْ ... لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ
أما والذي يَبْلُو السرائرَ كلَّها ... ويعلَمُ ما تُبْدِي به وتَغِيبُ
لقد كنتِ ممّن تَصْطَفِي النفسُ خُلَّةً ... لها دونَ خُلاَّنِ الصَّفاء حُجُوبُ

ذكر يحيى المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ثقيل أوّل ، وقال الهشاميّ : إنّه من منحول يحيى إليه .

[خبر أبي الحسن الببغاء والمرأة التي أحبّت صديقاً له من قريش]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحَسَن بن محمد بن طالب الدِّيناري قال حدّثني إسحاق الموصليّ ، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البَبَّغاء قال : بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً ، إذا بِظلّ نسوة في القمر ، فسمعتُ إحداهنّ تقول : أهو هو ؟ فقالت لها أُخرى معها : إي

1 المنيحة : الهبة (شاة تمنح وترد إذا انقطع لبنها) .
2 تساحت مالها : ذهب مالها واستؤصل .
3 جوشن : اسم جبل . غدوا في ل : والضحى . المخارم : الطرائق في الجبال . الآل : السراب .
4 ديوان مجنون ليلى : 51 .

والله إنّه لهو هو ! فدنت منّي ثم قالت : يا كهلُ ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليستْ لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ كما عهدتَ ولا أيامُ ذي سَلَمِ[1]

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ ، فقال : قد والله قُطِعَ بي وأُرتج عليّ فأجبْ عنّي ، فقلت[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلي ، فإذا أنا بجويريةٍ تجذِب ردائي فالتفتُّ ، فقالت لي : المرأة التي كلّمتَها تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ ، وقد ثَنَتْ لي وسادةً فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيّةٍ فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلستْ عليها ، فقالت لي : أنت المجيب ؟ قلت : نعم ، قالت : ما كان أفظَّ لجوابكَ وأغلظَه ! فقلت لها : ما حضرني غيره ، فسكتَتْ ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من إنسان كان معك ، فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحبِّين ، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ ، فقلت : أنا الضامن وعليّ أن آتِيَكِ به في الليلة القابلة فانصرفتُ ، فإذا الفتى ببابي ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : ظننتُ أنّها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنّكَ عندها ، فجلستُ أنتظركَ ، فقلت له : وقد كان الذي ظننتَ ، وقد وعدتُها أن آتيكَ فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة ، فلمّا أصبحنا تهيّأنا وانتظرنا المساءَ ، فلمّا جاء الليل رحَلنا إليها ، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا ، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها ، فإذا رائحةٌ طيّبة ومجلسٌ قد أُعِدّ ونُضّد ، فجلسنا على وسائد قد ثُنيتْ [لنا] ، وجلستْ مَلِيّاً ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليّاً ثم قالت[3] : [من الطويل]

صوت

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ
وأبرزتَني للناسِ ثم تركتَني لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سَليمُ
فلو كان قولٌ يَكلُمُ الجلدَ قد بدا بِجِلْدِيَ مِن قولِ الوشاةِ كُلُومُ

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدُّمَينة ، وفيها غناء لإبراهيم الموصليّ ذكره إسحاق ولم يُجنّسه . وقال الهشاميّ : هو خفيف رملٍ . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم

1 خاخ في ل : جمع .
2 البيت لكثير من تائيته المشهورة .
3 وردت الأبيات في البيان والتبيين 3 : 370 ؛ والديوان 3 : 55 .

الوادِي وإلى يعقوب . قال : ثم سكَتَتْ وسكت الفتى هُنيهةً ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أخُنْ … وفي بعضِ هـذا للمحبّ عَزاءُ
جزيتُكِ ضِعْفَ الودّ ثم صَرَمتِني … فحبُّـكِ مِـن قلبـي إليكِ أَداءُ

فالتفتت إليّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفّ ، ثم أقبلتْ عليه وقالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصلِي حينَ جَدّتْ عَمايتِي … فهلاّ صرَمتَ الحبـلَ إذ أنا أُبصِرُ
ولِي من قُوى الحبل الذي قد قطعتَه … نصيبٌ وإذ رأيـي جميـعٌ مُوفَّرُ
ولكنَّمـا آذنـتَ بـالصَّرْم بغتَـةً … ولستُ على مثل الذي جئتَ أَقدِرُ

الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، فقال : [من الطويل]

لقد جعلتْ نفسِي ، وأنتِ اجترمتِه … وكنت أعزَّ النـاس ، عنكِ تطيبُ

قال : فبكت ، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك ؟ لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتت إليّ وقالت : قد علمتُ أنّك لا تفِي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ، وإنّما ذُكِر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر إلى سِياقَةِ أخبار المجنون

[رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ أنّ رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ لهم بحيّ ليلى ، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقدِم على الإلمام بهم وعدَلَ أهلُه إلى جهة أُخرى ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَـل الذي … مـررتُ ولم أُلمِمْ عليـه لَشائِقُ[2]
وبالجَزْعِ مـن أعلى الجنيبةِ منزلٌ … شَجا حَزَنٍ صدرِي بـه مُتَضايِقُ
كأنّي إذا لم أَلـقَ لَيْلى مُعَلَّـقٌ … بسبَّين أهفُو بـين سَهْـلٍ وحالِقُ

1 ديوان مجنون ليلى ، طبعة دار صادر ، ص 155 .
2 منها بيتان في مصارع العشاق 2 : 244 .

على أنَّنِي لو شئتُ هاجت صبابتي ... عـليّ رسومٌ عـيّ فيهـا التّناطُقُ
لَعمْرُكِ إنّ الحبَّ يـا أُمَّ مالكٍ ... بقلبـي بـراني اللهُ منـه لَلاصِقُ[1]
يَضمُّ عليّ الليـلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضَمَّ أطـرافَ القميصِ البَنائِقُ

صوت

[من الطويل]

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنّني لكِ عاشِقُ
نَعَم صدقَ الواشون أنتِ حبيبةٌ ... إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

الغناء لمتيَّمَ ثقيل أوّل من جامعها . وفيه لدِعامةَ رملٌ عن حَبَشٍ .

[حديث ليلى مع جارة لها من عقيل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أحمد بن الطَّيِّب قال قال ابن الكلبيّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفي يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به ، فتنفَّستْ ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المِسواك ؛ فقالت لها جارتها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بن الملوّح ، وبكت ثم نزعتْ ثيابها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيحَه ، لقد عَلِق منّي ما أهلكه من غير أن أستحقَّ ذلك ، فنشدتُكِ الله ، أصدَق في صفتي أم كَذب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنون قولُها فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

نُبِّئتُ لَيْـلى وقـد كنّـا نبخّلها ... قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خربا
وحبَّـذا راكـبٌ كُنّـا نَهَشُّ بـه ... يُهدِي لنا من أَراكِ الموسمِ القُضُبا
قالتْ لجارتِهـا يومـاً تُسائِلُها ... لَمّا استَحَمَّتْ وأَلقَتْ عندها السَّلبا
يـا عَمْرَكِ اللهَ ألاّ قُلْـتِ صادقـةً ... أَصَدَقَتْ صِفـةُ المجنونُ أَمْ كذبا

ويروى : «نشدتُكِ اللهَ» ويروى : «أصادقاً وصفَ المجنونُ أم كذبا» .

[سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعراً]

وقال أبو نصر في أخباره : لّما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر : أنتَ ممّن يُشَيِّع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غداً ، ضَحْوةً أو الليلة ، فبكى [المجنون] ثم قال : [من الوافر]

---

1 براني في ل : جراني .
2 ديوان مجنون ليلى : 82 .

صوت

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدَى ... بلَيْــلى العامريّــةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شرَكٌ فباتــتْ ... تُجاذِبه وقــد عَلِــقَ الجناحُ

الغناء ليحيى المكّي خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رمل ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكّيّ ؛ وقال حَبَش : فيه خفيف ثقيل [بالوسطى] لسليم .

[وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حدّثني عبد الله بن عيّاش الهَمدانيّ قال حدّثني رجلٌ من بني عامر قال : مُطِرنا مَطَراً شديداً في ربيع ارتبعْناه ، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلاً جالساً حَجْرةً وحدَه فقصدْتُه ، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكي فوعظتُه وكلّمتُه طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرْقَتَه[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذ جرى ... وفاضَتْ لــه مــن مُقْلَتَيَّ غُروبُ[2]
ومــا ذاكَ إلاّ حــينَ أيقنــتُ أنّه ... يكــونُ بــوادٍ أنــتِ فيــه قريبُ
يكــونُ أُجاجــاً دونكــم فإذا انتهى ... إليكــم تَلَقَّــى طيبَكــم فيطيبُ
أَظَــلُّ غريبَ الدارِ في أرضِ عامـرٍ ... ألا كلُّ مهجــورٍ هنــاكَ غَريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ مــن أيمنِ الحمَى ... إلــيّ وإن لم آتــه لحبيبُ
فَــلا خيرَ في الدنيا إذا أنــتَ لم تَزُر ... حبيبــاً ولم يَطــرَبْ إليــكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة ، وفيه أيضاً غناء : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزوره ... وهِجْرانُــه منّــي إليــه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً ... وفيــكَ عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستَعْطِفُ الأيّامَ فيكَ لعلّها ... بيــومِ سرورٍ في هواكَ تُثيبُ

1 ديوان مجنون ليلى : 52–53 .
2 غروب : جمع غرب ، وهو الدمع ، وهو أيضاً سجل الماء .

هذه الأبيات في شعر محمد بن أُمَيَّةَ[1] مَرْوِيَّةٌ ، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون [في هذه القصيدة] . وفيها لِعَريب ثقيل أوّل . ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيل . ولأحمد بن المكّيّ خفيف ثقيل : [من الطويل]

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حالَ يأسٌ دونَ لَيْلى لربَّما أتى اليأسُ دون الأمرِ فهو عَصِيبُ[2]
ومَنَّيْتِني حتى إذا ما رأيتني على شَرَفٍ للناظرين يَرِيبُ
صدَدتِ وأشمَتِّ العدوَّ بصرْمِنا أثابكِ يا لَيْلى الجزاءَ مُثيبُ

[لقاؤه في توحشه ليلى فجأة وشعره في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثنا مَهديّ بن سابق قال حدّثنا بعض مشايخ بني عامر أنّ المجنون مرّ في توحُّشه فصادف حيَّ ليلى راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصَعِقَ وخرّ مغشيّاً على وجهه ، وأقبل فِتيانٌ من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وقفةً ، فرقَّتْ لِما رأتْه به ، وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أُفتضِحَ به ، ولكن يا فلانة ، لأمَةٍ لها ، اذهبي إلى قيس فقولي له : ليلى تقرأُ عليك السلام ، وتقول لك : أعزِزْ عليّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاء دائكَ لوقَيْتُكَ بنفسي منه ، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أَبْلِغيها السلام وقولي لها : هيهاتَ ! إنّ دائي ودوائي أنتِ ، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديكِ ، ولقد وكَّلْتِ بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً . ثم بكى وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أقول لأصحابي هي الشمس ضوؤُها قريبٌ ولكن في تَناوُلِها بُعدُ
لقد عارضتنا الريحُ منها بنفحةٍ على كَبِدي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشِيّاً عليّ وقد مَضَتْ أناةٌ وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأيدي وأهلي بِعَوْلَةٍ يُفدُّونني لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبقَ إلاّ الجلدُ والعظمُ عاريا ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جِلدُ

1 محمد بن أميّة شاعر غزل مأموني ، ترجمته في معجم الشعراء : 354 والوافي للصفدي 2 : 229–230 وطبقات ابن المعتزّ : 322 .
2 فهو عصيبُ في ل : فهو قريب .
3 ديوان مجنون ليلى : 97–98 . وردت هذه الأبيات فيما تقدم من هذا الجزء ص 18 بلفظ وترتيب مختلفين .

أَدُنيايَ ما لي في انقطاعي وغُربتي إليكِ ثوابٌ منكِ دَيـنٌ ولا نَقْدُ
عِدِيني ، بنفسي أنتِ ، وعْداً فربَّما جَلا كُربةَ المكروبِ عن قلبهِ الوعدُ
وقـد يُبتـلى قـومٌ ولا كَبليّتـي ولا مثلَ جَدِّي في الشقاءِ بكم جَدُّ
غَزَتني جنودُ الحبّ من كلّ جانبٍ إذا حانَ من جندٍ قُفُولٌ أتى جُنْدُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنيّ يقول قال نوفل بن مُساحق : أُخبِرتُ عن المجنون أنّ سبب توحّشه أنّه كان يوماً بِضَرِيَّةَ جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل : [من الوافر]

كِلانـا يا أُخَـيّ يُحِبُّ لَيلى بِفِيَّ وفِيكَ من لَيْلَى الترابُ
لقـد خَبَلتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ بقلبي فهـو مَهمومٌ مُصابُ
شَرِكتُكَ في هَوى مَن ليس تُبدِي لنا الأيّامُ منه سِوَى اجتنابُ

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

قال : فتنفّس الصُّعَداء وغُشي عليه ، وكان هذا سبب توحّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفل بن مساحق . قال نوفل : قدِمتُ الباديةَ فسألتُ عنه ، فقيل لي : توحَّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندرِي إلى أين صار ، فخرجتُ يوماً أتصيَّدُ الأرْوى ، ومعي جماعةٌ من أصحابي ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَراكةٍ عظيمةٍ قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء ، فيها شخص إنسان يُرى من خَلَلِ تلك الأراكة ، فعجِب أصحابي من ذلك ، فعرفتُه وأتيته وعرفتُ أنّه المجنون الذي أُخبِرتُ عنه ، فنزلتُ عن دابتي وتخفَّفتُ من ثيابي وخرجتُ أمشي رُويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء ؛ فإذا به وقد تدلّى الشعَرُ على وجهه ، فلم أكد أعرفُه إلاّ بتأمّل شديد ، وهو يرتَعِي في ثمر تلك الأراكة ، فرفع رأسَه فتمثَّلتُ ببيت من شعره[1] : [من الطويل]

أَتَبكِي على ليلى ونفسُك باعَدتْ مَـزارَكَ مِـن ليلى وشَعْباكُما معاً[2]

قال : فنفَرَتِ الظباء ، واندفع في باقي القصيدة يُنشِدُها ، فما أنسى حُسن نَغمته وحُسن صوته وهو يقول : [من الطويل]

1 هذه الأبيات في حماسة أبي تمام (شرح التبريزي 2 : 112–114) ط . بولاق ليزيد بن الطرفة باختلاف يسير في الترتيب ، وسقوط البيتين 6 ، 7 هنا وفي شرح المرزوقي للصمة القشيريّ ؛ وسترد منسوبة للصمة في ترجمته من كتاب الأغاني ، وتنسب أيضاً إلى قيس بن ذريح .

2 الحماسة : أتبكي على ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا ، وفي رواية حضنت إلى ريا . . .

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمـرَ طائعاً وتَجْزَعَ أن داعـي الصبابةِ أسمعا
بكتْ عَينيَ اليسرى فلمّا زجرتُها عن الجهلِ بعـد الحلمِ اسبلَتا معا
وأذكـرُ أيّامَ الحِمَـى ثـم أَنْثَني على كَبِدي من خَشيةٍ أن تَصدَّعا
فليسَتْ عَشِيّاتُ الحِمـى برواجعٍ عليكَ ولكن خَـلِّ عينيكَ تَدمَعا
معي كلُّ غِرٍّ قـد عصَى عاذلاته بوصل الغَواني من لَدُنْ أن تَرعرَعا
إذا راح يمشي في الرداءين أسرَعتْ إليـه العيـونُ الناظـراتُ التطلُّعا

قال : ثم سقط مغشيّاً عليه ، فتمثّلتُ بقوله[1] : [من البسيط]

يا دارَ ليلى بسِقْطِ الحيّ قد دَرَسَتْ إلاّ الثُّمـامَ وإلاّ مَوْقِـدَ النّارِ
ما تفتأ الدهرَ من لَيْلى تموتُ كذا في موقـف وقفتْـه أو على دارِ
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحم ذِكْرُكَها كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ الباري[2]

فرفع رأسه إليّ وقال : مَنْ أنت حيّاك الله ؟ فقلت : أنا نوفل بن مساحق ، فحيّاني فقلت له : ما أحدثتَ بعدي في يأسِكَ منها ؟ فأنشدني يقول[3] : [من الطويل]

ألا حُجِبَتْ لَيْلى وآلى أميرُها عليّ يميناً جاهـداً لا أزورُها
وأوعدني فيها رجـالٌ أبوهُمُ أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدورُها
على غير جُـرمٍ غيرَ أنّي أُحِبُّها وأنَّ فؤادي رهنُهـا وأسيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : لما قال مجنون بني عامر : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتـلاني بحبِّها فهـلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانيا

نُودِي في الليل : أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ؟ واختُلِسَ عقلُه فتوحّشَ منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها . وفيها أيضاً عدّة أبيات يُغَنَّى فيها ، فمن ذلك[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 67 .
2 القدح : السهم ؛ الشوحط : من أنواع النبع الصالح لصنع القسيّ .
3 ديوان مجنون ليلى : 146 ببعض اختلاف .
4 انظر الزهرة : 67 ، 70 ، 82 ، 85 ، 185 .

[قصيدته اليائية]

صوت

أَعُــدُّ الليالي ليلــةً بعــد ليلـــةٍ وقــد عِشْتُ دهراً لا أَعُــدُّ اللّيالِيا
أَراني إذا صَلَّيْتُ يمّمْتُ نحوَهــا بوجْهِي وإن كان المصلَّى ورائِيا
وما بِــيَ إشراكٌ ولكــنَّ حبَّهــا كعُودِ الشّجَا أعيا الطبيبَ المُداوِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مــا وافق اسمَها وأشبَهــه أو كان منــه مُدانِيــا

في هذه الأبيات هزج خفيف لمعان معزفي [؟] : [من الطويل]

صوت

وخبّرتمانِـــي أنّ تيمــاءَ منـــزلٌ للَيْلى إذا مــا الصيفُ ألقَى المراسيا
فهذي شهورُ الصّيفِ عنّي قد انقضَتْ فما للنَّوى تَرمِـي بليــلَى المراميا

في هذين البيتين لحن من الرمل صنعَته عجوزُ عُمير الباذَغِيسِي[1] على لحن إسحاق :

أَمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ

وله حديث قد ذُكر في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لأنّه أشْهَرُ في أيدي الناس ، وإنّما هو لحن إسحاق أُخِذ فجُعِل على هذه الأبيات وكيدَ بذلك : [من الطويل]

صوت

فلـــو كان واشٍ باليمامـــة بيتُه وداري بأعلَى حَضْرَمَوْتَ اهتدَى لِيا
وماذا لهم ، لا أحسنَ اللهُ حالَهُمْ ، مـن الحظّ في تَصْريم لَيْلى حِبالِيا
فأنتِ التي إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتي وإن شئتِ بعــدَ اللهِ أنعمتِ بالِيا
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً يَرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلاّ رَثَى لِيا
أَمَضروبةٌ لَيْلى على أن أزورَهـــا ومُتَّخَــذٌ ذنبـــاً لهــا أن تَرانِيا
إذا سِرْتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُنِي أُصانِعُ رَحْلِي أن يَميلَ حِيالِيا
يميناً إذا كانت يمينــاً وإن تكن شِمالاً يُنازِعْنِي الهوى عن شِمالِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مــا وافقَ اسمَها وأشبَهَـــهُ أو كان منــه مُدانِيا
هــي السحرُ إلاّ أنّ للسحرِ رُقْيَةً وإنِّـــيَ لا أُلْفِي لهــا الدهرَ راقِيا

---

1 الباذغيسي : نسبة إلى باذغيس من أعمال هراة .

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

تكادُ يدِي تَنْدَى إذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

أبـى القلبُ إلاّ حبَّها عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لِعَريب ثقيل أوّل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

[رثاؤه لأبيه]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال : أنشدني جماعةٌ من بني عُقَيل للمجنون يرثي أباه ، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات[2] : [من الطويل]

عقَـرتُ على قبر الملـوّح ناقتي ... بِذي السَّرْحِ لمّا أن جَفتْه أقاربُهْ

وقلتُ لهـا كـوني عقيراً فإنّني ... غـداةَ غـدٍ ماشٍ وبالأمسِ راكبُهْ

فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يـا ابنَ مزاحمٍ ... وكلُّ امرىءٍ لِلْموتِ لا بدّ شاربُهْ

فقد كنتَ طَلاّعَ النِّجادِ ومُعْطِيَ الْـ ... ـجيادِ وسيفـاً لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ

[وعظه جعدي فقال شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغني أنّ رجلاً من بني جعدةَ بن كعب كان أخاً وخِلاًّ للمجنون ، مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الأرض ويعبَثُ بالحصى ، فسلّم عليه وجلس عنده ، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه ، وهو ينظر إليه ويلعب[3] بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه ، فلمّا طال خطابه إيّاه قال : يا أخي ، أما لكلامي جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنّك تُكلّمني فاعذِرْني ، فإنّي كما ترى مذهوبُ العقلِ[4] مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

وشُغِلتُ عن فَهم الحديث سِوى ... مـا كان منـكِ فإنّـه شُغْلِي

وأُدِيـمُ لَحْـظَ مُحَدِّثي ليرى ... أنْ قـد فهمـتُ وعندكم عَقْلِي

1 سبق أن ورد البيتان بترتيب معكوس فيما تقدّم من هذا الجزء .

2 وردت ثلاثة من هذه الأبيات فيما تقدّم من هذا الجزء غير متّصلة القوافي بالهاء .

3 ل : ويعبث .

4 ل : مذهوب بي .

[شعره عند تجاوب حمام]

الغناء لِعَلُّويَهْ . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ في أيّام الربيع وحمامُه يتجاوب فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَ الأيكِ ما لكَ باكياً … أفارقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ

دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمَتْ … هَتُوفُ الضحى بين الغصون طَروبُ

تُجاوِبُ وُرْقاً قد أذِنَّ لصوتِها … فكلٌّ لِكلٍّ مُسْعِدٌ ومُجيبُ[1]

الغناء لرذاذ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى .

[زيارة قيس لليلى عندما غاب زوجها]

وقال خالد بن حمل : حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوج ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكّة ، فأرسلتْ ليلى بأمَةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السَّحَر ، وقالت له : سِرِ إليّ في كلّ ليلة ما دام القومُ سَفْراً ، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلة لَقِيها وودّعتْه : [من الطويل]

تمتّعْ بلَيْلى إنّما أنتَ هامةٌ … من الهامِ يدنو كلَّ يوم حِمامُها[2]

تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنّهم … متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

[مرض ولم تعده ليلى]

وقال الهيثم : مَرِض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده ، فقال[3] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِلَيْلى لا تُرى عند مَضْجَعِي … بليلٍ ولا يَجْرِي بها لِيَ طائرُ

بلى إنّ عُجْمَ الطير تجري إذا جَرَتْ … بلَيْلى ولكن ليس للطير زاجرُ

أحالَتْ عنِ العهدِ الذي كان بيننا … بذي الرِّمْثِ أم قد غيّبَتْها المقابرُ[4]

الغناء لسُليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 أذِنّ لصوتها : أصغين لها .
2 يقال : فلان هامة اليوم أو غد أي أنّه قريب من الموت ، لا يعمّر طويلاً .
3 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .
4 ذو الرمث : اسم وادٍ ، سمّي كذلك لأنّ فيه شجر الرمث . وفي رواية بذي الأثل .

فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البُعدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ
وواللهِ مـا أدري بأيّـةِ حِيلـةٍ ... وأيّ مَـرامٍ أو خِطـارٍ أُخاطِرُ
وواللهِ إنّ الدهـرَ في ذاتِ بَينِنا ... عـليّ لهـا في كلّ أمـرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمَعْتِ هَجْري تركتِني ... جميعَ القُوى والعقلُ منّـيَ وافرُ
ولكـنَّ أيّامـي بحَقْـلِ عُنَيزَةٍ ... وذِي الرِّمثِ أيّامٌ جناهـا التجاوُرُ
فقـد أصبحَ الودُّ الذي كان بيننا ... أمـانيَّ نفس إن تَخَبَّـرَ خابرُ[1]
لعَمْري لقـد أرْهَقْتِ يا أُمَّ مالكٍ ... حياتـي وساقَتْني إليـكِ المقادِرُ

[خبر الظبي الذي ذكّره ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حدّثني بعض بني عُقيل قال : قيل للمجنون أيّ شيءٍ رأيته أحبُّ إليك ؟ قال : ليلى ، قيل : دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها ، قال : والله ما أعجبني شيء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلاّ سقطَ من عيني وأذهب ذكرُها بشاشَتَه عندي ، غير أنّي رأيتُ ظبياً مرّةً فتأمّلته وذكرتُ ليلى فجعل يزداد في عيني حُسناً ، ثم إنّه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّي فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرميته بسهم فما أخطأتُ مقتله ، وبقَرتُ بطنه فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقيّة شِلْوه ، ودفنتُه وأحرقتُ الذئب ، وقلت في ذلك[2] : [من الطويل]

أبـى اللهُ أن تبقـى لحـيّ بشاشةٌ ... فصبراً عـلى مـا شاءه اللهُ لي صبرا
رأيتُ غزالاً يرتَعِـي وَسْطَ روضـةٍ ... فقلـتُ أرى لَيْلى تراءتْ لنـا ظُهْرا
فيا ظبيُ كُلْ رَغْـداً هنيئاً ولا تخفْ ... فإنّكَ لي جـارٌ ولا تَرْهَـبِ الدهرا
وعندي لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ ... حُسامٌ إذا أعملتـهُ أحسنَ الهَبْرا
فما راعني إلاّ وذئبٌ قـد انتَحـى ... فأعلَـقَ في أحشائـه النابَ والظُّفْرا
ففوّقـتُ سهمي في كَتُـوم غَمَزْتُها ... فخالط سهمي مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرا[3]
فأذهب غيظي قتلُـه وشفـى جَوىً ... بقلبيَ إن الحـرَّ قـد يُـدركُ الوِتْرا

1 الديوان : والمؤمل حائر .
2 ديوان مجنون ليلى : 171 .
3 كتوم : صفة للقوس حين لا تصوّت .

[بلغه أنّ زوج ليلى سبّه فقال فيه شعراً]

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنَّ زوج ليلى ذكره وعضهه[1] وسبّه وقال : أَوَ بَلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبّة ليلى ويُنَوِّهَ باسمها ؟ فقال لِيَغيظَه بذلك : [من الطويل]

فإن كان فيكم بعلُ لَيْلى فإنّني وذي العرشِ قد قبّلتُ فاها ثمانيا
وأشهَدُ عندَ الله أنّي رأيتُها وعشرونَ منها إصبعاً مِنْ ورائيا
أليسَ من البلوى التي لا شَوى لها بأن زُوِّجَتْ كلباً وما بُذِلتْ ليا[2]

[خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه إلى جهة رهط ليلى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : خرج المجنون في عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم ، فمرّوا في طريق يتشعّب وِجهَتين : إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادة مرحلةٍ ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأَبوْا ، فمضى وحده وقال[3] : [من الطويل]

صوت

أأتركُ ليلى ليسَ بيني وبينها سوى ليلةٍ إنّي إذاً لَصَبُورُ
هَبُوني امرأً منكم أضلَّ بعيرَه لـه ذِمَّـةٌ إنّ الذِّمـامَ كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عـن لَيْلى الغداةَ فإنّها إذا وَلِيَتْ حُكمـاً عليّ تَجُورُ

الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش ، وفيه لابن المارقيّ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وفيه لعَلُّويَهْ رَمَلٌ بالبِنصر .

[هتفت حمامة فقال شعراً]

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه : أنّ المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمّه وهو وَلِهٌ يتلظّى ويتململُ وهم يَعِظونه ويُحادثونه ، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ كانت بإزائهم ، فوثب قائماً وقال : [من الطويل]

---

1 عضهه : تنقصه بسبّ أو ذمّ .
2 بلوى لا شوى لها : أي لا بلوى بعدها .
3 ديوان مجنون ليلى : 139 .

صوت

لقد غَرَّدَتْ في جنحِ ليل حمامةٌ ... على إلفهـا تبكـي وإنّـي لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لَما سَبَقَتْنِـي بالبكـاءِ الحمائمُ

ثم بكى حتى سقط على وجهه مَغْشيّاً عليه ، فما أفاق حتى حَمِيَت الشمسُ عليه من غدٍ .
الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى .

[في رمل يبرين]

وذكر أبو نصر عن أصحابه أنّ رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يَبْرِينَ[1] يُخطّط فيه ، فوقف عليه متعجّباً منه وكان لا يعرفه ، فقال له : ما بك يا أخي ؟ فرفع رأسَه إليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيامُ أصابني ... فَإِيّاكَ عنّي لا يكُنْ بكَ ما بِيا
كأنّ جفونَ العينِ تَهْمي دموعُها ... غداةَ رأتْ أظعانَ لَيْلى غوادِيا
غُروبٌ أمرَّتْها نواضحُ بُـزَّلٌ ... على عَجَلٍ عُجْم يُروِّينَ صادِيا

[الهوى اليماني]

وقال خالد بن حمل : ذكر حماد الراوية أنّ نفراً من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون ، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أيُّها الركبُ اليَمانُونَ عرِّجوا ... علينـا فقـد أمسى هوانـا يمانِيا
نُسائِلْكُم هـل سالَ نَعْمانُ بعدنا ... وحَـبَّ إلينا بطـنُ نَعْمانَ وادِيا

يقول في هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَيْ قَصْرِ وَدّانَ هِجْتُما ... عـليّ الهـوى لَمّـا تغنّيتُمـا لِيا
فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبِي ولم أكنْ ... أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خالِيا

غنّى في هذين البيتين عَلُّويَهْ غناء لم يُنسب . [من الطويل]

فواللهِ إنّـي لا أُحِبُّ ، لغير أن ... تَحُلّ بهـا لَيْـلى البِراقَ الأعالِيا
ألا يا خليلي حُبُّ لَيْلى مُجشّمِي ... حياضَ المنايا أو مُقيـدي الأعادِيا

---

1 يبرين : من منطقة الأحساء في شرقي الجزيرة العربية .

ويـــا أيّها القُمْرِيَّتـــان تَجاوَبـا بلَحْنيكما ثـم اسجَعـا عَلَّلانِيا
فـإن أنتمـا استَطْرَبتما وأردتُمـــا لَحاقـاً بأطـراف الغَضا فاتْبعانِيا

[زوج ليلى يرحل بها]

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنّه غادٍ بها فقال : [من الطويل]

صوت

أمُزمِعةٌ للبين لَيْلى ولم تَمُتْ كأنّكَ عمّا قـد أظلَّك غافلُ
ستَعلم إن شطَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوى وزالـوا بلَيْـلى أنّ لُبّك زائلُ

الغناء للزبير بن دَحمان ثقيل أوّل بالوسطى .

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثني جماعة من بني قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاماً[1] شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك ، فدخل إليه أبوه يعلّله فوجده يُنشِد هذه الأبيات ويبكي أحرَّ بكاء ويَنشِج أحرَّ نشيج[2] : [من الطويل]

ألا أيّها القلبُ الذي لجَّ هائِماً بلَيْـلى وليـداً لم تُقطَّـعْ تمائمُه
أفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنَى لحالـكَ أن تلقـى طبيباً تلائمُه
فما لَكَ مسلوبَ العَزاء كأنّما تَرى نأيَ لَيْلى مَغْرَماً أنتَ غارِمُه
أَجِـدَّكَ لا تُنسيكَ لَيْـلى مُلِمَّـةٌ تُلِـمُّ ولا يُنسيك عهـداً تَقادُمُه

قال : ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها ، فلمّا رآهم يرتحلون بكى وجزع ، فقال له أبوه : ويحك ، إنّما جئنا بك مُتخفّياً ليتروّح بعضُ ما بك بالنظر إليهم ، فإذا فعلتَ ما أرى عُرِفْتَ ، وقد أهدرَ السلطان دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرف ؛ فقال : ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا باكٍ فانصرِفْ بنا ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

صوت

ذُدِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحيّ إنّما دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنّ دموعَ العين يـومَ تحمَّلوا جُمانٌ على جَيب القميص يسيلُ

---

1 ل : سقماً .

2 ديوان مجنون ليلى : 248 .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابيّ للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ لَيْلى أطفأتْ حَرَّ زَفْرةٍ ... أُعالجها لا أستطيع لها رَدّا
إذا الريحُ من نَحوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا ... وجدتُ لَمَسْراها ومَنْسَمِها بَرْدا
على كبِد قد كاد يُبدِي بها الهوَى ... نُدُوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا[2]

هذا البيت الثالث خاصّةً يُروى لابن هَرْمة[3] في بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق ، أوّله :

أفاطمَ إنّ النّأيَ يُسلي من الهَوى[4]

وقد أُخرج في موضع آخر . غنّى في هذين البيتين عبدُ آل الهذليّ[5] ، ولحنُه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة : [من الطويل]

وإنّي يَمانيُّ الهوى مُنجِدُ النَّوى ... سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدا
سقى اللهُ نَجداً من رَبيعٍ وصَيِّفٍ ... وماذا يُرَجَّى من ربيع سقى نَجْدا
بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرّةً ... وللصَّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدا[6]
أبى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكرِ نسوةٍ ... رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤْماً ولا نُكْدا
إذا رُحنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ... ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْدا
مَشى عَيطَلاتٌ رُجَّحٌ بخصورِها ... رَوادفُ وَعْثاتٌ تردُّ الخُطا رَدّا[7]
وتَهتزّ لَيْلى العامريّةُ فوقَها ... ولاثتْ بسِبّ القَزّ ذا غُدُرٍ جَعْدا[8]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 119–120 .

2 قرّر أبو الفرج أنّ هذا البيت وحده لابن هرمة ، ولكن جامع الديوان ، أورد له قبله ثلاثة أبيات أُخرى لم ترد هنا (ديوانه : 95–96) . وانظر الأغاني 2/579 من هذه الطبعة .

3 ابن هرمة : إبراهيم بن هرمة وهو أحد الشعراء المحدثين ، وستأتي ترجمته في الأغاني ؛ جمع ديوانه محمد جبار المعيبد ؛ النجف 1969 .

4 يسلي من الهَوى في الديوان : يسلي ذوي الهوى .

5 ل : عبدان الهذلي (وهو خطأ) .

6 منزلة حمدٌ أي منزلة محمودة .

7 عيطلات جمع عيطلة وهي الطويلة العنق . وعثات : لينات .

8 لاثت : لفّت ؛ السبّ : الخمار ؛ الغدر جمع غديرة وهي الذؤابة أو الخصلة من الشعر .

إذا حَرَّكَ المِدرَى ضَفائرَها العُلا مَجَجْنَ نَدى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدا

وأخبار الهُذليَّين[1] تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلاّ تنقطع أخبار المجنون ، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تُذكر أخبارها معاً إن شاء الله .

[طلب من رجلين إطلاق ظبية صاداها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عديّ ، وأخبرني محمد بن خلَف [بن المرزبان] عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : مرّ المجنون برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلمّا نظر إليها وهي تركض في حِبالهما دمعَت عيناه ، وقال لهما : حُلاَّها وخُذا مكانها شاةً من غنمي ، وقال ميمون في خبره : وخُذا مكانها قَلُوصاً من إبلي ؛ فأعطاهما وحَلاَّها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما[2] : [من البسيط]

يا صاحِبيّ اللّذينِ اليومَ قد أخذا في الحبل شِبْهاً لِلَيْلى ثم غَلاَّها

إنّي أَرى اليومَ في أعطافِ شاتِكُما مَشابِهاً أشبهَتْ لَيْلى فَحُلاَّها

قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهي] تعدو أشدَّ عدْوٍ هاربةً مذعورةً[3] : [من الطويل]

صوت

أيا شِبهَ لَيْلى لا تُراعِي فإنّني لكِ اليومَ من وَحْشيَّةٍ لَصَديقُ

ويا شِبهَ لَيْلى لو تَلَبّثتِ ساعةً لعلَّ فؤادِي مِنْ جَواه يُفِيقُ

تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وَثاقِها فأنتِ للَيْلى لو علِمْتِ طَلِيقُ

[خبره مع نسوة عذلنه في حبّ ليلى]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أنّ ابن الأعرابيّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذي دعاك إلى أن أحلَلتَ بنفسك ما ترى في هَوى ليلى ، وإنّما هي امرأة من النساء ، هل لكَ في أن تصرفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُساعِفَكَ ونَجزيَكَ بهواك ويرجعَ إليك ما عَزَبَ[4] من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنَّ لصرفتُهُ عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ في الناس

---

1 الهذليان : مغنيان هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود .

2 ديوان مجنون ليلى : 285 .

3 ديوان مجنون ليلى : 206–207 وفيه رواية البيت الثالث :

عشقت فأدّي شكر ليلى بنعمة فأنت لليلى إن شكرت طليق

4 في ل : ذهب .

سويّاً مستريحاً ؛ فقلن له : ما أعجبك منها ؟ فقال : كلّ شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني ، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلاّ كان في عيني حَسَناً وبقلبي عَلِقاً ، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده ؛ فقلن له : فَصِفْها لنا ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

بيضاءُ خالصةُ البياضِ كأنّها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ
مَوْسُومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنّةٌ للحسَّدِ
وتُرى مدامعُها تَرقرُقَ مُقْلَةٍ ... سوداءَ ترغبُ عن سوادِ الإثمدِ
خَوْدٌ إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذَتْ ... بحِمى الحياء وإن تَكَلَّمْ تَقْصِدِ[2]

قال : ثم قال ابن الأعرابيّ : هذا والله من حَسَن الكلام ومُنَقّح الشِّعر .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً ، وفيه غناء ، قال : [من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنَّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقةُ خاتَمٍ ... عليّ ، فما تزدادُ طولاً ولا عَرضا

[أودع رجلاً شعراً ينشده على مسمع من ليلى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القحذَميّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنّي أُريد الإلمامَ بحيّ ليلى فهل تُودِعُني إليها شيئاً ؟ فقال : نعم ، قِفْ بحيث تسمعُك ثم قُلْ[3] : [من البسيط]

صوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس منكِ ولكنّي أُعنّيها[4]
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها ... واستيقَنَتْ خُلُفاً ممّا أُمنّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوها وإن قَصُرَتْ ... أشْهَى إليّ من الدنيا وما فيها

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسن الذي يقول[5] : [من البسيط]

---

1 ديوان مجنون ليلى 117 ورواية البيت الأول فيه :
بيضاء باكرها النعيم كأنّها ... قمر توسط جنح ليل أسود
2 تقصد : تذهب مذهب الاعتدال .
3 ديوان مجنون ليلى : 270 .
4 أعنيها : أحملها العناء .
5 ديوان مجنون ليلى : 289 .

اللهُ يعلـم أنّ النفسَ هالكـــةٌ باليـأسِ منـكِ ولكنّي أُعَنّيها

وأنشدها الأبيات ؛ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : أبلِغْهُ السلام وقُل له : [من البسيط]

نفسي فداؤكَ ، لو نفسي ملكتُ إذاً مـا كان غيرُك يَجْزِيها ويُرضِيها

صبراً على ما قضاه الله فيكَ على مرارةٍ في اصطباري عنـكَ أُخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، ثم أفاق وهو يقول : [من الوافر]

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْرِيّ أضحى أحاديثـاً لقـومٍ بعد قـومِ

وعـروةُ مـات موتـاً مُسْتَريحاً وها أنـا ميّـتٌ في كلِّ يومِ

أخبرنـا محمـد بن يحيى الصُّولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيا زينـةَ الدنيـا التي لا ينالُها مُنايَ ولا يبدو لقلبـي صَرِيمُها

بعيني قَـذاةٌ من هواكِ لَـوَ آنّها تُداوَى بمن تَهوى لصحّ سقيمُها

وما صَبَرَتْ عن ذكرِك النفسُ ساعةً وإن كنتُ أحيانـاً كثيراً ألومُها

[سأل أبو المجنون رجلاً أن يبلغه أنّ ليلى تشتمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : سأل الملوّح أبو المجنون رجلاً قَدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنّه لقي ليلى وجلس إليها ، ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنون ، وقال له : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتَه قد اشرأبّ لحديثك واشتهاه فعرِّفه أنّك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته ، وقالت : إنّه يكذب عليها ويُشهِّرُها بفعله ، وإنّها ما اجتمعت معه قطّ كما يصفُ ؛ ففعل الرجل ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه إيّاها ؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبّها إيّاه وشتمِها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لِما حكاه عنها[2] : [من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلى 252–253 .

2 ديوان مجنون ليلى : 85 .

صوت

تمرّ الصَّبا صَفْحاً بساكن ذي الغَضَا ... ويَصدَعُ قلبي أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبَّتِ الريحُ الشَّمالُ فإنّما ... جَوايَ بما تُهدِي إليّ جَنُوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنّما ... هَوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
وحسبُ الليالي أن طَرَحْنَكَ مَطْرَحاً ... بدار قِلىً تُمسي وأنتَ غَرِيبُها
حلالٌ لِلَيْلى شتمُنا وانتقاصُنا ... هنيئاً ومغفورٌ للَيْلى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيّم غِناءٌ يُنسب. وذكر الهيثم بن عديّ أنّ المجنون قال، وفيه غناء[1]: [من الطويل]

صوت

كأن لم تكن لَيْلى تُزارُ بِذي الأَثْلِ ... وبالجِزْعِ من أجزاع وَدّانَ فالنخلِ
صديقٌ لنا فيما نَرى غير أنّها ... تَرى أنّ حبّي قد أحلَّ لها قَتلي

[وصف رجل المجنون لليلى فبكت]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عثمان بن عمارة بن حُريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا: خرج منّا رجلٌ إلى ناحيةِ الشام والحجاز وما يلي تَيماءَ والسَّراةَ وأرضَ نجد، في طلب بُغيةٍ له، فإذا هو بخيمة قد رُفعت له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنح، فإذا امرأةٌ قد كلّمته فقالت: انزل، فنزل. قال وراحت إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تِهامة ونجد؛ فقالت: ادخل أيّها الرجل، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرخَتْ بيني وبينها سِتراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أيّ بلاد نجدٍ وطِئتَ؟ فقلت: كلّها؛ قالت: فبِمنْ نزلتَ هناك؟ قلت: ببني عامر؛ فتنفّست الصُّعداء ثم قالت: فبأيّ بني عامر نزلت؟ فقلت: ببني الحَريش؛ فاستعبرَتْ ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتًى منهم يقال له: قيس بن الملوّح ويلقّب بالمجنون؟ قلتُ: بلى والله، وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] إلاّ أن تُذكر له امرأة يقال لها ليلى، فيبكي ويُنشِد أشعاراً قالها فيها. قال: فرفَعَتِ الستر بيني وبينها، فإذا فِلْقةُ قمرٍ لم تَرَ عيني مثلَها، فبكتْ حتى ظننتُ، والله، أنّ قلبها قد انصدعَ، فقلتُ: أيّتها المرأة، اتّقي اللهَ فما قلتُ بأساً،

1 ديوان مجنون ليلى: 233.

فمكثتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعرِي والخُطُوبُ كثيرةٌ متى رَحْلُ قيسٍ مُسْتقِلٌّ فراجعُ
بنفسيَ مَنْ لا يستقلّ برَحْلِه ومَنْ هو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى سقطت مغشيّاً عليها ، فقلت لها : مَنْ أنتِ يا أَمَةَ اللهِ ؟ وما قصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى [صاحبته] المشؤومة والله عليه غيرُ المؤنسة له ؛ فما رأيت مثلَ حزنها ووجدها عليه قطّ .

[خبر شيخ من بني مرّة لقي المجنون وشهده ميتاً في واد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وأخبرني عثمان عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن لَقِيط ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعيّ وأبو مسلم المُستَمْلي عن ابن الأعرابيّ ، يزيد بعضهم على بعض ، أنّ عثمان بن عمارة المرّي أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنّه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها ، فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً ، وقال الشيخ : والله لهو كان آثَر في نفسي من هؤلاء وأحبَّهم إليّ ؛ وإنّه هَوِيَ امرأةً من قومه ، والله ما كانت تَطمعُ في مثله ، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره ، فذهب عقلُ ابني ولَحِقَه خَبَلٌ وهام في الفَيافِي وَجْداً عليها ، فحبسناه وقيَّدناه ، فجعل يَعَضّ لسانه وشفَتَيه حتى خِفْنا [عليه] أن يقطعَها فخلّينا سبيلَه ، فهو يهيم في [هذه] الفيافي مع الوحوش يُذْهَب إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَع له حيث يراه ، فإذا تنحَّوْا عنه جاء فأكلَ منه . قال : فسألتُهم أن يَدُلّوني عليه ، فدَلّوني على فتًى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا : إنّه لا يأنسُ إلاّ به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ، فأتيتُه فسألته أن يدُلّني عليه ؛ فقال : إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُك به ؛ فقلت : بل أريد أنْ تَدُلّني عليه لآتيه ؛ فقال لي : إنّه إن نفَر منك نفر منّي فيذهب شِعره ، فأبيت إلاّ أن يدُلّني عليه ؛ فقال : اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيته فادنُ منه مستأنساً ولا تُرِه أنّك تهابُه ، فإنّه يتهدّدكَ ويتوعّدك أن يرميك بشيء ، فلا يَرُوعنّك واجلِس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نِفاره فأنشِده شعراً غَزَلاً ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأَنشِدْه إيّاه فإنّه معجب به ؛ فخرجت فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خطّ فيه بإصبعه خطوطاً ، فدنوتُ منه غير منقبضٍ ، فنفر منّي نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فمكث

ساعة كأنّه نافرٌ يريد القيام ، فلمّا طال جلوسي سكن وأقبل يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسن والله قيسُ بن ذَريح حيث يقول[1] : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّني ... بعلمك في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

فإن أنتَ لم تُخبِر بشيءٍ علمتَه ... فلا طِرْتَ إلاّ والجناحُ كسيرُ

ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبكَ فيهمُ ... كما قد تَراني بالحبيب أُدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى ... بليلى العامريّةِ أو يُراحُ

قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلت عليه فقلت : وأحسنَ واللهِ قيس بن ذريح حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا ... حِذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ

وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيّتي ... بكفّيكِ إلاّ أنّ مَنْ حانَ حائِنُ

قال : فبكى ، والله حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضت ، وحتى رأيتُ دموعَه قد بلَّتِ الرمل الذي بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمرُ الله ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول[2] : [من الطويل]

صوت

وأدْنيتِني حتى إذا ما سَبَيْتِني ... بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

تناءَيْتِ عنّي حينَ لا لِيَ حيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ

ويروى : «وغادَرْتِ ما غادَرْتِ . . .» ، ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّي وانصرفتُ ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدَتْه بحاله ، فلمّا كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نَجِده ، وغَدَونا في اليوم الرابع نَسْتَقْري أثرَه حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهله فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه .

[الحزن على المجنون وندم أبي ليلى]

قال الهيثم : فحدّثني جماعة من بني عامر : أنّه لم تبقَ فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحَريش

1 ديوان مجنون ليلى : 262 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

2 ينسب هذان البيتان أيضاً لكثير (انظر ديوانه : 586 وديوان مجنون ليلى : 94) .

إلاّ خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندبه ؛ واجتمع فتيان الحيّ يبكون عليه أحرَّ بكاء ، ويَنشِجون عليه أشدّ نشيج ، وحضرهم حيُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنّي كنتُ امرءاً عربيّاً أخاف من العار وقُبح الأُحدوثة ما يخافه مثلي ، فزوّجتُها وخرجت عن يدي ، ولو علمتُ أنّ أمره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك . قال : فما رُئِيَ يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذٍ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[منها] الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّني بعلمِكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لحَكَم . وفي رواية ابن الأعرابيّ أنّه أنشده مكان :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّني بعلمِكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

صوت

[من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِري بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأيِ والشَّرِّ

وخبّرتَ أن قد جَدّ بَيْنٌ وقَرَّبُوا جِمالاً لبينٍ مُثْقَلاتٍ من الغَدْرِ

وهِجتَ قذَى عينٍ بلُبْنَى مريضةٍ إذا ذُكِرَتْ فاضَتْ مدامعُها تجرِي

وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذَريح ، والغناء لابن جامع ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحمان ثاني ثقيل عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدى بلَيْلى العامريّة أو يُراحُ

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

وأدنيتِني حتى إذا ما سبيتِني بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحِ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

[بكاء أبي ليلى على المجنون]

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا الفَضْل الرَّبَعيّ عن محمد بن حبيب قال : لمّا مات مجنون بني عامر وُجد في أرض خشنة بين حجارة سُود ، فحضر أهله وحضر معهم أبو ليلى ، المرأة التي كان يهواها ، وهو متذمّم من أهله ، فلمّا رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنّه قد شَرِكَ في هلاكه ، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرقةً فيها مكتوبٌ : [من الطويل]

أَلا أيُّها الشيخُ الذي ما بنا يرضَى شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيشِكَ الغَضّا
شَقِيتَ كما أشقيتَنِي وتركتَنِي أهِيمُ مع الهُلاّكِ لا أَطْعَمُ الغَمْضا

صوت

[من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذُكِرَتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتَمٍ عليّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضا

في هذين البيتين رمل ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز ، وذكر حبشٌ والهشاميّ أنّه لإسحاق .

[عوتب على التغنّي بالشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب قال حدّثني بعض القُشَيريِّين عن أبيه قال : مررتُ بالمجنون وهو مُشرفٌ على وادٍ في أيّام الربيع ، وذاك قبل أن يختلط ، وهو يتغنَّى بشعر لم أفهمه ، فصِحتُ به : يا قيس ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب ؟ فتنفّس تنفُّساً ظننت أنّ حيازيمَه قد انقدّتْ ، ثم قال : [من الطويل]

صوت

وما أُشرِفُ الأيْفاعَ إلاّ صَبابةً ولا أُنشِدُ الأشعارَ إلاّ تَداوِيا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعد ما يظنّانِ جَهدَ الظنِّ أن لا تلاقِيا
لحَى اللهُ أقواماً يقولون إنّني وجدتُ طَوالَ الدّهر للحبِّ شافِيا

[التقاؤه بقيس بن ذريح]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال : اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه ، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحُّشه لا يجلس إلاّ مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على

متكلّم جواباً ولا على مُسلّم سلاماً ، فسلّم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ عليه السلام ؛ فقال له : يا أخي ، أنا قيس بن ذريح ؛ فوثب إليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، أنا والله مذهوبٌ بي مُشترَكُ اللب فلا تلُمني ، فتحدّثا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخي ، إنّ حيَّ ليلى منا قريب ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلّغها عنّي السلام ؟ فقال له : أفعَل . فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلّم وانتسب ؛ فقالت له : حيّاكَ الله ، ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عمِّك أرسلني إليك بالسلام ؛ فأطرقت ثم قالت : ما كنتَ أهلاً للتحيّة لو علمتُ أنّك رسوله ، قل له عنّي : أرأيت قولك : [من الطويل]

أبَتْ ليلةٌ بالغَيلِ يـا أمّ مالكٍ   لكم غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ[1]

ألا إنّما أبقيـتِ يا أمَّ مـالكٍ   صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

أخبرني عن ليلة الغَيْل ، أيُّ ليلة هي ؟ وهل خلوتُ معكَ في الغَيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنة عمّ ، إنّ الناس تأوّلوا كلامه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنّما أخبر أنّه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبت بقلبه ، لا أنّه عَناكِ بسوء ؛ قال : فأطرقت طويلاً ودموعها تَجري وهي تكفكفها ، ثم انتحَبَت حتى قلتُ تقطّعت حيازيمُها ، ثم قالت : اقرأ على ابن عمِّي السلام ، وقل له : بنفسي أنتَ ، والله إنّ وجدي بك لفوقِ ما تجدُ ، ولكن لا حيلة لي فيك ؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده .

[رأى ليلى فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثني عمّي عن ابن الصَّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : مرّ المجنون بعد اختلاطه بليلى [وهي] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل ، فلمّا رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقَوها عنده ، فمكث كذلك مليّاً ثم أفاق وأنشأ يقول : [من الوافر]

بكى فرحاً بلَيْلى إذ رآها   محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها

لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكاً   لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رمل بالبنصر . وفيه لعَريب ثقيل أوّل عن الهشاميّ . وفيه خفيف رمل ليزيد حوراء . وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكيّ ولحن ابن المكّي إليه .

---

1 الغيل : واد لبني جعدة .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندَنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزّلالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العِباديّ، والغناء لابن مُحْرز، ولحنه المختار خفيف [رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رمل] آخر بالبنصر ابتداؤه نشيد ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن طنبورة، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه. وهذه الأبيات قالها عديّ بن زيد العباديّ على سبيل الموعظة للنُّعمان بن المنذر، فيقال: إنّها كانت سبب دخوله في النصرانية.

[عظة عديّ بن زيد للنعمان بن المنذر]

حدّثني بذلك أحمد بن عِمران المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيَهْ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عديُّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ، فقال له عديّ بن زيد: أيُّها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا، قال تقول: [من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

قال: ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرةٍ، فقال له عديّ: أيّها الملك، أتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال تقول: [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركبُ المُخِبّو نَ على الأرضِ المُجِدّون
فكمـا أنتـمُ كُنّـا وكما نحـن تكونـون

فقال له النعمان: إنّ الشجرة والمقبرة لا يتكلّمان، وقد علمتُ أنّك إنّما أردتَ عِظَتِي، فما السبيلُ التي تُدرَكُ بها النجاة؟ قال: تدعُ عبادة الأوثان وتعبدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى بن مريم؛ قال: أَوَفي هذا النجاةُ؟ قال: نعم، فتنصّر يومئذٍ. وقد قيل: إنَّ هذه القصّة كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المنذر، وإنّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصّر. وخبر هذا يأتي مع أحاديث عديّ.

[11] ـ ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله[1]

[نسبه]

هو عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيُّوب بن محروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مَناة بن تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان أيّوب هذا فيما زعم ابن الأعرابيّ أوّل مَن سُمِّيَ من العرب أيّوب ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهليّة ، وكان نصرانيّاً وكذلك كان أبوه وأمّه وأهلُه .

[عديّ بن زيد لا يعدّ في فحول الشعراء]

وليس ممّن يُعدّ في الفحول ، وهو قرويّ . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولان : عديٌّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مَجراها . ومثله كان عندهم أُميّة بن أبي الصَّلت ، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين[2] الكُمَيت والطِّرِمَّاح . قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به ، ثم أَراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنّهما قَرَوِيّان يَصِفان ما لم يَرَيا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدويّ أصِفُ ما رأيتُ فأَضَعُه في مواضعه . وكذلك عندهم عديٌّ وأُميَّةُ .

[سبب نزول آل عديّ الحيرة]

قال ابن الأعرابيّ فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : سبب نزول آل عَدِيّ بن زيد الحِيرة أنّ جدَّه أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه فهرب فلَحِق بأَوْس بن قَلاَّمٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيّوب بن محروف وبين أوس بن قلاّمٍ هذا نسبٌ من قِبَل النساء ، فلمّا قدِم عليه أيّوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنّ أوساً قال له : يا ابن خالٍ ، أتريد المُقام عندي

1 ترجمة عدي بن زيد في طبقات فحول الشعراء : 140–142 والشعر والشعراء : 150–156 ومعاهد التنصيص 1 : 315–323 وخزانة الأدب 3 : 348–356 والموشح : 532–534 ومعجم المرزباني : 80 ومعجم الأدباء والوافي للصفدي 19 : 530 تحقيق د . رضوان السيد : 1203 وصفحتان أُخرى (انظر الفهرست) وشعراء النصرانية للويس شيخو ومقدّمة ديوانه صنعة محمد جبار المعيبد ، بغداد 1965 (ولبعضه أصل مخطوط) .

2 ل : في الإسلام .

وفي داري ؟ فقال له أيّوب : نعم ، فقد علمت أنّي إن أتيتُ قومي وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلم ، وما لي دارٌ إلاّ دارُكَ آخرَ الدهر ؛ قال أوس : إنّي قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرِفُ ولدي لك من الحقّ مثلَ ما أعرِفُ ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليكَ فأعلِمني به لأُقْطِعَكه أو أبتاعه لك ؛ قال : وكان لأيّوب صديقٌ في الجانب الشرقيّ من الحيرة ، وكان منزلُ أوْسٍ في الجانب الغربيّ ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزل الذي تُسكِنُنِيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ؛ فابتاع له موضع داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائِها وفرساً وقَيْنةً ؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيّوب اتّصل قبل مهلَكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أيّوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملِك إلاّ ولِولد أيوب منه جوائز وحُملان[1] .

[مقتل زيد بن أيوب]

ثم إنّ زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قَلاَّم فولدت له حمّاداً ، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيّام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم مُنتدون[2] بِحَفيرٍ ، المكان الذي يذكره عديّ بن زيد في شِعره ؛ فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه ، فقال له ، وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوب : ممَّن الرجل ؟ قال : من بني تميم ، قال : من أيّهم ؟ قال : مَرَئيّ[3] ؛ قال له الأعرابيّ : وأين منزلك ؟ قال : الحيرة ؛ قال : أمن بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بني أيّوب ؟ واستوحش من الأعرابيّ وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمه أنّه قد عرفه ؛ فقال له زيد بن أيوب : فمن أيّ العرب أنت ؟ قال : أنا امرؤٌ من طيىء ؛ فأمِنه زيد وسكتَ عنه ، ثم إنّ الأعرابيّ اغتفل[4] زيد بن أيّوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففَلَقَ قلبه ، فلم يَرِم حافر دابته حتى مات ؛ فلبِث أصحابُ زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنُّوا أنّه قد أمعن في طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ، ثم غدَوا في طلبه فاقتَفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يُسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ، فعرفوا أنّ صاحب الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغَذُّوا السير فأدركوه مساءَ الليلة الثانية ، فصاحوا به وكان من أرمَى الناس فامتنع منهم بالنَّبْل حتى حال الليل

---

1 الحملان : دواب الحمل .

2 ل : وهم متبدون . ومنتدون أي مجتمعون .

3 نسبة إلى امرىء القيس .

4 اغتفله : انتهز منه غفلة .

بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مَرْجِعِ[1] كتفَيه بسهم فلمّا أجنّه الليل مات وأفلت الرامي ، فرجعوا وقد قَتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب .

[تولي حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحِق بالوُصفاء ؛ فخرج يوماً من الأيّام يلعب مع غلمان بني لحيان فلَطَم اللِّحيانيُّ عين حماد فشجّه حمّادٌ ، فخرج أبو اللحيانيّ فضرب حمّاداً ، فأتى حمّادٌ أمَّه يبكي ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان لأنّ ابنه لطمني فشججتُه ، فجزِعَت من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوب وعلّمته الكتابة في دار أبيه ، فكان حمّاد أوّل من كتب من بني أيّوب ، فخرج من أكتب الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعمان الأكبر ، فلبِث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوّجها من طيىء فسمّاه زيداً باسم أبيه .

[سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى]

وكان لحمّاد صديق من الدَّهاقين[2] العظماء يقال له فرّوخ ماهان ، وكان مُحسناً إلى حمّاد ، فلمّا حضرَت حمّاداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدِّهقان ، وكان من المَرازِبة[3] ، فأخذه الدِّهقان إليه فكان عنده مع ولده ، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدِّهقان ، فعلَّمه لمّا أخذه الفارسيّة فلَقِنَها ، وكان لَبيباً فأشار الدِّهقان على كِسرى أن يَجعله على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلاّ بأولاد المرازبة ، فمكث يتولّى ذلك لكِسرى زماناً .

[تمليك زيد بن حماد على الحيرة]

ثم إنّ النُّعمان النَّصريّ اللَّخميّ هلكَ ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يُمَلّكونه إلى أن يعقِد كِسرى الأمر لرجل يُنَصِّبُه ، فأشار عليهم المرزبان بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن مَلّكَ كِسْرى المُنْذِر بن ماء السماء ونكح زيد بن حمّاد نعمة بنت ثعلبة العَدَوِيّة فولدت له عَدِيّاً ، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء ، ووُلد للمرزبان ابن فسمّاه «شاهانْ مَرْد» .

[تعلم عديّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية]

فلمّا تحرّك عديُّ بن زيد وأيفع طرَحَه أبوه في الكُتَّاب ، حتى إذا حَذَقَ أرسله المرزبان مع ابنه «شاهان مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلِف مع ابنه ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر ، وتعلَّم الرمي

---

1 مرجع الكتف : الجانب السفلي منه .

2 الدهاقين وهو جمع دهقان ، وهو رئيس القرية .

3 المرازبة : جمع مرزبان (Satrap) قائد منطقة حدوديّة . والٍ على منطقة ثغرية (حدوديّة) .

بالنُّشّاب فخرج من الأساورة[1] الرُّماة ، وتعلَّم لِعْبَ العجم على الخيل بالصَّوالجة[2] وغيرها .

[اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة في ديوانه]

ثم إنّ المرزبان وفَد على كِسرى ومعه ابنه «شاهان مرد» ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى بجعل كلٌّ واحد مِنقاره في منقار الآخر ، فغضِب كسرى من ذلك ولحِقَته غَيرة ، فقال للمرزبان وابنه : لِيَرمِ كلٌّ واحد منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومَن أخطأ منكما عاقبته ؛ فاعتمد كلٌّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما إلى بيت المال فمُلئت أفواههما جوهراً ، وأثبت «شاهان مرد» وسائر أولاد المرزبان في صَحابته ؛ فقال فرُّوخ ماهان عند ذلك للملك : إنّ عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخَلَّفَه في حِجري[3] فربَّيته ، فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربيّة والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فإن رأى أن يُثبته في وَلَدِي فعلَ ؛ فقال : ادعه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحُسن ، وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه ، فلمّا كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغِب فيه وأثبته مع ولد المرزبان .

[عديّ أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كِسرى . فرغِب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهِبوه ، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذَن له عليه في الخاصّة وهو معجبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بن حمّاد يومئذ حيّ إلاّ أنّ ذِكر عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذكرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَن عنده حتى يقعد عديّ ، فعَلا له بذاك صيت[4] عظيمٌ . فكان إذا أراد المُقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقلّ .

[إرسال كسرى له إلى ملك الروم]

ثم إنّ كسرى أرسل عديَّ بن زيد إلى ملِكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده ، فلمّا أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمَّاله على البريد ليُريه سَعةَ أرضه وعظيم[5] مُلكِه ، وكذلك كانوا يصنعون ؛ فمن ثَمَّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشام وهي أوّل شعر

---

1 الأساورة جمع أسوار وهو الفارس الحاذق في الرمي .

2 الصوالجة جمع صولجان ، عصا معقوفة ، يلعب بها بالكرة اللاعب وهو على ظهر الفرس (Polo) .

3 ل : وخلّفه عندي .

4 ل : صوت وهي بمعنى «صيت» .

5 ل : وعظم .

قاله فيما ذكر[1] : [من الخفيف]

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجزْعِ مِنْ دُو — مَـةَ أشْهى إليّ مِنْ جَيرُونِ[2]
ونَدامَـى لا يَفرحـون بما نـا — لُوا ولا يرهَبُون صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ في دارِ بِشْرٍ — قَهْـوَةً مُـزَّةً بمـاء سَخِينِ

ثم كان أوّل ما قاله بعدها قولُه[3] : [من الرمل]

لِمَـنِ الدارُ تَعفَّـتْ بخِيَمْ — أصبحَتْ غيَّرَها طولُ القِدَمْ

[وفي غير هذه الرواية لمن الدار تبدت . . . .][4] :

ما تَبينُ العين مـن آياتهـا — غيرَ نُؤْيٍ مثل خـطٍّ بالقَلَمْ
صالحاً قد لفَّها فاستوسَقَتْ — لفَّ بازيٍّ حَماماً في سَلَمْ[5]

[تولية أهل الحيرة زيداً أبا عديّ على الحيرة]

قال : وفسد أمرُ الحِيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأنّ أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنّه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يُعجبه ، فلمّا تيقّن أنّ أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لي في مُلكِكُم ، دونكموه مَلّكوه مَن شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمر ليس إليّ ، ولكنّي أَسبُرُ[6] لك هذا الأمر ولا آلُوك نصحاً ، فلمّا أصبح غدا إليه الناس فحَيَّوْه تحيّة الملك ، وقالوا له : ألا تَبعَثُ إلى عبدك الظالِم ، يَعنون المنذر ، فتُريح منه رعيَّتك ؟ فقال لهم : أَوَلا خيرٌ من ذلك ! قالوا : أَشِرْ علينا ؛ قال : تَدَعُونه على حاله فإنّه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيهِ فأُخبره أنّ أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه إلاّ أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ، فلك اسم المُلك وليس إليك سوى ذلك من الأمور ؛ قالوا : رأْيُكَ أفضل . فأتى المنذر فأخبره بما قالوا ؛ فقَبِل ذلك وفَرِح ، وقال : إنّ لك يا زيد عليّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سبد ، وسبد صنم كان لأهل الحيرة ؛ فولّى أهلُ الحيرة زيداً على كلّ شيء سوى اسم المُلك فإنّهم أقرّوه للمنذر . وفي

1 ديوان عدي : 186 ، وانظر معاهد التنصيص 1 : 318 .
2 دومة : قرية من قرى الغوطة . جيرون : دمشق أو أحد أبوابها .
3 ديوان عدي : 73 .
4 زيادة من ل .
5 استوسقت : اجتمعت . السلم : نوع من الشجر .
6 أسبر : أختبر وأتفحّص .

ذلك يقول عديّ : [من الرمل]

نحـــن كنّا قـد علِمتُمْ قبلَكُمْ عَمَـدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[قدوم عديّ للحيرة وخروج المنذر للقائه]

قال : ثم هلك زيدٌ وابنُه عديّ يومئذٍ بالشام . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمالات[2] كان أهلُ الحيرة أعطوه إيّاها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ، فلمّا هلك أرادوا أخذَها ؛ فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللاَّت والعُزَّى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ[3] وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنه النُّعمان بن المنذر : [من الرمل]

وأبـــوكَ المـــرءُ لم يُشْنَأْ بـــــه يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسارِ[4]

قال : ثم إنّ عدياً قَدِم المدائن على كسرى بهديَّةٍ قيصَر ، فصادف أباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلمام بالحِيرة فأَذِن له فتوجَّه إليها ، وبلغ المنذر خبرُه فخرج فتلقّاه في الناس ورجع معه . وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه ، ولكنّه كان يُؤْثِرُ الصيد واللّهوَ واللعبَ على المُلك ، فمكث سنين[5] يبدو في فَصْلَي السنة فيقيم في جفير ويشتو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدُم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثر على بلاد بني يَربوع مَبدًى من مَبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم ، وكان أخِلاَّؤه من العرب كلِّهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضَبَّة وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحيَّين[6] بإبله .

[زواجه من هند بنت النعمان]

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي يومئذٍ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادت . وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبيّ عن إسحاق بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قالوا : كان لعديّ بن زيد أخوان : أحدهُما اسمه عَمّار ولقبُه أُبَيّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَيّ ، وكان لهم أخ من أمّهم يقال له عديّ بن حنظلة من طيىء ، وكان أُبيّ

1 الإصار : طنب الخيمة .

2 الحمالة : الدية .

3 الثفروق : قمع البسرة والثمرة ، يقال للشيء إذا كان تافهاً .

4 لم يشنأ به : لم يواجه بالكراهية . ذو الخسار في ل : بخسار .

5 ل : سنتين .

6 ل : هاتين القبيلتين .

يكون عند كسرى ، وكانوا أهل بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة ، ولهم معهم أُكْلٌ[1] وناحيةٌ ، يُقطِعُونَهم القطائعَ ويُجزِلُونَ صِلاتهم .

[المنذر يعهد بابنه النعمان إلى عديّ]

وكان المنذر لما ملك جعل ابنَه النعمان بن المنذر في حِجر عديّ بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربَّوْه ، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسود» ، أمّهُ ماريةُ بنت الحارث بن جُلْهُم من تَيْم الرّباب ، فأرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينا ينتسبون إلى لَخْمٍ وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ ، وكان وَلَدُه يقال لهم «الأشاهب»[2] من جمالهم ، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة : [من الخفيف]

وبنو المنـذرِ الأشاهبُ في الحِيْـ ـرَةِ يمشونَ غُدْوةً كالسيوفِ

[سعي عديّ بن زيد في ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عديّ بن مرينا]

وكان النعمان من بينهم أحمَرَ أبرش[3] قصيراً ، وأُمّه سَلمى بنت وائل بن عطيَّة الصائغ من أهل فَدَكَ ، فلمّا احتُضِر المنذر وخلَّف أولاده هؤلاء العشرة ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إياس بن قَبيصة الطَّائيّ ، وملَّكه على الحيرة إلى أن يَرى كِسرى رأيَهُ ، فمكث مُملَّكاً عليها أشهُراً وكسْرى في طلب رجل يُملّكه عليهم ، وهو كسرى بن هُرْمُزَ ، فلم يجد أحداً يَرضاه فضَجِرَ ، فقال : لأبعثنّ إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ، ولأُمَلّكنَّ عليهم رجلاً من الفُرس ، ولآمرنَّهم أن ينزلوا على العرب في دُورهم ويَملِكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عديٌّ بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عديُّ : مَن بقي من آل المنذِر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ ؟ فقال : نعم أيّها الملك السعيد ، إنّ في ولد المنذر لبقيّةً وفيهم كلّهم خيرٌ ؛ فقال : ابعث إليهم فأحضِرْهم ، فبعث عديٌّ إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده ، ويقال : بل شَخَص عديّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم ، ثم قَدِم بهم على كسرى . قال : فلمّا نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النعمان : لستُ أُملِّكُ غيرك فلا يُوحشنَّكَ ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليكَ من الكرامة فإنّي إنّما أغترُّهم بذلك ، ثم كان يُفَضِّلُ إخوته جميعاً عليه في النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُريهم تنقُّصاً للنُّعمان وأنّه غير طامعٍ في تمام أمر على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : إذا أدخَلتُكم على الملِكِ فالبَسُوا أفخر ثيابكم وأجملها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل وصَغِّروا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ما تأكلون ، فإذا قال

---

1 أكل : رزق .

2 سمّوا بذلك لبياضهم أو لجمالهم .

3 أبرش : أرقط ، في وجهه بقع بيضاء وأُخرى غير ذلك .

لكم : أَتَكْفُونَنِي العربَ ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد ، أَتَكْفُونَنِيه ؟ فقولوا : لا ، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض ، لِيَهابكم ولا يَطمَعَ في تَفرّقكم ويعلم أنّ للعرب مَنَعةً وبأساً فقَبلوا منه ؛ وخلا بالنعمان فقال له : البَسْ ثيابَ السفر وادخُل مُتقلِّداً بسيفك ، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ في الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك ، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً ، ويَرى أنّه لا خير في العربيّ إذا لم يكن[1] أكولاً شَرِهاً ، ولا سيّما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عَهْد له بمثله ، وإذا سألكَ هل تكفِيني العربَ ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فَمنْ لي بإخوتكَ ؟ فقل له : إن عجزتُ عنهم فإنّي عن غيرهم لأَعْجَزُ . قال : وخلا ابنُ مَرينا بالأَسْود فسأله عمّا أوصاه به عديّ فأخبره ، فقال : غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نَصَحَك ، ولئن أطَعتَني لتُخالفـنَّ كلَّ ما أَمركَ به ولتُملَّكنّ ، ولئن عصيتَني ليُملَّكَنّ النعمان ولا يغرنَّك ما أراكَه من الإكرام والتفضيل على النعمان ؛ فإنّ ذلك دهاء فيه ومكر ، وإنّ هذه المَعَدِّيَّة لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ ؛ فقال له : إنّ عدياً لم يألُني نصحاً وهو أعلم بكِسرى منك ، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا وإلى قولـه يرجع كسرى ؛ فلمَّا أَيِسَ ابنُ مَرينا من قبوله منه قال : ستعلمُ . ودعا بهم كسرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالاً قَلَّما رأى مثلَهم ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ ، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمّلُ أكله ، فقال لعديّ بالفارسية : إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا ، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقولُ له : أتكفِيني العربَ ؟ فيقول : نعم أكْفِيكَها كلَّها إلاّ إخوتي ، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال لـه : أتكفيني العربَ ؟ قال : نعم ؛ قال : كلَّها ؟ قال : نعم ؛ قال : فكيف لي بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستّون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهبُ .

[توعد عديّ بن مرينا لعديّ بن زيد]

فلمّا خرج وقد مُلِّك قال ابن مرينا للأسود : دونك عُقْبى خلافِك لي ؛ ثم إنّ عديّاً صنع طعاماً في بِيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتِني بمن أحببتَ فإنّ لي حاجة ، فأتى في ناس فتغدَّوْا في البِيعة ؛ فقال عديُّ بن زيد لابن مرينا : يا عديّ ، إنّ أحقَّ مَن عرفَ الحقَّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، وإنّي قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بن المنذر كان أحبّ إليك أن يُمَلَّك من صاحبي النعمان ، فلا تلُمني على شيء كنتَ على مثله ، وأنا أُحِبُّ ألاّ تَحقِدَ عليّ شيئاً لو قدَرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أُحِبُّ أن تُعطِيني من نفسك ما أُعطيكَ من نفسي ، فإنّ نصيبي في

---

1 ل : إلاّ أن يكون . .

هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ؛ وقام إلى البِيعة فحلف ألاّ يَهجوه أبداً ولا يَبغِيَه غائلةً ولا يَزْوِيَ عنه خيراً أبداً . فلمّا فرغ عديٌّ بن زيد ، قام عديٌّ بن مرينا فحلف مثل يمينه ألاّ يزال يهجوه أبداً ويَبغِيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة ، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد : [من الوافر]

ألا أبلغ عديّاً عن عديٍّ ... فلا تجزَعْ وإن رَثَّتْ قُواكا

هياكلُنا تَبَرُّ لغير فَقْرٍ ... لِتُحمَدَ أو يَتِمَّ به غِناكا

فإن تظفَرْ فلم تظفَر حميداً ... وإن تَعطَبْ فلا يَبْعَدْ سِواكا

نَدِمتَ نَدامَةَ الكُسَعِيّ لَمّا ... رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا[1]

[تدبير عديّ بن مرينا المكيدة لعديّ بن زيد]

قال : ثم قال عديُّ بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفَر فلا تعجزَنَّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّيّ الذي فعل بكَ ما فعل ، فقد كنتُ أُخبِركَ أنّ مَعَدّاً لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتَني ؛ قال : فما تريد ؟ قال : أُريد ألاّ تَأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلاّ عَرَضْتَها عليّ ، ففعلَ . وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ ، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلاّ على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا ، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقضِي في ملكه شيئاً إلاّ بأمر ابن مرينا ، وكان إذا ذُكِر عديٌّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه وشيَّع ذلك بأن يقول : إن عديَّ بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعَدِّيُّ لا يصلح إلاّ هكذا . فلمّا رأى مَن يُطِيفُ بالنعمان منزلةَ ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يَثِق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عديّاً عند الملك بخير فقولوا : إنّه لكذلك ، ولكنّه لا يَسلَم عليه أحدٌ ، وإنّه ليقول : إنّ الملكَ ، يعني النعمان ، عاملُه ، وإنّه هو ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمانٍ[2] له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فاشتدّ غضبُه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد : عزمتُ عليك إلاّ زُرْتَنِي فإنّي قد اشتقتُ إلى رؤيتك ، وعديٌّ يومئذٍ عند كسرى ، فاستأذَن كسرى فأَذِنَ له .

[حبس النعمان لعديّ بن زيد وما خاطب به عدّي النعمان من الشعر]

فلمّا أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبِسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ ، فجعل عديٌّ يقول

1 الكسعي : رجل من كسع ، كان رامياً ، فرمى عيراً في الظلام فأصابه ، وهو يحسب أنّه أخطأه ، فكسر قوسه ، فلمّا رأى العير مقتولاً ندم ؛ فضرب به المثل في الندامة .

2 القهرمان : الخازن أو الوكيل .

الشعر وهو في الحبس ، فكان أوّل ما قاله وهو محبوس من الشعر[1] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي عن الهمام ويأتيـ ـكَ بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤَالِ
أين عنّا إخطارُنا المالَ والأنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيوم المِحالِ[2]
ونِضالِي في جنبكَ الناسَ يرمُو ن وأَرْمِي وكُلُّنا غَيرُ آلِي[3]
فأُصيبُ الذي تُريد بلا غِشٍّ وأُرْبِي عليهِمُ وأُوالِي
ليتَ أنّي أخذتُ حَتْفِي بكَفّيّ ولم ألْقَ مِيتَةَ الأَقْتَالِ[4]
مَحَلوا مَحلَهُمْ لصَرْعَتِنا العا مَ فقد أوقَعُوا الرحَى بالثِّفالِ[5]

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضاً وهو محبوس[6] : [من الوافر]

أرِقْتُ لمكفَهِرٍّ باتَ فيه بَوارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤوسَ شِيبِ[7]
تَلُوحُ المشرَفِيَّةُ في ذُراه ويجلو صفحَ دَخدارٍ قَشِيبِ

ويروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها : [من الوافر]

سعى الأعداءُ لا يألون شرّاً عليّ وربِّ مكّةَ والصليبِ
أرادوا كي تُمهِّلَ عن عَديٍّ ليسجَن أو يُدهْدَه في القَلِيبِ[8]
وكنتُ لِزازَ خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ وقد سَلَكوكَ في يومٍ عصيبِ[9]
أُعالِنُهمْ وأُبطِنُ كلّ سرٍّ كما بينَ اللحاء إلى العَسِيبِ
فَفُزْتُ عليهِمُ لمّا التَقَينا بتاجِكَ فوزَةَ القِدْحِ الأَرِيبِ[10]

---

1 الأبيات في ديوانه : 56 (وأكثرها عن الأغاني) .

2 الاخطار للمال والنفس : بذلهما . ناهدوا في الحرب : نهض بعضهم إلى بعض . المحال : (بكسر الميم) : المكر وإعمال الحيلة .

3 غير آلي : غير مقصّر .

4 الأقتال (هنا) الأعداء .

5 الثفال : الجلد يفرَش تحت الرحى ، ويسمّى به أيضاً الحجر الأسفل من الرحى .

6 الشعر في ديوان عدي : 37 .

7 المكفهرّ (هنا) صفة للسحاب . رؤوس شيب : أي رؤوس جبال مبيضّة بما يعلوها من ثلج .

8 يدهده : يدحرج ؛ القليب : البئر .

9 لزاز الخصم : لازم للخصم ؛ لا يعرّد : لا يحيد .

10 القدح : سهم الميسر ؛ الأريب : الفائز .

وما دَهْرِي بأن كُدِّرتُ فضلاً ولكن ما لقيتُ من العَجِيبِ[1]
ألا مَـن مُبلِـغُ النعمانِ عنّي وقد تُهــدى النَّصيحةُ بالمغِيبِ
أحَظّــي كان سِلْسِلةً وقَيْـداً وغُــلاً والبيانُ لـدى الطبيبِ
أتــاكَ بأنّني قـد طالَ حبسي ولم تَسأم بمسجونٍ حَرِيبِ[2]
وبَيْتِـــي مُقْفِـــرٌ إلاّ نساءً أراملَ قــد هَلَكْنَ من النّحِيبِ
يُبادِرْنَ الدمـوعَ على عَـديٍّ كَشَنٍّ خانَه خَــرْزُ الرَّبِيبِ[3]
يُحـاذِرْنَ الوُشاةَ على عــدِيّ وما اقترفُوا عليه من الذُّنوبِ
فإنْ أخطأتُ أو أوهمْتُ أمــراً فقـد يهِـمُ المصافي بالحبيبِ
وإن أَظْلِـمْ فقــدمٍ عاقَبتُمــوني وإن أُظلَــمْ فذلِكَ من نصيبِي
وإن أهلِكْ تجدْ فَقدِي وتُخذَلْ إذا التَقتِ العَوالِي في الحروبِ
فهل لــكَ أن تَدارَكَ ما لدينا ولا تُغْلَــبْ على الرأيِ المصيبِ
فإنّي قـد وكَلْتُ اليومَ أمـري إلى ربٍّ قريـــبٍ مستجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضاً[4] : [من الرمل]

طــال ذا الليــلُ علينا واعتكَرْ وكأنّي نــاذرُ الصبحِ سَمَرْ
مِنْ نجــيّ الهـمّ عندي ثاويـاً فـوقَ مـا أُعْلِنُ منـه وأُسِرّ
وكأنّ اللّيـــلَ فيـــه مثلُــه ولَقِدْماً ظُــنَّ بالليــلِ القِصَرْ
لم أُغَمِّضْ طولَـه حتى انقضى أتمنّى لـو أرى الصُّبحَ جَشَرْ[5]
غير مـا عِشقٍ ولكن طـارقٌ خلَسَ النومَ وأجدانِــي السَّهَرْ

وفيها يقول : [من الرمل]

أبلِـغِ النُّعمـانَ عَنِّــي مَأْلُكاً قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ[6]

1 ما دهري بأن كدرت : ما رغبتي بأن أكون كُدّرت .
2 الحريب : المحروب الذي سلب ماله .
3 الشنّ : الجلد الخلق . الربيب : الذي يصلح الشيء ولا يفسده .
4 الديوان : 59 ومنها أبيات في تاريخ الطبريّ 2 : 198 ومعاهد التنصيص 1 : 319 .
5 جشر الصبح : طلع .
6 مألكاً : رسالة .

أنّنِي واللهِ ، فاقبَلْ حَلِفِي ... لأَبِيلٌ كُلّما صَلّى جَأَرْ[1]
مُرْعَدٌ أحشاؤه في هَيكَلٍ ... حَسَنٌ لِمتُه وافي الشَّعَرْ
ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائِكم ... ولَدى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّ
لا تكونَنَّ كآسي عَظْمِه ... بأسىً حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ[2]
عادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغِي وَهْنَهُ ... يَنْحُوَنَّ المَشيَ مِنه فانكَسَرْ
واذْكُرِ النُّعمى التي لم أنسَها ... لكَ في السَّعي إذا العبدُ كَفَرْ

وقال له أيضاً ، وهي قصيدة طويلة[3] : [من الرمل]

أبلِغِ النُّعمانَ عنّي مَأْلُكاً ... أنّه قد طال حَبسِي وانتِظارِي
لو بغير الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصَّان بالماءِ اعتِصارِي[4]
ليتَ شِعري عن دخيلٍ يفترِي ... حيثما أدركَ لَيلِي ونهارِي
قاعِداً يكرُبُ نفسي بَثُّها ... وحراماً كان سِجْنِي واحتِصارِي
أَجْلَ نُعمى ربَّها أوَّلُكُمْ ... ودُنُوِّي كان مِنكم واصْطِهارِي[5]

[رواية المفضل الضبي في سبب حبس النعمان عديّ بن زيد]

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغنِي عنده شيئاً . (هذه رواية الكلبيّ) . وأمّا المفضَّل الضَّبِّيّ فإنّه ذكر أنّ عديّ بن زيد لمّا قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاث ولا ما يَصلُح لَمِلكٍ ؛ وكان آدم إخوته مَنظَراً وكلُّهم أكثر مالاً منه ؛ فقال له عديّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ؟ فقال له النعمان : ما أعرِف لك حيلةً إلاّ ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نَمْضِ إلى ابن قَرْدس ، رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ ؛ فأتياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندي شيء ، فأتَيا جابر بن شمعون وهو الأسقفّ أحد بني الأَوس بن قلاّم بن بطين [ابن الأوس][6] بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً ، فأنزلهما

---

1 حلفي لأبيل في ل : حلفتي بأبيل . والأبيل : الراهب .
2 آسي : مداوي . الأسى : العلاج .
3 ديوان عديّ : 93–94 .
4 هذا قد ذهب مثلاً . إنّ المرء إذا شرق باللقمة حدرها بشرب الماء ، فماذا يفعل إذا شرق بالماء نفسه ؟! وهو مثل للأذى الحاصل ممّن يرجى نفعه (انظر المثل 3290 في الميدانيّ) .
5 أجل أن : من أجلِ أن . ربّها : تعهدها ونمّاها ؛ قيل : ربُّ الصداقة أصعب من إنشائها .
6 زيادة من ل .

عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقِيهم الخمر ، فلمّا كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عديّ : تُقرِضُنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهما إيّاها ؛ فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهمٌ إلاّ على يديك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحب القَصْر الأبيض بالحِيرة ، ثم ذكر من قصّة النعمان وإخوته وعديّ وابن مَرينا مثلَ ما ذكره ابن الكلبيّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إنّ سبب حبس النعمان عديَّ بن زيد ، أنّ عديّاً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عديّ ابن مرينا فاحتبسه حتى تغدَّى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثمِلوا ، ثم ركب إلى عديّ ولا فَضْلَ فيه ، فأحفظه[1] ذلك ، ورأى في وجه عديّ الكراهة ، فقام فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان : [من مجزوء الكامل]

أَحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـ ـنَ حديثِنا يُودِي بمالِكْ
فالمــالُ والأهلــونَ مصْـ ـرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكالِكْ
مــا تأمُرَنْ فينــا فأمــ ـرُكَ في يمينك أو شِمالِكْ[2]

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عديّ بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شَرِب فغضِب وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِي به إليه ، فحبسه في الصِّنَّيْنِ[3] ولجّ في حبسه وعديّ يرسل إليه بالشعر ، فممّا قاله له[4] : [من الخفيف]

ليسَ شيءٌ على المنــونِ بباقِ غيرُ وجــه المسبَّح الخَلاَّقِ
إن نَكُنْ آمِنِــينَ فاجأنا شَـ ـرٌّ مُصيبٌ ذا الوُدِّ والإشفاقِ
فبريءٌ صدرِي من الظلم للرَّ بّ وحِنثٍ بِمُعْقَــدِ الميثاقِ
ولقــد ساءني زيــارةُ ذي قُرْ بَــــى حبيبٍ لوُدّنــا مُشتاقِ
ساءه مــا بنــا تبيَّنَ في الأيـ ـدِي وإشناقُهــا إلى الأعناقِ
فاذهبِي يــا أُمَيم غيرَ بعيــدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ[5]

---

1 أحفظه : غاظه ، ولد لديه حفيظة .
2 تأمُرن في ل : ما تأتمر .
3 الصنين : موضع بظاهر الكوفة ينزل فيه المنذر .
4 ديوان عديّ : 150–151 وانظر ابن سلام : 118 .
5 يا أميم في ل : يا أُمِّي .

واذهَبي يـا أُمَيـمَ إن يشأ اللهُ يُنفِّسْ مِن أَزْمِ هذا الخِناقِ[1]
أو تَكنْ وُجهَةٌ فتلكَ سبيلُ النـ ـاس لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقي

ويقول فيها : [من الخفيف]

وتقول العُـداةُ أودى عـديٌّ وبنـوه قـد أيقنـوا بغَلاقِ[2]
يـا أبـا مُسْهِرٍ فأبلِـغْ رسولا إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ
أبلِغـا عامـراً وأبلِـغْ أخـاه أنّنِـي مُوثـقٌ شديـدٌ وَثاقِي[3]
في حديد القِسْطاس يرقُبني الحا رسُ والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاقِي[4]
في حديـدٍ مُضاعَف وغُلُولٍ وثيـابٍ مُنَضَّحـاتٍ خِلاقِ[5]
فاركبُوا في الحرام فُكُّوا أخاكم إنّ عِيراً قـد جُهِّزَتْ لانطِلاقِ

يعني الشهرَ الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غَسَّانَ فأصاب في الحِيرة ما أحب ؛ ويقال : إنّه جَفْنة بن النُّعمان الجَفْنِيّ ، فقال عديّ بن زيد في ذلك[6] : [من الوافر]

سما صَقْرٌ فَأَشْعَلَ جانِبَيْها وألهاكَ المروَّحُ والعَزِيبُ

المروَّح : الإبل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزِيب : ما تُرِكَ في مراعيه .

وثَبْنَ لدى الثَّويةِ مُلْجَماتٍ وصبَّحنَ العِبادَ وهنَّ شِيبُ[7]
ألا تلـكَ الغَنِيمةُ لا إفالٌ تُرَجِّيهـا مُسَوَّمَـةٌ ونِيبُ[8]
تُرجِّيهـا وقـد صابَتْ بِقُرٍّ كما ترجُـو أصاغرَها عَتِيبُ

[لمّا طال سجنه كتب إلى أخيه في ذلك شعراً فأجابه]

وقالوا جميعاً : فلمّا طال سجنُ عديّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا

---

1 يا أميم في ل : يا أُمِّي . الأزم : الضّيق والشدّة .
2 الغلاق : إسلام القاتل إلى وليّ أمر المقتول .
3 وثاقي في ل : الوثاق .
4 حديد القسطاس : حديد القبّان .
5 منضحات في ل : موذحات (أي قذرات ، علق بها وزح) .
6 ديوان عديّ : 114 .
7 الثوية : موضع قريب من الكوفة ؛ والضمير في وثبن يعود إلى الخيل . العباد : نصارى الحيرة .
8 الإفال : صغار الإبل والمفرد أفيل . ترجيها في ل : تزجيها . النيب : النوق المسنّة .

الشعر[1] : [من المتقارب]

أبلِـغْ أُبَيّـاً على نأيـــهِ ... وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بـأنّ أخـاكَ شقيقَ الفُـؤا ... دِ كنتَ بــه واثقاً ما سَلِمْ
لَدى مَلِكٍ مُوثَـقٌ في الحديـ ... ـدِ إمّـا بحـقّ وإمّـا ظُلِمْ
فـلا أُعْرِفَنْكَ كذات الغلا ... م مـا لم تجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ[2]
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنا ... تَنَمْ نومـةً ليس فيها حلمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبيّ : [من الخفيف]

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا ... جزُ بـاعٍ ولا أَلَفَّ ضَعيفُ[3]
ويمـينِ الإله لــو أنّ جَأْوا ... ءَ طَحُونا تُضيءُ فيها السيوفُ[4]
ذاتَ رِزٍّ مجتابـةً غمـرةَ المو ... تِ صَحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ[5]
كنتَ في حَمْيها لجئتُكَ أسعى ... فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تَستَضِيفُ[6]
أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمـ ... ـنَعْ تِلادٌ لحاجـةٍ أو طَرِيفُ
أو بـأرضٍ أسطِيعُ آتيكَ فيها ... لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بهـا أو مَخوفُ
إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفـاً فَجُوعاً ... لا يُعَقِّبْك ما يَصوبُ الخريفُ
في الأعادي وأنتَ منّي بعيدٌ ... عـزَّ هـذا الزمـانُ والتعْنِيفُ
ولَعمرِي لئـن جزِعـتُ عليه ... لجزوعٌ على الصديـق أَسُوفُ
ولَعَمْري لئن ملكـتُ عَزائِي ... لقليلٌ شَرْواكَ فيمـا أطُوفُ

[أمر كسرى النعمان بإطلاق عديّ فقتله]

قالوا جميعاً : فلمّا قرأ أُبيّ كتاب عديّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرّفه خبره ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلاً ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنّه قد كُتِب إليك في أمره . فأتى النعمانَ أعداءُ عديّ من بني بُقَيْلَةَ وهم من غسان ، فقالوا له : اقتُله

1 ديوان عديّ : 164 .
2 صبي عارم : بيّن العرامة أي الحدّة والشدّة ؛ وفي البيت روايات مختلفة .
3 الألفّ : الثقيل البطيء .
4 الجأواء : الكتيبة السوداء (من لبس الدروع) .
5 الرز : الصوت .
6 تستضيف : تستجير .

الساعةَ فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنَّيْنِ ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمركَ به فامتثِلْه ، فدخل الرسول على عديٍّ ، فقال لـه : إنّي قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ووعَدَه بعِدَةٍ سنيّةٍ ، وقال له : لا تَخرُجَنَّ من عندي وأعطني الكتاب حتى أُرسله إليه ، فإنّك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلاّ أن آتي الملك بالكتاب فأوصِّله إليه . فانطلق بعضُ مَن كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أنّ رسولَ كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يَستَبقِ منّا أحداً أنتَ ولا غيرك ؛ فبعث إليه النعمان أعداءه فغمُّوه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ؛ فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسك فأخرِجْه ؛ فلمّا أصبح ركِبَ فدخل السجن ، فأعلمَه الحرس أنّه قد مات منذ أيّامٍ ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنّي كنت أمس دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئتُ اليوم فَجَحَدني السَّجّان وبهتَنِي[1] ، وذكر أنّه قد مات منذ أيّامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي ؛ كذبت ، ولكنّك أردتَ الرشوة والخبث ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثّق منه ألاّ يخبر كسرى إلاّ أنّه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه . فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إنّي وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه . وندِم النعمان على قتل عديّ وعرف أنّه احتيل عليه في أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدة .

[مدح النعمان زيد بن عديّ لدى كسرى فاتّخذه كاتباً]

ثم إنّه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد ، فلمّا رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عديّ بن زيد ؛ فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّاً كان ممّن أُعِينَ به الملكُ في نُصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدَّته وانقضى أجله ، ولم يُصَب به أحدٌ أشدّ من مصيبتي ، وأمّا الملك فلم يكن ليَفقِد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خَلَفاً لِما عظَّم الله من ملكه وشأنه ؛ وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة الملِكِ فسرَّحته إليه ، فإن رأى الملِك أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرِف عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور الملِكِ . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ في كلّ

---

1 بهته : كذّبه في وجهه .

سنة : مُهْرانِ أشقرانِ يُجعَلانِ له هُلاماً[1] ، والكَمْأَة الرَّطْبَةُ في حينها واليابسة والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب ؛ فكان زيدُ بن عديّ يلي ذلك له وكان هذا عملَ عديّ . فلمّا وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان ، فأحسنَ الثناءَ عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له .

[كيد زيد بن عديّ للنعمان عند كسرى]

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأَرضِينَ بتلك الصفة ، فإذا وُجِدَت حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنّهم لم يكونوا يطلبونَها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنّه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنّي رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمّه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهنّ ؛ قال : أيّها الملك ، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصَّةً أنّهم يتكرّمون ، زعموا في أنفسهم ، عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيبهنّ عمّن تبعث إليه أو يَعرضَ عليه غيرَهنّ . وإن قدِمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وابعثْ معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبّه ؛ فبعث معه رجلاً جَلْداً فَهِماً ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرة ، فلمّا دخل عليه أعظم الملك وقال : إنّه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصِهره فبعث إليك ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهنّ قد جئنا بها . وكانت الصفة أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أَنُوشِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ، فكتب إلى أَنُوشِرْوان بصفتها ، وقال : إنّي قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلة الخَلْق ، نقيَّة اللون والثغر ، بيضاء قَمراء وَطْفاء[2] كَحْلاء دَعْجاء حَوْراء عَيْناء قَنْواء[3] شَمّاء بَرْجاء[4] زَجّاء[5] أَسيلة الخدّ ، شهيّة المقبَّل ، جَثْلة الشَّعَر[6] ، عظيمة الهامة ،

1 الهلام : مرق اللحم المطبوخ بخلّ حين يبرّد ويصفّى .

2 وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجب .

3 قنواء : مرتفعة أعلى الأنف .

4 برجاء : جميلة الوجه .

5 زجاء : دقيقة الحاجب .

6 جثلة الشعر : ذات شعر كثيف .

بعيدة مَهوى القُرط[1] ، عَيْطاء[2] ، عريضة الصدر ، كاعبَ التدي ، ضخمة مُشاش المَنكِب والعضدِ ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفة الكفّ ، سَبْطَة البَنان ، ضامرة البطن ، خَمِيصة الخَصر ، غَرْثَى الوِشاح[3] ، رَداحَ الإقبال ، رابيةَ الكَفَل ، لَفَّاءَ الفِخذين[4] ، رَيّا الروادِف ، ضخمة المَأكِمتَيْن ، مُفعمة الساق ، مُشبَعة الخَلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قَطوفَ المشي[5] ، مِكسال الضُّحى ، بضَّة المتجرِّد ، سَمُوعاً للسيِّد ، ليست بخَنساء[6] ولا سَفعاء[7] ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تُغَذَّ في بؤسٍ ، حيِيّةً رَزِينةً ، حليمةً رَكينةً ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمورُ في الأدب ، فرأيُها رأيُ أهل الشرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطِيعة اللسان[8] رَهْوَة الصوت[9] ساكنته ، تَزِين الوليَّ ، وتَشِين العدوَّ ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تُحملِقُ عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذَبذبُ شفتاها ، وتبادِرُكَ الوثبة إذا قمتَ ، ولا تجلس إلاّ بأمرك إذا جلست . قال : فقبِلَها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ؛ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مَها السَّواد وعِين فارس ما يبلُغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المَها والعِينُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان أي البقر ؛ فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك كرامتَكَ ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتب إليكَ به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذي طلب المِلكُ ليس عندي ، وقال لزيد : اعذِرني عند الملك . فلمّا رجعا إلى كسرى ؛ قال زيدٌ للرسول الذي قَدِم معه : اصْدُقِ الملكَ عمّا سمعتَ ، فإنّي سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه . فلمّا دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه إليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذي كنتَ خبَّرتني به ؟ قال : قد كنتُ خبّرتكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم ، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع

1 بعيدة مهوى القرط : كنّاية عن أنّها طويلة .
2 عيطاء : طويلة العنق .
3 غرثى الوشاح : كناية عن دقّة الخصر .
4 لفاء الفخذين : ضخمة الفخذين .
5 قطوف المشي : متقاربة الخطى .
6 خنساء : متأخّرة الأنف .
7 سفعاء : سوداء .
8 قطيعة اللسان : نزرة الكلام .
9 رهوة الصوت : رقيقة الصوت .

والعُريَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّمومَ والرياح على طِيب أرضكَ هذه ، حتى إنّهم ليسمّونها السّجنَ ، فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال ، فإنّي أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول : وما قال ؟ فقال له الرسول : أيّها الملك ، إنّه قال : أمَا كان في بقَرِ السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ، فعُرِف الغضب في وجهه ، ووقَع في قلبه منه ما وقع ، لكنّه لم يزد على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك .

[النعمان يستجير بسادات العرب ثمّ يسلم نفسه لكسرى]

وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابه : أنْ أَقبِلْ فإنّ للملِكِ حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبَلَيْ طَيِّىء وكانت فَرعة[1] بنت سعد بن حارثة بن لأْم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّئاً على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأَبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صِهْرُكَ لقتلناك ، فإنّه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أنّ بني رَواحةَ بن قُطَيعةَ بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك ، لِمنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القَرَظ[2] ، قال : ما أُحبُّ أَنْ أُهلِكَكُم ، فإنّه لا طاقة لكم بكِسْرى . فأقبل حتى نزل بذِي قارٍ في بني شَيبان سرّاً ، فلقِيَ هانيءَ بن قَبيصة ، وقيل بل هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان ، وكان سيّداً مَنيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من ربيعة في آلِ ذي الجَدين لقَيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين ، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بن مسعود الأُبُـلَّةَ ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلِم أنّ هانئاً يمنعه ممّا يمنع منه نفسه .

وقال حَمَّاد الراوية في خبره : إنّه إنّما استجار بهانيء كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لزمني ذِمامُك وأنا مانِعُك ممّا أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْن رجلٌ ، وإن ذلك غير نافعك لأنه مُهلِكي ومُهْلِكُك ، وعندي رأيٌ لكَ ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عمّا تريده من مجاورتي ولكنّه الصواب ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : إنّ كلَّ أمر يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلاّ أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ بكلّ أحدٍ ، ولأنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ ، هذا إن بقيتَ ، فامضِ إلى صاحبك واحمِلْ إليه هدايا ومالاً وأَلقِ نفسَك بين يديه ، فإمّا أن صفح

---

1 ل : قرعة .

2 مروان القرظ : مروان بن زنباع العبسيّ ، وكان يضرب به المثل في العزّة .

عنك فعُدت مَلِكاً عزيزاً ، وإمّا أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّب بك صعاليك العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ؛ فقال : كيف بحُرَمي ؟ قال : هنَّ في ذِمّتي ، لا يُخلَص إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتي ؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأيُ الصحيح ، ولن أُجاوِزَه . ثم اختار خيلاً وحُلَلاً من عَصْبِ اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووجَّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِر ويُعلِمُه أنّه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنّه لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

[وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته]

فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عديّ على قنطرة ساباط ، فقال له : انجُ نُعيمُ ، إن استطعتَ النَّجاء ؛ فقال له : أفعلتَها يا زيد ؟ أما والله ، لئنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتْلَةً لم يُقتَلْها عربيٌّ قطّ ولأُلْحِقَنّكَ بأبيك ؛ فقال له زيد : امضِ لشأنك نُعَيمُ ، فقد والله أخَّيتُ لك أُخِيَّةً[1] لا يقطَعها المهرُ الأرِنُ . فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه ، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخانِقينَ[2] ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه .

وقال حمّاد الراوية والكوفيّون : بل مات بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبيّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات ، واحتجُّوا بقول الأعشى : [من الطويل]

فذاكَ وما أنجَى من الموتِ ربَّه ... بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ

قال : المحزرق : المضيَّقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنّه مات بخانِقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدّة طويلة ، وإنّه إنّما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيل الإسلام ، وغَضِبَت له العرب حينئذٍ ، وكان قتلُه سبب وقعة ذي قارٍ .

[أحبّ عدي بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال عليّ بن الصبّاح حدّثني هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : كان عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيّوب الشاعر العباديّ يهوى هِنْد بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نَصْر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارة بن لَخْم وهو مالك بن عَدِيّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زَيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن

1 أخية : عروة ؛ أي ربطت لك عروة ، وشددتك إليها ، وهي عروة قوية لا يقطعها المهر الحيويّ النشيط .

2 خانقين : بلد في شرق العراق .

يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحطان ، ولها يقول[1] : [من الرمل]

عَلِقَ الأحشاءَ من هِندٍ عَلَقْ مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ وأَرَقْ

وهي قصيدة طويلة . وفيها أيضاً يقول[2] : [من الرمل]

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ قد عَصى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّ

وهي طويلة . وفيها أيضاً يقول[3] : [من الخفيف]

يا خليليّ يَسِّرا التعسيرا ثم رُوحا فهجِّرا تهجيرا

عرِّجا بي على ديارٍ لهندٍ ليس أن عُجْتُما المَطِيَّ كبيرا

[قصّة تزوّجه بهند]

قال ابن الكلبيّ : وقد تزوّجها عديّ . وقال ابن أبي سعد ، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالا : كان سبب عِشقه إيّاها أنّ هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها ، وأُمُّها ماريَةُ الكِندِيّة ؛ فخرجتْ في خميس الفِصْحِ[4] ، وهو بعد السَّعانِين[5] بثلاثة أيّام ، تتقرّب في البِيعة ، ولها حينئذٍ إحدى عشرة سنة ، وذلك في مُلْكِ المنذر ؛ وقد قَدِم عديّ حينئذٍ بهديَّةٍ من كسرى إلى المنذر ، والنعمان يومئذٍ فتًى شابّ ، فاتّفق دخولُها البِيعة وقد دخلها عديّ ليتقرّب ، وكانت مديدة القامة عَبلة الجسم ، فرآها عديّ وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأمّلها ، وقد كان جواريها رأينَ عديّاً وهو مقبلٌ فلم يقُلْن لها ذلك ، كَي يراها عديّ ، وإنّما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها ماريةُ ، وقد كانت أحبَّت عديّاً فلم تَدرِ كيف تأتي[6] له . فلمّا رأت هند عديّاً ينظر إليها شقَّ ذلك عليها ، وسَبَّتْ جواريها ونالت بعضهنَّ بضرب ؛ فوقعت هند في نفس عديّ . فلبِث حولاً لا يخبر بذلك أحداً . فلمّا كان بعد حولٍ وظنَّتْ مارية أنّ هنداً قد أضربت عمّا جرى وصَفَتْ لها بِيعة دُومة ، وقال خالد بن كلثوم : بيعةَ توما وهو الصحيح ؛ ووصفَت لها مَن فيها من الرواهب ، ومَن يأتيها من جواري الحيرة ، وحسن بِنائها وسُرُجِها ؛ وقالت لها : سَلِي أُمَّكِ الإذنَ لكِ في إتيانها ، فسألتها ذلك فأَذِنت لها ، وبادرت مارية إلى عديّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقاً[7] كان «فَرْخانْشاهْ مَرْد»

1 ديوان عديّ : 147 .
2 ديوان عديّ : 42 .
3 ديوان عديّ : 130 .
4 الفصح : عيد تذكار قيامة المسيح عند النصارى ويسمّى العيد الكبير ويقع دائماً يوم أحد .
5 السعانين (وبالشين أيضاً) عيد لهم يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح .
6 ل : كيف تراءى .
7 اليلمق : القباء .

قد كساه إيّاه ، وكان مُذهَباً لم يُرَ مثله حُسناً ، وكان عديّ حسنَ الوجه[1] ، مديد القامة ، حُلوَ العينين ، حسَنَ المَبسِم ، نقيّ الثّغر . وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة ، فدخل البِيعة ؛ فلمّا رأته مارية قالت لهند : انظري إلى هذا الفتى ؛ فهو والله أحسن من كلّ ما تَرَيْن من السرج وغيرها ؛ قالت : ومن هو ؟ قالت : عديٌّ بن زيد ؛ قالت : أتخافين أن يعرفَني إن دنوتُ منه لأَراه من قريبٍ ؟ قالت : ومِن أين يعرِفُك وما رآكِ قطّ من حيث يعرِفُك ؛ فدنَتْ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله ، وحُسن كلامه[2] وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فذَهَلَت لمّا رأته وبَهُتَت تنظر إليه . وعرَفَتْ مارية ما بها وتبيَّنَتْه في وجهها ، فقالت لها : كَلِّميه ، فكلَّمته ، وانصرفت وقد تبعتْه نفسُها وهَوِيَتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلمّا كان الغدُ تعرّضت له مارية ، فلمّا رآها هَشَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلّمها ، وقال لها : ما غَدا بِكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليك ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلاّ أعطيتُكِ إيّاه ، فعرَّفته أنّها تهواه ، وأنّ حاجتها الخَلوة به على أن تحتال له في هند ، وعاهدتْه على ذلك ؛ فأدخلها حانوت خمّارٍ في الحيرة ووقَع عليها ؛ ثم خرجت فأتت هنداً ، فقالت : أما تشتهين أن ترَيْ عديّاً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ قالت : أَعِدُه مكان كذا وكذا في ظَهْر القصر وتُشرِفين عليه ؛ قالت : افعلي ، فواعدته إلى ذلك المكان ، فأتاه وأشرفت هند عليه ، فكادت تموت ، وقالت : إن لم تُدخليه إليّ هلَكْتُ . فبادرت الأمَة إلى النعمان فأخبرته خبرَها وصَدَقَتْه ، وذَكَرَت أنّها قد شُغِفَت به ، وأنّ سبب ذلك رؤيتها إيّاه في يوم الفِصح ، وأنّه إن لم يزوّجها به افتضحت في أمره أو ماتت ؛ فقال لها : ويلك ؛ وكيف أبدؤه بذلك ! فقالت : هو أرغب في ذلك من أن تبدأَه أنتَ ، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنّك عرفتَ أمره . وأتتْ عديّاً فأخبرته الخبر ، وقالت : ادعُه ، فإذا أخذ الشراب منه فاخطُبْ إليه فإنّه غير رادِّك ؛ قال : أخشى أن يُغضِبَه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا ؛ قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه معه ؛ فصنع عديٌّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان بعد الفِصح بثلاثة أيّام ، وذلك في يوم الاثنين ، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلمّا أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان ، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيّام .

[ترهّب هند بعد قتل عديّ]

قال خالد بن كلثوم : فكانت معه حتى قتله النعمان ، فترهَّبَت وحبسَت نفسَها في الدير المعروف بدير هند[3] في ظاهر الحيرة . وقال ابن الكلبيّ : بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته

1 ل : حسن الثغر .

2 ل : وحسن قامته .

3 هما ديران بهذا الاسم ، كبير وصغير .

نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت ، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المُغِيرة بن شُعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردّته .

[خطبها المغيرة بن شعبة فردّته]

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد بن الكلبيّ عن أبيه والشَّرَقيّ بن القَطاميّ قالا : مرّ المغيرة بن شعبة لمّا ولاّه معاوية الكوفة بدير هند ، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها ، فأذِنت له وبسطت له مِسحاً فجلس عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً ؛ قالت : والصليبِ لو علمتُ أنّ فيّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغّبَتْكَ فيّ لأجبتُكَ ، ولكنّك أردتَ أن تقول في المواسم : مَلَكتُ مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ ؟ قال : إي والله ؛ قالت : فلا سبيل إليه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها : [من الكامل]

أدركتِ ما منّيتُ نفسيَ خالياً ... للهِ درُّكِ يـــا ابنــةَ النعمانِ
فلقد ردَدْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ ... إنّ الملـــوكَ نَقيَّـــةُ الأَذهانِ

وفي رواية أُخرى :

إنّ الملـوكَ بَطِيَّـةُ الإذعـانِ

يا هندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمْسِكي ... فالصِّدقُ خيـرُ مَقالَـــةِ الإنسانِ

[عشقها لزرقاء اليمامة]

وقد روى عن ابن الكلبيّ غيرُ عليّ بن الصّبّاح في هند أنّها كانت تهوى زرقاء اليمامة ، وأنّها أوّل امرأة أحبَّتْ امرأةً في العرب ، فإنّ الزرقاء كانت تَرى الجيشَ من مسيرة ثلاثين ميلاً ؛ فغزا قوم من العرب اليمامة ، فلمّا قَرُبُوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ؟ فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعُوا شجراً تستُر كلُّ شجرة منها الفارس إذا حملها ؛ فقطع كلُّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها ؛ فأشرفَت ، كما كانت تفعل ، فقال لها قومها : ما تَرَيْنَ يا زرقاء ؟ وذلك في آخر النهار ؛ قالت : أَرى شجراً يسير ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْك عينُكِ ، واستهانوا بقولها ؛ فلمّا أصبحوا صبَحهم القوم ، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأخذوا الزرقاء فقَلعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء ، فسُئِلت عنها فقالت : إنّي كنتُ أُديمُ الاكتحال بالإثمد فلعلَّ هذا منه ، وماتَت بعد ذلك بأيّام ؛ وبلغ هنداً خبرُها فترهَّبت ولَبِست المُسوح وبنَتْ ديراً يعرفُ بدير هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتى ماتت .

[قيل إنّ النعمان أكره عديّاً على طلاق هند]

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : أنّ النعمان لما حبسَ عديّاً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابن حبيب : وذكر عديّ بن زيد صِهرَه هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أخته ، هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة .

وقالت رواة العرب : إنّه كان زوجَ ابنتِه هندٍ ، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي أوّلها :

أبصَرَتْ عينِي عِشاءً ضَوءَ نارِ

فقال فيها : [من الرمل]

أَجْـلَ نُعمَـى رَبِّهـا أَوّلُكُمْ ... ودُنُوِّي كان منكم واصْطِهارِي

نحن كنَّا قـد علِمتُـم قبلها ... عَمَـدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[سبب تنصّر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيم بن فهد قال حدّثنا خليفة بن خيّاط شباب العُصْفُرِيّ[2] قال حدّثنا هشام بن محمد قال حدّثني يحيى بن أيّوب البجَليّ قال حدّثنا أبو زُرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَليّ قال : سمعتُ جدّي جرير بن عبد الله يقول ، وأخبرني به عمّي قال حدّثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال حدّثني معروف بن خَرَّبُوذَ عن يحيى بن أيّوبَ عن أبي زُرعة بن عمرو قال : سمعت جدّي جرير بن عبدالله ، ولَفْظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ، قال : كان سببُ تنصّر النعمان ، وكان يعبد الأوثان قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : النعمان بن المنذر الأكبر ، أنّه كان قد خرج يتنزّه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد ، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عديّ بن زيد : أبيتَ اللَّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : فقال له تقول[3] : [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركـبُ المخِبُّـو ... نَ على الأرضِ المجـدُّونْ

كما أنتُـمُ كُنَّـا ... وكما نحـنُ تكونُـونْ

وقال الصُّوليّ في خبره : فقال له تقول : [من البسيط]

كنَّـا كما كنتُمُ حينـاً فغَيَّرنا ... دهرٌ فسوفَ كما صِرنا تصيرونا

قال : فانصرف وقد دخلته رِقّةٌ ، فمكث بعد ذلك يسيراً ؛ ثم خرج خَرْجةً أُخرى فمرّ

---

1 قبلها في الرواية الشهيرة : قبلكم ، وقد مرَّت .

2 هو المؤرّخ صاحب تاريخ خليفة وكتاب في الطبقات (توفي سنة 240 وقيل 246) .

3 ورد البيتان فيما تقدّم من هذا الجزء وأوّل البيت الثاني «فكما» .

على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ؛ قال : فإنّها تقول[1] : [من الرمل]

مَـنْ رآنـا فَلْيُحَـدِّثْ نفْسَه ... أنّه مُوفٍ على قَـرْنِ زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقـى لها ... ولِمَا تأتِـي بـه صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قـد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بـالماءِ الزُّلالِ[2]
والأباريـقُ عليهـا فُـدُمٌ ... وجيادُ الخيلِ تَرْدِي في الجِلالِ[3]
عَمِرُوا دهـراً بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِنِـي دَهْرِهـمُ غيرَ عِجـالِ
ثم أضْحَوْا عصفَ الدَّهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ يُودِي بالرِّجالِ[4]
وكذاكَ الدهـرُ يرمِـي بالفتى ... في طِلابِ العيشِ حالاً بعدَ حالِ

قال الصُّوليّ في خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياديّ الكلبيّ : فرجع النعمان من وجهه وقال لعديّ : ائتني الليلة إذا هَدَأتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالي ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهَّب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حالُه ، فتنصّر ولدُه بعده ، وبَنوا البِيعَ والصوامعَ ، وبنَتْ هندُ بنت النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الديرَ الذي بظهر الكوفة ويقال له : «دير هند» ، فلمّا حبَس كِسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهَّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت في ديرها مُترهِّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

[المؤلّف يرى أنّ النعمان هو الذي تنصّر]

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنّما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياديّ على ما فيه من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصّة ذكرتُ كلّ ما يُروى في معناها . وهو خبر مختلط ، لأنّ عديَّ بن زيد إنّما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد ؛ وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً ، ولعلّ هذا النعمانَ الذي ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر ، والمتنصّر السائح على

1 ديوان عديّ : 82 .
2 عندنا في ل : حولنا .
3 الفدم : جمع فَدام وهو غطاء يوضع على فم الابريق للتصفية . تردي : تعدو أو تمشي الرديان : أي ترجم الأرض بحوافرها .
4 رواية هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء :
عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية ؛ وكيف يكون هو المدخِلَ له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لمّا حبسه مع مَن ضربه مثلاً له من الملوك السالفة ! .

[حكاية خالد بن صفوان مع هشام بن عبد الملك]

حدّثنا بخبر ذلك المِلك جعفرُ بن محمد الفِريابيّ وأحمدُ بن عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشّاء قالا : حدّثنا إسحاق بن البُهلول الأنباريّ قال حدّثني أبي البُهلول بن حسّان التّنوخيّ قال حدّثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤيّ عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال : أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وَفد أهل العراق قال : فقَدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغاشيته وجُلسائه ، فنزل في أرض قاعٍ صَحْصَحٍ مُنِيفٍ أفيحَ ، في عامٍ قد بكّر وسميُّهُ ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرضُ فيه زينتَها على اختلاف ألوان نبتِها من نَوْرِ رَبيع مُونقٍ فهو في أحسنِ منظَرٍ ، وأحسن مُختبَرٍ ، وأحسن مُسْتَمْطَرٍ ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور ؛ قال : وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبرةٍ كان يوسف بن عُمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقها ، وعليه دُرّاعةٌ من خَزٍّ أحمر مثلُها عمامَتُها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم ؛ قال : فأخرجتُ رأسي من ناحية السِّماط فنظر إليَّ شِبْهَ المستنطِق لي فقلت : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمير المؤمنين نِعَمَه ، وجعل ما قلّدك من هذا الأمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حمداً ، وأخلصَه لك بالتّقى ، وكثره لك بالنّماء ، ولا كدّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سروره بالرّدى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً ، إليك يقصدون في مَظَالمهم[1] ، ويفزَعون في أمورهم ، وما أجدُ شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقّك ، وتوقِير مجلسك ، وما منَّ الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أذكّركَ نعمَ الله عليكَ ، وأنبّهك لشكرها ، وما أجِدُ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث مَن سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان متّكئاً ثم قال : هاتِ يا ابن الأهْتَم ، قال : قلت يا أمير المؤمنين إنّ مِلكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدير في عامٍ قد بَكّر وسمِيُّه ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرض [فيه] زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها في ربيع مُونقٍ ، فهو في أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختبَر ، بصعيد كأنّ ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعطِيَ فَتاءَ السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ وهل أُعطِي أحدٌ مثل ما أُعطيت ؟ قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلَة الحُجَّة ، والمضيِّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخلُ الأرض من قائم لله بحُجّة في عباده ؛ فقال : أيّها الملك إنّك سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ

1 ل : في مطالبهم .

هذا الذي أنتَ فيه ، أشيءٌ لم تزل فيه ، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أُراكَ إلاّ عَجبتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهَناً ؛ قال : وَيحك ؛ فأين المهربُ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تُقيم في ملككَ فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءك وسرَّك ، وأمَضَّك وأرْمَضك[1] ، وإمّا أن تضع تاجك ، وتخلَعَ أطمارك ، وتلبس أمساحك ، وتعبد ربّك حتى يأتيك أجلُكَ ؛ قال : فإذا كان السَّحَر فاقرع عليّ بابي فإنّي مختارٌ أحد الرأيين ، وربّما قال إحدى المنزلتين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفرَ البلاد كنت رفيقاً لا يُخالَف ؛ قال : فقرع عليه عند السَّحَر بابه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس أمساحَه ، وتهيّأ للسياحة ، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما ، وهو حيث يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم[2] : [من الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المعَيِّرُ بالدَّهـــ ـــرِ أَأَنـــتَ المبـــرَّأُ الموفُـــورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيَّـ ـام بـــل أنتَ جاهـــلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المَنونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِـــن أن يُضامَ خفيرُ
أينَ كسرى كسرى الملوك أَنُوشِرْ وانُ أم أيـــنَ قبلـــه سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الر وم لم يبقَ منهـــمُ مَذْكورُ
وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَـــى إليـــه والخابُورُ
شادَهُ مَرمَـــراً وجَلَّلَـــه كِلْـ ـساً فَلِلطيرِ في ذُراه وكورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْـ ـمُلكُ عنـــه فبابُـــه مَهجُورُ
وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرَفَ يومـــاً وللهُدى تَفكيرُ
سرَّه مالُـــهُ وكثرةُ مـــا يمـ ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ
فارعَوى قلبُه فقال ومـــا غِبْـ ـطَةُ حـــيٍّ إلى الممـــاتِ يصيرُ
ثم بعـــدَ الفلاحِ والملكِ والإمّـ ـــةِ وارَتهمُ هُنـــاكَ القُبُورُ[3]

1 أرمضك : أوجعك .

2 ديوان عديّ : 84–92 وأوّل القصيدة :

أرداح مـــودع أم بكـــور لك فاعلم لأي حال تصير

3 الإمة : النعمة .

ثم صاروا كأنّهم وَرقٌ جَفـ ـفّ فألَوت به الصَّبا والدَّبُورُ[1]

قال : فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته ، وبلَّ عمامته ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشَمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلتِ الموالي والحشمُ على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ؛ أفسدتَ عليه لذّته ، ونغَّصتَ عليه مأدُبَته ، فقال : إليكم عنّي فإنّي عاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أخلوَ بملِكٍ إلاّ ذَكَّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

[خبر الحضر]

فأمّا خبرُ الحَضْر وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإنّي أذكر خبرهما ها هنا لأنّه ممّا يحسُن ذكرُه بعَقِب هذه الأخبار ولا يُستغنى عنه ، والشيء يتبعُ الشيءَ .

أخبرني بخبره إبراهيم بن السَّرِيّ عن أبيه عن شُعيب عن سيف ، وأخبرني به الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقديّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين[2] عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن بن الأعرابيّ عن المفضَّل بن سلمة الضَّبِّيّ ، وهشامُ بن الكلبيّ عن أبيه ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن الكوفيّين : أنّ الحَضرَ كان قصراً بحِيال تَكرِيتَ بين دِجلة والفُرات ، وأنّ أخا الحَضْرِ الذي ذكره عديّ بن زيد هو الضيْزَنُ بن معاوية بن العبيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح من بني تَزِيد بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وأمّه جَبْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزِيدَ بن حُلوان أخي سَلِيح بن حُلوان ، وكان لا يُعرفُ إلاّ بأمّه هذه ، وكان ملِكَ تِلكَ الناحية وسائر أرضِ الجزيرة ، وكان معه من بني الأجرام [ثم من بني العَبِيد ابن الأجرام] وسائر قبائل قضاعة ما لا يُحصى ، وكان مُلكُه قد بلغ الشام . فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السَّليح بن حُدَيٍّ بن الدّها بن غَنْم بن حُلوان بن عِمران ابن الحاف بن قُضاعة : [من الوافر]

لَقِيناهم بجَمْع من عِلافٍ وبالخيلِ الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقَتْ فارسٌ منّا نَكالاً وقَتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ
دلَفْنا للأعاجم من بعيدٍ بجمعٍ مِ الجزيرةِ كالسَّعِيرِ

---

1 ألوت به : ذهبت به .

2 كتاب أسماء المغتالين لمحمد بن حبيب في «نوادر المخطوطات» ـ المجموعة السادسة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون (ط . ثانية) 1972 ، ولم يرد فيه خبر الحضر ؛ وانظر الطبريّ 2 : 47–48 ومعجم البلدان لياقوت (حضر) ؛ وحضارة الحضر أمر تشهد به الآثار ؛ وقد نشرت عنها بحوث كثيرة في مجلّة سومر بالعراق .

قالوا : ثم إنّ سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحضْر أربع سنين لا يستغِلّ منهم شيئاً[1] . ثم إنّ النَّضيرة بنتَ الضَّيْزن عَرَكَتْ ؛ أي حاضت فأُخرِجَتْ إلى الرَّبَضِ ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فرآها ورأته ، وعشِقها وعشِقته ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : أُحكِّمكِ وأرفعُكِ على نسائي ، وأخصُّكِ بنفسي دونَهنَّ ؛ قالت : عليك بحمامةٍ مطوّقة وَرقاء ، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلها فإنّها تقعُ على حائط المدينة فتتداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهدِمها إلاّ هو ، ففعل وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقي الحرس الخمر ، فإذا صُرِعوا فاقتلهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينة ، وفتحها سابور عَنْوةً ، فقَتَل الضيزن يومئذٍ ، وأبادَ بني العَبِيد ، وأفنى قُضاعة الذين كانوا مع الضَّيزن فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأُصيبت قبائل حُلوان وانقرضوا ودَرَجوا ، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضَّيزن : [من الوافر]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأنباءُ تَنْمِي ... بما لاقَتْ سَراةُ بَنِي العَبِيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبيه ... وأحْلاسِ الكتائبِ مِنْ تَزِيدِ[2]
أتاهُم بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ ... وبالأبطالِ سابورُ الجنودِ
فهدَّمَ من أَواسِي الحضْرِ صَخْراً ... كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ[3]

قال : فأخرب سابور المدينة واحتمل النَّضيرة بنت الضَّيزن فأعرس بها بعينِ التمرِ ، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[4] من خَشانةٍ في فُرُشِها وهي من حرير محشُوّ بالقزّ ، فالتُمسَ ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنِها قد أثَّرتْ فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشرتها . فقال لها سابور : ويحك ! بأيّ شيء كان أبوك يُغذِّيكِ ؟ قالت : بالزُّبد والمخِّ وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوةِ الخمر . فقال : وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتِك ، وآثرُ لكِ من أبيكِ الذي غذّاكِ بما تذكرين ! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَرَ غدائرَها بذنبه ، ثم استركضَه فقطَّعها قِطَعاً ، فذلك قول الشاعر : [من الخفيف]

أقفرَ الحضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ ... باعُ مِنها فجانبُ الثَّرْثارِ

---

1 ل : لا يظفر منهم بشيء .

2 أحلاس الخيل : الملازمون لها من الفرسان ؛ وأحلاس الكتائب : رجال الحرب .

3 الأواسي : جمع آسية . وهي أساس البناء .

4 تتضوّر : تتلوّى .

قالوا : وكان الضَّيزن صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرهم : بل السَّاطِرون صاحبُ الحَضْر كان رجلاً من أهل باجَرْمى والله أعلم أيّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذي ذكره عديٌّ .

[خبر الخورنق][1]

وأمّا صاحب الخَوَرنَقِ فهو النعمان بن الشَّقيقة ، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرفْ له خبرٌ ، والشقيقة أمّه بنت أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان . وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن نَصْر بن ربيعة بن الضَّخْم اللَّخميّ ، وهو صاحب الخورنق ، فذكر ابن الكلبيّ في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية عليّ بن الصبَّاح إيّاه عنه : أنّه كان سببُ بنائه الخورنَقَ أنَّ يَزدَجِردَ بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِيءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْرِ الحِيرةِ ، فدفع ابنَه بَهرام جُور بن يزدجرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنيَ الخورنَقَ مسكناً له ولابنه ويُنزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .

[جزاء سنمار]

وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له «سِنِمَّارُ» فلمّا فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنّكم تُوفُوني أُجرتي وتصنعون بي ما أستحقُّه ، لَبنيتُه بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقالوا : وإنّك لتبني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ؟ ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[2] . وقال : في بعض الروايات أنّه قال له : إنّي لأعرِفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال له : أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً ، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصرِ ، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْنيّ[3] : [من الطويل]

جـــزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها وربِّها ... وباللاَّتِ والعُزّى جزاءَ المكفَّرِ

ومنها قول سَلِيط بن سعد[4] : [من البسيط]

---

1 تجد خبر الخورنق في شرح المثل «جزاه جزاء سنمار» في كتب الأمثال ؛ وانظر نشوة الطرب لابن سعيد ، 273–274 تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن 1982 والمناقب المزيدية لأبي البقاء 1 : 266–269 تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان (الطبعة الأولى) وخزانة الأدب 1 : 292–294 .

2 الجوسق : القصر .

3 بيت أبي الطمحان في خزانة الأدب 1 : 294 .

4 بيت سليط بن سعد في خزانة الأدب 1 : 293 .

جزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبَرٍ   وحُسْنِ فعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

وقال عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبيّ[1] ، وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغسّانيّ أفراساً ، ووفَدَ إليه فأُعْجِبَ به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مُسترضَعٌ في بني عَبْدِ وُدٍّ من كَلْبٍ فنهشَتْه حَيَّةٌ ، فظنَّ الملكُ أنّهم اغتالُوه ، فقال لعبد العُزّى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ ، فقال : لتأتِيَنّي بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنا من حِبائِكَ أمراً حال دونه عِقابُكَ ، ودعا ابْنيه شَراحِيلَ وعبد الحارث ، فكتبَ معهما إلى قومه : [من الطويل]

جـزاني جـزاه اللهُ شَرَّ جزائه   جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ
سوى رَصِّه البنيانَ عِشرينَ حِجةً   يُعَلِّي عليه بالقَرامِيدِ والسَّكْبِ[2]

وهي أبيات ، قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين : إحداهما يقال لها : «دَوْسَر» وهي لِتَنُوخ ، والأُخرى : «الشَّهْباء» وهي للفُرسِ ، وكانتا أيضاً تُسمَّيانِ القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلادَ الشام ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعِظ وجوابِه وما كان من اختياره السياحة وتركِه مُلكَه .

[رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال ذكر ابنُ حمزة عن مشايخه : أنّ النعمان بن المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ[3] : [من البسيط]

مَنْ يَطْلُبِ الدهـرُ تُدرِكْه مَخالِبُه   والدَّهْرُ بالوَتْرِ نـاجٍ غيرُ مطلوبِ
ما منْ أناسٍ ذَوِي مجدٍ ومَكْرُمةٍ   إلاّ يَشُدُّ عليهـم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتـى يُبِيدَ على عَمْـدٍ سَراتَهُمُ   بالنافـذاتِ مـن النَّبْلِ المَصايِيبِ
إنّي وجدتُ سِهامَ الموتِ مُعرِضةً   بكلِّ حَتْفٍ مـن الآجالِ مكتوبِ

[الغناء في شعر عديّ بن زيد]

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

---

1 الخبر في الخزانة 1 : 293–294 .

2 السكب : النحاس أو الرصاص .

3 قوله «تمثّل» يعني أنّ الأبيات ليست للنابغة .

منها[1] : [من المنسرح]

صوت

لَمْ أَرَ مثلَ الفِتيانِ في غَبَنِ الْـ ـأيامِ يَنْسَوْنَ ما عواقِبُها
يَنسونَ إخوانَهُم ومصرَعَهُم وكيف تَعْتاقُهُم مَخالِبُها[2]
ماذا تُرجِّي النفوسُ مِن طلبِ الـ ـخير وحبُّ الحياةِ كارِبُها[3]
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الد هرِ ورَيبُ المنونِ صائِبُها[4]

ويروى عُقَبُ الدهر ، يقول : الأيّامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهم وتختِلُهم مثل الغبنِ في البيع . وتَعتاقُهُم : تَحبسُهم ، يقال : اعتاقه واعتقاه . وكاربها ها هنا : غامُّها ، وهو في موضع آخر القريب منها ، يقال كَرَبَهُ الأمر وكرثه وبهَضه وغنَظه إذا غمّه ، الغناء في هذه الأبيات لابن مُحرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر ، نسبه حَبَشٌ ودَنانير إلى حُنين ، ونسبه الهشاميّ وابن المكّيّ إلى الهُذليّ . ومنها[5] : [من المديد]

صوت

يــا لُبَينَى أوقِدِي النّارا إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حارا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْمُقُها تَقْضِمُ الهِنْدِيَّ والغارا
عندَها ظبيٌ يؤرّثها عاقِدٌ في الجيدِ تِقصارا[6]

عروضه من المديد ، حار يحير هنا : ضلّ ، وحار في موضع آخر : رجع . والغار : شجر طيّبُ الريح ، والغار أيضاً : شجرُ السوسِ ، والغار : الغَيرة . ويؤرِّثها : يوقِدُها ويُكثِر حَطَبها . والتِّقصار : المِخْنَقَةُ ، الغناء لحُنين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لعَرِيب .

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن كلوة بن محمد عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس

1 ديوان عدي بن زيد : 45 .
2 تعتاقهم في الديوان : تغتالهم .
3 كاربها في الديوان : كاذبها .
4 صائبها في الديوان : كاربها .
5 ديوان عديّ بن زيد : 100 .
6 الشطر الثاني في الديوان : عاقد في الخصر زنارا . والتقصار : القلادة .

النحويّ قال : مات رجل من جُندِ أهل الشام عظيمُ القدر ، له فيهم عزّ [وعدد] ؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِل إليه بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يُسَوِّي عليه : رحمك الله أبا قنان ، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجيدُ الغناء ، وتُسرِعُ ردَّ الكأس ، ولقد وقَعْتَ في موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة[1] . قال : فما تمالك الحجّاج أن ضحِكَ ، وكان لا يكثر الضحكَ في جدٍّ ولا هزلٍ . فقال له : أهذا موضع هذا لا أمَّ لكَ ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، فرسُه حبِيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّي : [من المديد]

يا لُبَيْنَى أوقِدي النارا إن مَنْ تَهوَيْنَ قد حارا

لأنتشر الأمير على سعْنةَ ، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنة ، فقال : إنّا لله أخرجوه من القبر ؛ ما أبينَ حُجّة أهلِ العراقِ في جهلكم يا أهل الشام ؟ قال : وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً ، وأذمِّهم قامةً . فلم يبقَ أحد حضر القبرَ إلاّ استفرغ[2] ضحكاً . ومنها من قصيدته التي أوّلها[3] : [من الرمل]

لِمَــن الدارُ تَعفَّــتْ بِخِيَمْ

صوت

[من الرمل]

وثــلاثٍ كالحمامــاتِ بهــا بــين مَجْثاهُنَّ توشيمُ الحُمَمْ
أسأل الــدارَ وقــد أنكرتُهــا عن حبيبي فإذا فيهـا صَمَمْ[4]

ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاث يعني الأثافِيَّ التي تُنصب عليها القِدرُ ، الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيل أوّل مطلقٍ في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التي أوّلها : [من الرمل]

لمــن الدارُ تعفَّــتْ بِخِيَــمْ أصبحت غيَّرها طـولُ القِدَمْ
مــا تَبِينُ العــينُ مــن آياتهــا غيرَ نُــؤْيٍ مثل خـطٍّ بالقلمْ

وبعده :

---

1 ل : إلى يوم الدكة .
2 ل : إلاّ استغرب .
3 ديوان عديّ بن زيد : 73 .
4 أنكر تهاني في ل : وقد أُنكرها ؛ الديوان : وقد حييتها .

وثــلاثٍ كالحمامـــاتِ بهــا بــين مَجثاهــنَّ توشيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاث كالحمامات . ومنها قوله :

كفى غِيَرُ الأيّام للمرءِ وازعا

صوت

[من الطويل]

بنـــاتِ كِـــرامٍ لم يُرَبْـنَ بضَرَّةٍ دُمًى شَرِقــاتٍ بالعَبيرِ رَوادِعا[1]

يُسارِقْـــنَ مِ الأستارِ طَرْفـاً مُفَتَّراً ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدورِ الأصابعا[2]

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

وأُصْبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ خواضِعا

بناتِ كرام هكذا في القصيدة على تواليها ، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعاً بالضمٍّ والفتح . والدُّمى : الصُّوَرُ ، واحدتُها دُمْيَةٌ . الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزيعٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

أَرِقْتُ لمكفهِـرٍّ بــاتَ فيــه بَـوارِقُ يرتَقِينَ رؤوسَ شِيبِ

تـــروحُ المشرَفِيَّـةُ في ذُراهُ ويَجْلُو صفحةَ الذَّيـلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ : السحاب المتوالي المتراكب . والشِّيب : السحائب التي فيها سواد وبياض شبَّهها بالرؤوس الشِّيب ، وقال قوم : بل شِيبٌ : جبل معروفٌ . شبَّه البرق في السحاب بلَمَعانِ السُّيوف . ورواه ابن الأعرابيّ :

ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشِيبِ

وقال : الدَّخْدارُ : الثوب المَصُونُ ، وهـو أعجميٌّ معرّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيل أوّل بالبنصر . ومنها من قصيدته التي أوّلها[4] : [من الوافر]

ألا يـا طـالَ ليلي والنهارُ

---

1 روادع بالعبير : مخلَّقات بالعبير .

2 من فتق الخدور في ل : من فتق الستور .

3 ديوان عديّ : 37 (وقد تقدّم) .

4 ديوان عديّ : 132 (ولم يورد الشطر الثاني) .

صوت

[من الوافر]

ألا مَـنْ مُبلغُ النعمانِ عنِّي   علانيـةً فقد ذهبَ السِّرارُ
بأنّ المـرءَ لم يُخلَقْ حَديداً   ولا هَضْباً تَوَقَّـاه الوِبارُ[1]
ولكنْ كالشِّهابِ فثمَّ يَخْبُو   وحادِي الموتِ عنه ما يَحارُ
فهـل مِن خالـدٍ إما هلكنا   وهل بالموتِ يا لَلنَّاسِ عارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار : جمع وَبْرٍ . والشِّهاب : السراج . ويخبو : يَطْفَأُ . الغناء لبابُويَه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشاميّ . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنِّي   فبينا المرءُ أَعْزَبَ إذ أَراحا[3]
أطَعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثاقِي   وكنَّا في حُلُوقِهِمُ ذُباحا[4]
منحتَهمُ الفُـراتَ وجانبيْه   وتَسقِينا الأواجِنَ والمِلاحا[5]

الغناء لحُنين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها[6] : [من الرمل]

صوت

مَنْ لقلبٍ دَنِـفٍ أو مُعْتَمَدْ   قـد عَصى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدّ
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها   سامعاً فيهـا إلى قول أحدْ

المعتَمدُ : الذي عمَده الوجعُ يَعمِده عَمْداً . غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ، ولِسَنانٍ الكاتب لحناً ، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ومنها[7] : [من الخفيف]

---

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي – فيما يقال – دويبة تكون في الغور ولا تترقى الهضاب .

2 ديوان عدي : 120 .

3 أغاني الدار الوطنية أغرب ، وعنه الديوان ؛ وصوبناه ، معنى أعزب : خرج بماشية ليقيم في المرعى بعيداً عن مكان قومه ؛ أراح : رجع بها مساء إلى الحيّ وهذا كناية عن الحياة والموت .

4 الذباح : وجع في الحلق .

5 ل : وما يليه . الأواجن : جمع آجن ، وهو الماء الذي تغيّر طعمه ؛ والملاحا : الملح .

6 ديوان عدي : 42 .

7 ديوان عدي : 84 .

صوت

أَرَواحٌ مُـــوَدِّعٌ أم بُكــورُ لكَ فاعمِدْ لأيّ حـالٍ تَصيرُ[1]
ويقولُ العُــداةُ أَوْدى عـديٌّ وعـديٌّ بسُخْـطِ ربٍّ أَسيرُ[2]
أيُّها الشامتُ المعَيِّرُ بالدهـ ـرِ أأنـت المبـرَّأ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّا مِ بـل أنـت جاهلٌ مغرُورُ

يريد : أَرَواحٌ نودِّعُكَ فيه أم بكورٌ ؟ أيـّهما تُريد ؟ فاعمِدْ للذي تصيرُ إليه من أمر آخرتكَ . والموفورُ : الذي لم تُصِبه نوائب الدهر . الغناء لحُنَين من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنيناً غنّاه خالداً القَسْرِيّ أيّام حَرَّم الغِناء ، فرَقَّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . والخبر [في ذلك] يُذكر في أخبار حنين .

وممّا يُغنَّى فيه أيضاً من شعر عديٍّ[3] : [من الهزج]

صوت

أَلا يـا ربَّمـا عَـزَّ خليلـي فتهـاونْتُ
ولو شئتُ على مَقْـدُ رَةٍ مِنِّـي لعـاقبتُ
ولكن سَرَّنِي أن يعـ ـلَمُوا قَدْرِي فأَقْلعتُ
أَلا لا فاسألوا الفتيـ ـة ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لسِياطٍ رمل عن الهشاميّ . وفيه ليحيى المكيّ خفيف ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَرِيبَ في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر[4] وهو :

ولكنَّ حبيبي جلّ عندي فتغافلتُ

وممّا يُغنَّى فيه من شعره[5] : [من السريع]

صوت

تَعرِفُ أمْسِ منْ لَميسَ الطَّلَلْ مثلَ الكتابِ الدارسِ الأحْوَلْ

---

1 الديوان : فاعلم .
2 هذا البيت هو رقم 43 من القصيدة ، والذي بعده هو التاسع عشر : ففي الترتيب اختلاف كبير .
3 ديوان عديّ : 119 .
4 ولكن جامع الديوان ألحقه بالأبيات السابقة .
5 ديوان عدي : 157 .

الذي قد دَرَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَباحاً عَلْقَمَ بنَ عَدِي — أثَوَيْـتَ اليـومَ أم تَرْحَـلْ

قـد رحَّــلَ الفِتيانُ عِيرَهُـمُ — واللحمُ بالغِيطانِ لم يُنْشَلْ[1]

إذ هي تَسْبِي الناظرين وتجـ — ـلو واضحاً كالأُقْحُوانِ رَتِلْ

الرَّتِلُ : المستوي البِنيةِ .

عذبـاً كما ذقتُ الجَنِيَّ من التـ — ـفاحِ مَسْقِيّـاً ببردِ الطَّـلّ

هكذا يُغنّى . والذي قاله عديّ : يَسقيهِ بردُ الطَّلّ . الغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ أنّ عمرَو بن امرىء القيس المكني بأبي شريح وعَلْقمة بن عديّ ، وقيل علقم بن عديّ بن كعب ، وعمرَو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصر ابن مُقاتِل[2] فمكثوا فيه يتصيّدون ، فزعموا أنّ علقمة بن عديّ تَبعَ حماراً فصرعه والشمسُ لم تَطلع ، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومرَّ به فرسُه يركض ، فجال به العَير فضربه فأصاب صدرَه فقتله ، وقيل : إنّ الرمحَ المنقصف دخل في صدره فقتله ، وذلك في أيّام الربيع ، وكان عديّ بن زيد معهم وإليه قصدوا ، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل ، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها .

صوت
من المائة المختارة[3]

[من الطويل]

عَفا مِنْ سُلَيْمَى مُسحُلانُ فحامِرُهْ — تَمَشّى بــه ظُلْمانُـه وجـآذِرُهْ[4]

بمستأسِدِ القُرْيانِ عافٍ نَباتُـه — فَنُوّارُه مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ[5]

رأتْ عارِضاً جَوْناً فقامَتْ غَرِيـرةً — بمِسْحاتها قبـلَ الظـلامِ تُبادِرُهْ

فما بَرِحَتْ حتى أتى الماءُ دونها — وسُدّت نواحيــه ورُفِّـعَ دابِـرُهْ[6]

1 الغيطان : الحقول المطمئنّة .

2 قصر ابن مقاتل (أو قصر مقاتل) كان في طريق الذاهب من عين التمر إلى الشام .

3 ديوان الحطيئة : 180 تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة : 1958 .

4 مسحلان وحامر : موضعان في ديار الشام . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ؛ والجآذر : أولاد البقر .

5 مستأسد القريان : النامي من نبات القريان وهي مجاري الماء . عافٍ نباتُه في ل : حوّ تلاعه .

6 سدّت في ل : وهدت .

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلان : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه إلى مُسحُلان . والظُّلمان : ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر : أولاد البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضمّ الذال وفتحها . وتمشّى : تُكْثِر المشيَ . والقُرْيانُ : مجاري الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِيّ . والمستأسِدُ : ما التفَّ منها وطال . والنُّوّارُ يقال : إنّه يكون أبداً حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ، فيقول : إنّ نُوّارَ هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارض : السحاب . والجون : الأسود . والغريرة : الناعمة التي لم تُجرِّب الأمورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّع دابرُه أي مؤخّره الذي يلي الماء من النؤي . الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْـرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشة ولحنُه المختار خفيف رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبشٌ أنّ له فيه لحناً آخرَ من الثقيل الثاني .

[12] ـ خبر الحطيئة ونسبه[1]

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[نسبه]

الحُطَيْئةُ لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه جَرْوَلُ بنُ أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْثِ بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم ، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مُجيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ ، ونسبُه مُتدافَع بين قبائل العرب ، وكان ينتمي إلى كلّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين .

[إسلامه وارتداده]

وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم . ثم ارتدّ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا فيا لَعِبادِ اللهِ ما لأبِي بَكْرِ

أَيُورِثُها بكرا إذا مات بعده وتلك لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهرِ

[سبب لقبه الحطيئة]

ويُكْنى الحطيئة أبا مُلَيكة ، وقيل : إنّ الحطيئة غلَب عليه ولُقِّبَ به لقِصره وقُربه من الأرض . وقال حمّاد الراوية قال أبو نصر الأعرابيّ : سُمِّيَ الحطيئة لأنّه ضَرِطَ ضرطةً بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنّما هي حُطَيْئة ، فسمّي الحطيئة . وقال المدائنيّ قال أبو اليقظان : كان الحطيئة يدَّعي أنّه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سَدوس ، قال : وسمّي الحطيئة لقربه من الأرض .

[انتماؤه إلى بني ذهل بن ثعلبة]

أخبرني الفضل بن الحُباب[3] الجُمَحيّ أبو خليفة في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن

---

1 في ترجمة الحطيئة وأخباره انظر (الشعر والشعراء) : وابن سلام : 110–121 والموشح : 139–141 والخزانة 3 : 287–295 (جرول) ووصية الحطيئة في تذكرة ابن حمدون 3 : 269–271 (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عباس دار صادر ، بيروت 1996) .

2 الشعر في تاريخ الطبريّ 3 : 246 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ونسبه لعبد الله الليثي ، وانظر ديوان الحطيئة : 329 والبيت الأوّل في الأغاني هو السابع في الديوان ، من قصيدة مطلعها :

ألا كلّ أرماح قصار أذلة فداء الأرماح ركزن على الغمر

3 طبقات ابن سلام 1 : 158 وانظر الديوان : 81 .

سَلاَّم : أنّ الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذُهل بن ثعلبة فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامــةَ خيرُ ساكنهــا أهلُ القُرَيَّـةِ من بني ذُهْلِ

قال : والقُريّة : منازلهم ، ولم ينبت[1] الحطيئة في هؤلاء .

[تلوّنه في نسبه]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال : سمعتُ خِراشَ بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان : كان الحطيئة إذا غضب على بني عَبسٍ يقول : أنا من بني ذُهل ، وإذا غضب على بني ذُهل قال : أنا من بني عبس .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبيّ : كان الحطيئة مغموز النسب ، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفوا .

قال إسحاق وقال الأصمعيّ : كان الحطيئة يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك[2] : [من مجزوء الكامل]

قومي بنو عَوْفِ بن عمـ ـرٍو إن أرادَ العلمَ عالِمْ

قــومٌ إذا ذهبَــتْ خَضا رِمُ منهمُ خَلَفَتْ خَضارِمْ

لا يَفْشَلُــون ولا تَبِيــ ـتُ على أُنوفِهِمُ المَخاطِمْ

قال الأصمعيّ : وقَدِمَ الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذُهل يسألهم وكان يزعم أنّه منهم وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

سيري أُمــامَ فإنَّ المالَ يجمعُه سَيْبُ الإلــه وإقْبالِــي وإدباري

إلى معاشرَ منهــم يـا أُمـامَ أبي من آل عَوْف بُـدُوءٍ غيرِ أَشْرارِ[4]

نمشي على ضوء أحسابٍ أَضأْنَ لنا ما ضَوَّأَتْ ليلةُ القَمْراءِ لِلسَّارِي[5]

[خبره مع أخويه من أوس بن مالك]

وقال ابن دريد في خبره عن عمّه عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، وحَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان أوس بن مالك بن جُوَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عبس تزوّج بنت رِياح بن عمرو بن عوف بن الحارث بن سَدُوس بن شيبان بن

1 ل : يثبت .
2 ديوان الحطيئة : 80 .
3 ديوان الحطيئة : 78–79 .
4 البدوء : السادة والمفرد بدء .
5 الشطر الثاني في الديوان : كما أضاءت نجوم الليل للساري .

ذُهل بن ثعلبة ، وكان له أَمَةٌ يقال لها الضَّرَّاء فأَعلقها بالحطيئة ورحل عنها . وكان لبنت رياح أخٌ يقال له : الأَفقَم ، وكان طويلاً أفقمَ[1] ، صغير العينين ، مضغوط اللَّحْيين ، فولدتِ الضَّراء الحطيئة فجاءت به شبيهاً بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبيّ ؟ فقالت لها : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبَّهتْه بأخيها ؛ فقالت لها : صدقتِ . ثم مات أوس وترك ابنين من الحُرّة ، وتزوّج الضَّرَّاء رجلٌ من بني عبسٍ فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمّه . فأعتقت بنت رياحٍ الحطيئة وربَّتْه فكان كأنّه أحدُهما . وترك الأفقم نخلاً باليمامة . فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنّها اعتلقتْ من أوس بن مالك ، فقال لهم : أفرِدوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيك فقال[2] : [من الكامل]

أأمَرْتُماني أن أُقِيمَ عليكما ... كلاَّ لعَمْرُ أبيكما الحَبَّاقِ
عبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه ... شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرَّاقِ[3]

[سأل أمّه من أبوه فخلطت عليه]

قال : وسأل الحطيئةُ أمَّه : مَن أبوه فخَلَطتْ عليه فقال[4] : [من الطويل]

تقولُ ليَ الضرَّاءُ لستَ لواحِدٍ ... ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أُولئكا
وأنتَ امرؤٌ تَبغِي أباً قد ضَلَلْتَه ... هَبِلْتَ ألَّا تَسْتَفِقْ من ضَلالِكا

[خبره مع إخوته من بني الأفقم]

قال : وغضِبَ عليها فلحِقَ بإخوته بني الأفقم فقال : [من البسيط]

سِيري أُمامَ فإن المالَ يجمعُه ... سَيبُ الإله وإقبالي وإدباري

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكِنِها ... أهلُ القُرَيَّةِ من بني ذُهلِ

وسألهم ميراثَه من الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أُمّ مُليكة ، وأمّ مليكة : امرأةُ الحطيئة ، فقال : [من الطويل]

1 أفقم : في أسنانه عيب .

2 ديوان الحطيئة : 281 .

3 يشل : يطرد ، بضبعه : بوسط عضده . الورّاق : صاحب الورق ، أي ذو المال .

4 ديوان الحطيئة : 276 .

لِيَهْنِي تُراثِي لامرىءٍ غيرَ ذِلَّةٍ صَنابيرُ أُحْـدانٌ لهـنّ حَفيفُ

قال : ثم لم تُقْنِعه النُّخيلات ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأفقم فلم يُعطوه شيئاً وضربوه[1] ، فغضِب عليهم وقال[2] : [من الطويل]

تَمنّيتُ بكرا أن يكونوا عِمارتي وقومِـي وبَكرٌ شرُّ تلك القبائلِ[3]

إذا قلـتُ بَكْرِيٌّ نَبَوْتُمْ بحاجتي فيا ليتني مِـن غيرِ بكرِ بن وائلِ

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أَوْس بن مالك . وقال الأصمعيّ في خبره : لمّا أتى أهل القُرَيَّة ، وهم بنو ذُهْلٍ ، يطلب ميراثه من الأَفقمِ مدحهم فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامـةَ خيرُ ساكِنِهـا أَهلُ القُرَيَّة من بني ذُهْلِ

الضامنون لمـالِ جارهِـمُ حتى يتمَّ نـواهضُ البقلِ

قـوم إذا انتسبوا ففرعُهُم فرَعِـي وأثبتُ أَصْلِهم أَصْلِي

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم : [من الكامل]

إنّ اليمامـة شَرُّ ساكنهـا أهلُ القُرَيَّـة من بني ذُهْلِ

[تزوّجت أمّه فهجاها]

وقال أبو اليَقْظان في خبره : كان الرجل الذي تزوّج أمّ الحطيئة أيضاً ولدَ زنا اسمه الكَلْب بن كُنَيس بن جابر بن قَطَن بن نَهشل ، وكان كُنَيس زنى بأمَةٍ لزُرارة يقال لها رُشَيّةُ ، فولدت له الكلبَ ويَربوعاً ، فطلبهم من زُرارة فمنعه منهم ، فلمّا مات طلبهم من ابنه لَقِيطٍ فمنعه ؛ وقال لقيطُ في ذلك : [من الطويل]

أفِي نصفِ شهر ما صَبَرتم لحقِّنا ونحنُ صبرنَـا قبـل ذاكَ سِنِينا

وهي أبيات . فتزوّج الكلب الضَّرَّاء أمَّ الحطيئة ؛ فهجاه الحطيئة وهجا أُمَّه فقال[4] : [من الكامل]

ولقد رأيتُـكِ في النساءِ فسُؤتني وأبـا بنيكِ فساءني في المجلسِ

إنّ الذليـل لمـن تَـزُور ركابُه رهطَ ابن جَحْشٍ في الخُطوبِ الحُوّسِ[5]

---

1 ل : فصرفوه .

2 ديوان الحطيئة .

3 العمارة : القبيلة .

4 ديوان الحطيئة : 273 .

5 الحوس : الشداد .

قَبـحَ الإلـهُ قبيلـةً لم يَمنعُـوا ... يومَ المُجَيْمِرِ جارَهم مِـن فَقْعَسِ[1]

أبلغْ بنـي جَحْش بـأنّ نِجارَهم ... لـؤمٌ وأنّ أباهـمُ كالهِجْرِسِ[2]

وقال الحطيئة يهجو أمه[3] : [من الوافر]

جـزاكِ اللهُ شرّاً من عجوزٍ ... ولقّـاكِ العُقُوقَ مـن البنينِ

فقد مُلّكتِ أمرَ بنيكِ حتى ... تركتِهِمُ أدقَّ مـن الطَّحِينِ[4]

فإن تُخْلَيْ وأمرَكِ لا تَصُولي ... بمشْتدٍّ قُـواهُ ولا مَتِينِ

لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خير فيـه ... ودَرُّكِ دَرُّ جاذبـةٍ دَهِينِ[5]

وقال يهجو أمّه أيضاً[6] : [من الوافر]

تَنَحَّيْ فاجلِسي مِنّي بعيداً ... أراحَ اللهُ منـكِ العالَمينـا

أغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً ... وكانونـاً على المتحـدّثينا

حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ ... وموتُكِ قـد يسرُّ الصالحِينا

[هجاء دنيء النفس فاسد الدين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان الحطيئة جَشِعاً سَؤولاً مُلحِفاً ، دنيءَ النفس ، كثير الشرِّ ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رَثَّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدِّين ، وما تشاء أن تقول في (شعر) شاعرٍ من عيبٍ إلاّ وجدته ، وقلّما تجد ذلك في شعره .

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : بُخلاء العرب أربعةٌ : الحطيئة ، وحميد الأَرقَط ، وأبو الأسود الدُّؤَليّ ، وخالد بن صفوان .

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئة بَذِيّاً هَجّاءً ، فالتَمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول[7] : [من الطويل]

---

1 المجيمر : أرض أو جبل ببلاد بني أسد . فقعس : قبيلة من بني أسد .

2 الهجرس : ولد الثعلب .

3 ديوان الحطيئة : 278 .

4 فقد ملكت في الديوان : فقد سُوِّسْتِ .

5 لا خير فيه في ل : لا عيب فيه ؛ الديوان : لم يبق شيئاً . الجاذبة : الناقة التي تجذب لبنها فلا ينزل ، والدهين : الناقة القليلة اللبن .

6 ديوان الحطيئة : 277 .

7 ديوان الحطيئة : 282 .

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاّ تكلُّماً بشرٍّ فما أَدْرِي لِمن أنا قائِلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ هذا البيت في أشداقِه ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع في رَكِيٍّ أو حوض فرأى وجهه فقال : [من الطويل]

أرى لِيَ وجهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَه فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

[قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفاً من شرّه]

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء : حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي قال : قدِم الحطيئة المدينة فأَرْصَدَت قريشٌ له العطايا خوفاً من شرِّه ، فقام في المسجد فصاح : مَن يحمِلني على بغلين .

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم[1] وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ : كان الحطيئة سؤولاً جَشِعاً ، فقدِم المدينة وقد أرصَدَتْ له قريش العطايا ، والناس في سَنةٍ مُجدِبةٍ وسَخطةٍ من خليفة[2] ، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضهم إلى بعض ، فقالوا : قد قدِم علينا هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يَظُنّ فيُحقِّق ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهْدَ نفسِهِ بَهَرَها[3] ، وإن حرمَه هجاه ، فأُجمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنّوا أنّهم قد أغنَوه ، فَأَتَوه فقالوا له : هذه صلة آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ؛ فظنّوا أنّهم قد كَفُّوه عن المسألة ، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي : مَن يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ جهنّم[4] .

[كان متين الشعر]

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلاّم شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرقَ ما وصفاه به في هذا الخبر ، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا :

كان الحطيئة مَتينَ الشعر ، شَرودَ القافية[5] ، وكان دنيءَ النفس ، وما تشاء أن تطعن في

1 طبقات ابن سلام 1 : 113 (الفقرة : 130) .

2 في سخطة من خليفة أي غضبة ؛ وقد توفي الحطيئة سنة 59هـ ؛ وقد يكون الخليفة هو معاوية ؛ ولعلّه كان مغضباً على أهل المدينة .

3 بهر نفسه : كلفها فوق ما تطيق .

4 كبّة جهنّم : شدّتها وصدمتها .

5 القافية الشرود : القصيدة التي تسير في البلاد .

شعر شاعر إلاّ وجدت فيه مطعَناً ، وما أقلّ ما تجد ذلك في شعره .

[وضعه كعب بن زهير بعده في الشعر فهجاه مزرد بن ضرار]

قالا : فبلغ من دناءة نفسه أنّه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئةَ راوِيةَ زهير وآل زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسَكَ وتضعُني موضعاً بعدك ، وقال أبو عبيدة ؛ تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّي بي ، فإنّ الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعب[1] : [من الطويل]

فمَن للقوافي شانَها مَنْ يحوكُها ... إذا ما ثَوى كعبٌ وفَوَّز جَرْوَلُ

كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحداً ... تَنَخَّلَ منها مثلَ ما نَتَنَخَّلُ

نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولُه ... ومِن قائِليها مَنْ يُسيىء ويُجْمِلُ

نُثَقِّفها حتّى تَلِينَ مُتُونُها ... فيقصرُ عنها كلّ ما يُتمَثَّلُ

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرار ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ ، وكان عِرِّيضاً أي شديد العارِضة كثيرَها ، فقال[2] :

باستك إذ خلّفتَني خلفَ شاعرٍ ... من الناس لم أُكفِىء ولم أتنحّلِ[3]

فإن تَخْشِبا أَخْشِب وإن تتنخَّلا ... وإن كنتُ أُفْتى منكما أتنخَّلِ[4]

فلستَ كحَسّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ ... ولست كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

[هجا قومه ومدح إبله]

نسختُ من كتاب الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال : أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال[5] : [من الطويل]

مَهارِيسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلِها ... إذا الريحُ أبدتْ أوجُهَ الخَفِراتِ[6]

1 ديوان كعب بن زهير (شرح السكري) : 59–60 (دار الكتب 1950) .

2 أبيات مزرد وردت في ديوان كعب : 64 وما بعدها .

3 أكفأ : جاء بالإكفاء ، وهو عيب في القافية . تنحّل : ادّعى شعراً لنفسه وهو ليس له .

4 خشب الشعر جاء به كما جادت به القريحة دون تنقيح ؛ وقد تقرأ «خشن» بالنون .

5 ديوان الحطيئة : 322 .

6 المهاريس : النوق التي تأكل العيدان (تهرسها) إذا لم تجد كلأً . رسلها : حليبها .

يُزيلُ القَتادَ جذبُها بأصولِه إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً خَرِصاتِ[1]

[دخل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرّم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن التَّوَّزيّ عن أبي عبيدة قال : بينا سعيد بن العاص يُعَشِّي الناس بالمدينة والناس يخرجون أوّلاً أوّلاً ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رثِّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَرِه ، فذهب الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقوم ، وحانتْ من سعيدٍ التفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجل ، فتركوه ؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مَلِيّاً ؛ فقال لهم الحطيئة : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ؛ فقال له سعيد : أتعرِف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَن يقولها ؟ قال : أبو دُوادٍ الإياديُّ ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : الذي يقول : [من الرجز]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـ ـجهلِ وقد يُخدَّعُ الأريبُ[2]

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عَبِيد بن الأَبْرص ؛ قال : ثم من ؟ قال : والله لَحَسْبُك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجليّ على الأُخرى . ثم عَوَيت في أثر القوافي عُواء الفَصيل الصّادِي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئةُ ؛ قال : فرحّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسَك منذ الليلة ؛ ووصَله وكساه .

[عتيبة بن النهاس يكرمه عندما عرفه]

ومضى لوجهه إلى عُتيبة بن النَّهّاس العِجْليّ فسأله ؛ فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيكَ من عدده ، ولا في مالي فضل عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشرّ ؛ قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجِينا أخبثَ هجاء ؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كتمتنا نفسَك كأنّك كنت تطلب العِلَل علينا ؟ اجلسْ فلك عندنا ما يسرّك ؛ فجلس فقال له : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِه يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِي الشَّتمَ يُشتَمِ[3]

---

1 مقورة : مهزولة . خرصات : جائعات ، وفي ل : خورات .

2 أفلح : أي أبقَ . وفي ل : أدرك .

3 يفره : يكمله .

فقال له عتيبة : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلب شيئاً إلاّ اشتريته[1] له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِيء إلى الكرابيس[2] والأكسية الغِلاظِ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى ؛ فلمّا جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة ، فلمّا رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذِ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك ؛ قال : قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمِعْهما ثم أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائـلاً فَسِيّانِ لا ذمٌّ عليـكَ ولا حمـدُ[4]
وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سَجِيّةٌ فتُعطِي ولا يُعدِي على النائل الوُجْدُ

ثم ركض فرسَه فذهب .

[ليس في شعره مطعن]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيَد البُوشَنْجِيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن عمرو الجَرجَرائيّ[5] عن أبي صفوان الأحوزيّ[6] قال : ما من أحدٍ إلاّ لو أشاءُ أن أجِدَ في شعره مطعَناً لوجدته إلاّ الحطيئة[7] .

[رأي إسحاق في شعره]

قال حمّاد : وسمعت أبي يقول وقد أُنشَدَ قولَ الحطيئة : [من الطويل]

وفتيـانِ صدقٍ مـن عَـدِيٍّ عليهـمُ صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسأَلُوا مَنْ دعاهمُ ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخَوافِقِ
وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فأَلْجموا وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطِقِ
أولئك آباءُ الغَريب وغاثَةُ الصَّرِ يـخِ ومـأوَى المُرْمِلـين الدَّرادِقِ
أَحَلُّوا حِياضَ الموتِ فوقَ جِباهِهم مكانَ النَّواصي من وجوهِ السَّوابِقِ

ويروى :

1 ل : ابتعته .
2 الكرابيس : الثياب القطنية .
3 ديوان الحطيئة : 329 .
4 طائلاً في ل : نائلاً .
5 ل : الجرجاني .
6 ل : الأحوذي .
7 ديوان الحطيئة : 394 .

«إذا استُلْحِموا» . . . .   وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف ، ثم قال : أما إنّي ما أزعم أنّ أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

[وافقه ابن ميادة في شطر فعرف أنّه شاعر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنّه لمّا قال ابن مَيَّادة :

تمشّى بــه ظُلْمانه وجآذِرُهْ

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنَّ الحطيئة قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنّي شاعرٌ حين واطأتُ الحطيئة .

[رأي الأصمعيّ في شعره]

قال حمّاد : قال أبي : وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

[سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه]

قال حمّاد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنّه قال : لقيت الحطيئة بذات عِرق[1] فقلت له : يا أبا مُليكة ، مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنّه لسان الحيّة ثم قال : هذا إذا طَمِع .

[قابل حسّان متنكّراً وسمع من شعره]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال : أخبرني بعض أشياخنا أنّ أعرابيّاً وقف على حسّان بن ثابت وهو يُنشِد ، فقال له حسّان : كيف تسمع[2] يا أعرابيّ ؟ قال : ما أسمع[3] بأساً ؛ قال حسّان : أما تسمعون إلى الأعرابيّ ؟ ما كنيتكَ أيّها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

[الحطيئة وابن الحمامة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال[4] : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال : قلتَ ما لا يُنكر ؛ قال : إنّي خرجت

---

1 ذات عرق : على الحدّ بين نجد وتهامة .
2 ل : كيف ترى .
3 ل : ما أرى .
4 الحكاية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 380) .

من [عند] أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضَمِنتُ لأهلك قِراك ؛ قال : أفتأذن لي أن آتيَ ظلَّ بيتك فأتفيّأ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفِيءُ عليك ؛ قال : أنا ابن الحمامة ؛ قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت .

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيديّ عن الخزّاز[1] عن المدائنيّ فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدُّؤَليّ .

وأخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائنيّ قالا[2] : أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له : يا صاحبَ الغنم ، فرفع الحطيئة العصا وقال : إنّها عَجراء من سَلَم ؛ فقال الرجل : إنّي ضيف ؛ فقال : للضِّيفانِ أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إنّ الرجل قال له : السلام عليكم ؛ فقال له : عَجْراء من سَلَم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرّاق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ؛ فانصرف الرجل عنه .

[«إنّما أنا حسب موضوع»]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : زعم الجاحظ أنّ الحطيئة كان يقول : إنّما أنا حسَبٌ موضوعٌ ؛ فسمع عمرو بن عُبَيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقة ، فقال عمرو : كذب تَرَّحَه الله إنّما ذلك التقوى .

[يهجو أضيافه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعيّ : لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلاّ هجاه ، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يسمِّه الأصمعيّ ، وذكر أبو عبيدة أنّه صَخْر بنُ أَعْيَى الأَسَدِيّ أحدُ بني أَعْيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين ، فسقاه شَربةً من لبنٍ ، فلمّا شربها قال[3] : [من الطويل]

لَمّا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغِي القِرَى ... وأن ابنَ أعْيَى لا محالةَ فاضِحِي

شَدَدْتُ حَيازيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ ... على ظَماٍ سَدَّتْ أصولَ الجوانِحِ

وروى الأصمعيّ شَدَّتْ بالشين المعجمة :

ولم أَكُ مثلَ الكاهِليِّ وعِرْسِه ... بَغى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العينِ طامِحِ[4]

---

1 الخزاز : هو أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز (براءين) .

2 الحكاية التالية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 821) .

3 ديوان الحطيئة : 317 .

4 الكاهليّ : رجل من بني كاهل ، سقته زوجه سمّاً . مطروفة العين في ل : مطروفة الودّ .

غدا باغياً يَبْغِـي رضاهـا وودَّهـا ... وغابتْ له غيبَ امرىء غيرِ ناصِحِ
دعَتْ ربَّهـا ألاّ يـزالَ بفاقـةٍ ... ولا يغتَدِي إلاّ على حـدِّ بارِحِ[1]

قال فأجابه صخرُ بن أعْيىَ فقال[2] : [من الطويل]

ألا قَبَـحَ اللهُ الحطيئـةَ إنّـه ... على كلِّ ضيفٍ ضافَه هو سالِحُ
دُفِعْتُ إليه وهـو يخنُقُ كلبَه ... ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لكَ نابِحُ
بكَيتَ على مَذْقٍ خبيثٍ قَرَيْتَه ... ألا كلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شائِحُ

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال[3] : [من الوافر]

وسَلَّمَ مرّتينِ فقلتُ مهلاً ... كفتكَ المرّةُ الأولى السَّلاما
ونَقْنَـقَ بطنُه ودعا رُؤّاساً ... لِمَا قد نالَ من شِبَعٍ وناما[4]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس أنّ الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أُمامة وابنته مُلَيكة ، فنزل منزِلاً وسرحَ ذَوْداً له ثلاثاً ، فلمّا قام للرَّواح فقَد إحداها فقال : [من الوافر]

أذئبُ القفرِ أم ذئبٌ أَنيسٌ ... أصابَ البَكْرَ أم حَدَثُ الليالي
ونحن ثلاثـةٌ وثَـلاثُ ذَوْدٍ ... لقد جارَ الزمانُ على عِيالِي

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدقَ من بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَه ... لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

فقيل له : فقولُ[5] طَرَفَة : [من الطويل]

سَتُبدِي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيـكَ بالأخبـار مَـنْ لم تُزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممّن زَوّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ ممّا قالته الشعراء إلاّ وفيه مَطعَنٌ إلاّ قولَ[6] الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

1 إلا على في ل : إلاّ رأى . أي لا يقابله إلاّ الطائر البارح الذي يتشاءم به .
2 شعر ابن أعين في ديوان الحطيئة : 319–320 .
3 ديوان الحطيئة : 353 .
4 نقنق : قرقر ، لأنـه شبع ، فنادى : يا بني رؤاس ، أشرّاً منه وبطراً .
5 ل : فبيت .
6 ل : بيت .

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سَلْم بن قتيبة : ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَد مثل قول الحطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

[كتب له الأصمعيّ أربعين قصيدة في ليلة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدة .

[«لا يذهب العرف . . .» في التوراة وهو من تخرصات كعب الأحبار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : بلغني أنّ هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَيّ بن كعب . يعني قول الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أَيُّوب بن عثمان الدِّمشقيّ عن عثمان بن أبي عائشة قال : سَمِعَ كَعبٌ الحِبْرُ رجلاً يُنشِد بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة . قال إسحاق قال العمريّ : والذي صحّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ» .

[أوصى عبيد الله بن شدّاد ابنه بشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عدنان : لمّا حضَرتْ عبيد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له : يا بُنيّ إنّي أَرى داعِيَ الموتِ لا يُقلِعُ ، وبِحقٍّ أنّ مَن مضى لا يرجع ، ومن بَقِي فإليه ينزِعُ . يا بنيّ ، لِيكُن أَولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية ، والشكر لله ، وصِدقَ الحديث والنيّة ، فإنّ للشكر مزيداً ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئة[1] : [من الوافر]

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنّ التقيّ هو السعيدُ
وتقوَى الله خيرُ الزاد ذخراً وعندَ اللهِ للأتقَى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتيَ قريبٌ ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

[روى حمّاد لبلال مدحه في أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قَدِم حمّاد

1 الأبيات أضيفت إلى ديوانه : 393 .

الراوية البصرة على بِلال بن أبي بُردة وهو عليها ؛ فقال له : ما أطرفتَني شيئاً يا حمّاد ؛ قال : بَلى ، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأَشْعَريّ يمدحه : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ومن تَميم ومن حاءٍ ومن حامِ
مُسْتَحقباتٍ رَواياهــا جَحافِلَها يَسْمُو بها أَشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامِي

فقال له بلال : وَيحكَ ؛ أيمدحُ الحطيئة أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروي شعرَ الحطيئة كلَّه فلا أعرفُها ؛ ولكن أشِعْها تذهَب في الناس .

وذكر المدائنيّ أنّ الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنّها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أَسَدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتَهــمُ حتــى رَفدْتَهمُ بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّين بِسْطامِ

فوصله أبو موسى ؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه : إنّي اشتريت عِرضي منه بها ؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنّما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنتَ[1] . ولمّا وَلِيَ بلالُ بنُ أبي بُرْدةَ أنشده إيّاها حمّادٌ الراوية فوصله أيضاً .

[كذبه عمر في بيت قاله]

ونسختُ من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرياشيّ قال حدّثني محمد بن الطُّفيل عن أبي بكر بن عيَّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال : سبَق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على فرس له فجَثا على ركبتيْه وقال : «إنّه لبَحْر» ؛ قال عمر : كذَب الحطيئة حيث يقول : [من الطويل]

وإنّ جيــادَ الخيــل لا تستفِزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيطِ فوقَ المَعاصِمِ[2]

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ .

[أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة أنّ الحطيئة أراد سفراً فأتتْه امرأته وقد قُدِّمتْ راحلته ليركب ، فقالت : [من الكامل]

---

1 هذا خبر غريب .

2 يوصف الفرس بأنّه بحر إذا كان واسع الخطو .

اذكُرْ تحنُّنَنا إليكَ وشوقَنا ... واذكُرْ بناتِك إنّهنّ صِغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلتُ لسفرٍ أبداً .

[رجل ضاف قوماً من الجنّ فيهم صاحب الحطيئة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمّه عن أبيه قال : قال رجل : ضِفْتُ قوماً في سفر وقد ضللتُ الطريقَ ، فجاؤوني بطعام أجدُ طعمَه في فمي وثقلَه في بطني ، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ : أنشِدْ عمَّك ؛ فأنشدني : [من الطويل]

عفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فَحامِرُهْ ... تَمَشَّى بـه ظِلْمانُـه وجَآذِرُهْ[1]

فقلت له : أليس هذا للحطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجنّ .

[رأي ابن شبرمة في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن عُيَينة : سمعت ابن شُبرمة يقول : أنا والله أعلم[2] بجيِّد الشعر ، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول[3] : [من الطويل]

أولئك قـوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا شَدُّوا

وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها ... وإن أَنْعموا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُـلِّ حادثٍ ... من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البُنى ، قال : بِنْية ؛ فقال له : أتُجْمَع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعم مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُبًى .

[نزل على بني مقلد فأحسنوا جواره ومدحهم]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ الحطيئة أقحمتْه السنة ، فنزل ببني مُقَلَّد بن يَرْبُوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إنّ هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه[4] ، فتعالَوْا حتى نسأله عمّا يحبّ فنفعله وعمّا يكره فنجتنبه ؛ فأتَوْه فقالوا له : يا أبا مُلَيْكة ، إنّك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا ، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحبّ أن ننتهي عنه ؛ فقال : لا تُكثروا زيارتي فتُمِلُّوني ، ولا تقطعوها فتُوحِشُوني ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسْمِعوا

---

1 عفا من سليمى مسحلان في ل : عفا مسحلان من سليمى .

2 ل : عالم .

3 ديوان الحطيئة : 140 .

4 ل : لا يسلم على لسانه أحد .

بناتي غناءَ شُبّانكم[1] ، فإنّ الغناء رُقْية الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أمُّكم الطلاق ، لئن تَغَنَّى أحد منكم والحطيئة مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفي[2] أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ ، فارتحل وهو يقول[3] : [من البسيط]

جاورتُ آلَ مُقَلَّـدٍ فحَمِدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخـي جِوارٍ يُحْمَدُ
أيامَ مَنْ يـُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنعْ ... فينا ومن يُــرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ

[خبره مع الزبرقان]

فأمّا خبره مع الزِّبرقان بن بدر والسبب في هجائه إيّاه ، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ولم يتجاوزه به ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني اليزيديّ عن عمّه عبيدالله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتهم وضممتُ بعضها إلى بعض :

أنّ النبيّ ﷺ كان ولَّى الزِّبرِقان بن بدر بن امرىء القيس بن خَلَف بن بَهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم عَمَلاً ، وذكر مثل ذلك الأصمعيُّ ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية . قال : وأقرَّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ على عمله ، ثم قدم على عمر في سنة مُجْدِبة ليؤدّي صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرْقَرى[4] ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه ؛ فقال له الزِّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطَمتْنا هذه السنة ؛ قال : وتصنع ماذا ؟ قال ودِدتُ أن أصادف بها رجلاً يَكفيني مؤونة عيالي وأُصفيه مَدحِي أبداً ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسِعكَ لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جِوار وأكرمه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ؛ قال : فقد أصبتَه ؛ قال : عند مَنْ ؟ قال : عندي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الزبرقان بن بدر ؛ قال وأين محلُّك ؟ قال : اركب هذه الإبل ، واستقبل مَطلِع الشمس ، وسَلْ عن القمر حتى تأتي منزلي . قال يونس : وكان اسم الزبرقان الحُصَين بن بدر ، وإنّما سمِّي الزبرقان لحسنه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لبس عمامة مزبرقةً[5] بالزَّعفران فسمِّي الزِّبْرِقان لذلك . وقال

---

1 ل : غناء شبيبتكم .
2 ل : بالسيف .
3 ديوان الحطيئة : 66 .
4 قرقرى : منطقة من اليمامة ذات قرى وزروع .
5 مزبرقة : مصبوغة .

أبو عبيدة في خبره : فقال له : سِرْ إلى أمّ شَذْرة وهي أمّ الزبرقان وهي أيضاً عمّة الفرزدق ، وكتب إليها أن أحْسِني إليه ، وأكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكَله إلى زوجته. فلحِق الحطيئة[1] بزوجته على رواية ابن سَلاّم ، وهي بنت صعصعة بن ناجية المُجاشِعِيَّة ، واسمُها هُنَيدة[2] ، وعلى رواية أبي عبيدة : أنّها أُمُّه ، وذلك في عامٍ صعب مُجدِب ، فأكرمتْه المرأة وأحسنت إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيض بن عامر بن شَمّاس بن لأْي بن جعفر وهو أَنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف [بن كعب] بن سَعْد بن زيد مَناة بن تَميم ، وبلغ إخوته وبني عمّه فاغتنموها. وفي خبر اليزيديّ عن عمّه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : وكانوا يغضبون من أنفِ الناقة ، وإنّما سمِّيَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأنّ أباه قُرَيعاً نحرَ ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أُمُّه ، وهي الشَّمُوس من وائل ثم من سعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يبقَ من الناقة إلاّ رأسُها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا ؛ فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه ؛ فسمِّيَ أنف الناقة . وكان ذلك كاللّقب لهم حتى مدَحهم الحطيئة ، فقال[3] : [من البسيط]

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يسوِّي بأنـفِ الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرفَ ، يعني بَغِيضاً وإخوتَه وأهله ، وكانوا أشرفَ من الزِّبرقان ، إلاّ أنّه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عبيدة في خبره : كان الحطيئة دَميماً سَيِّيء الخَلْق ، لا تأخذه العين ، ومعه عِيال كذلك ، فلمّا رأت أُمُّ شَذرة حالَه هان عليها وقصَّرت به ، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغَفلة ، ولستُ بالذي أحمِل على صاحبها ذنبها . فلمّا ألحّ عليه بنو أَنْف الناقة ، وكان رسولُهم إليه شَمَّاس بن لأْي وعَلقمة بن هَوذة وبَغِيضَ بن شمّاس والمُخَبَّلَ الشاعر ، قال لهم : لستُ بحاملٍ على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُركتُ وجُفيت تحوّلتُ إليكم ؛ فأطمَعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سَلاَّم في خبره[4] : فلمّا لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزبرقان أنّ الزبرقان إنّما يريد أن يتزوّج ابنته مُلَيكة ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جَفوة وهي في ذاك تُداريه . ثم أرادوا النُّجعة ، قال أبو عبيدة : فقالت له أُمُّ شَذْرة ، وقال ابن سَلاّم : فقالت له هُنيدة : قد حضَرت النُّجعة فاركب أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا

1 ل : فرحل الحطيئة حتى لحق .

2 ل : هند .

3 ديوان الحطيئة : 128 .

4 طبقات ابن سلام : 115 .

وكذا ، ثم ارْدُدْه إلينا حتى نَلحَقكَ[1] فإنّه لا يَسَعُنا جميعاً ؛ فأرسل إليها : بل تقدَّمِي أنتِ فأنتِ أحقُّ بذلك ؛ ففعلتْ وتثاقلت عن ردّها إليه وتركتْه يومين أو ثلاثة ، وألَحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تُرِكتَ بمَضْيعة . وكان أشدُّهم في ذلك قولاً بَغِيضَ بن شَمَّاس وعَلْقمة بن هَوذة ، وكان الزبرقان قد قال في علقمة : [من مجزوء الكامل]

لِــي ابنُ عــمٍّ لا يـزا ... ل يَعِيبُنِي ويُعِـينُ عائبْ
وأعِينُــه في النائبـــا ... تِ ولا يُعِينُ على النوائبْ
تَسْرِي عَقارِبُــــه إلـ ... ـيَّ ولا تَدِبُّ له عقارِبْ[2]
لاهِ ابنُ عَمِّـكَ لا يَخا ... فُ المُخزياتِ من العواقِبْ[3]

قال : فكان عَلْقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلمّا أَلَحُّوا على الحُطَيئة أجابهم وقال : أما الآن فنعم ، أنا صائرٌ معكم . فتحمَّل معهم ، فضربوا له قبَّةً ، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها جُلَّة[4] هَجَرِيَّة ، وأراحُوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأَعْطَوْه لِقاحاً[5] وكُسْوة . قال : فلمّا قدِم الزبرقان سأل عنه فأُخبر بقصّته ، فنادى في بني بَهدلة بن عَوْف ، وهم لأمٍّ دون قُرَيع ، أُمُّهم السَّفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة . فركب الزبرقان فرسه ، وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادي بني شَمَّاس القُرَيعيّين ، فقال : رُدّوا عليّ جاري ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطَّرحته وضيّعتَه ؛ فألَمَّ أن يكونَ بين الحَيَّين حربٌ ، فحضرهم أهل الحِجى من قومهم ، فلاموا بَغِيضاً وقالوا : اردُدْ على الرجلِ جارَه ؛ فقال : لست مُخرِجَه وقد آويتُه ، وهو رجل حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيِّروه فإن اختارني لم أُخرِجْه ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه . فخيَّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه ؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له : أبا مُليكة ، أفارقتَ جِوارِي عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سَلاَّم[6] ، وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكَر أنّه كان بين الزبرقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلاحٍ وتَشاحٌّ . وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطّاب على بغيضٍ ، فحكم عمر بأن يُخرَجَ الحطيئة حتى يُقام في موضعٍ خالٍ بين الحَيَّين وحدَه ويُخلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اختار ؛ ففُعِل ذلك به ، فاختار القُرَيعيِّين . قال : وجعل الحطيئة

1 ل : حتى يلحقنا .
2 ولا تدب في ل : ولا تيممه .
3 لاه : لله .
4 الجلّة : وعاء من خوص لحفظ التمر . وعند ابن سلام : جلة من بر في هجر .
5 اللقاح : النوق الحلوبة .
6 ليس هذا مطابقاً تماماً لما عند ابن سلاّم .

يمدحهم من غير أن يَهجُو الزبرقان ، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندي ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسِط يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بَغِيضاً فقال : [من الوافر]

أرى إبلِي بجَوْف الماء حَلَّتْ وأَعْوزها بـه المـاءُ الرَّواءُ
وقد ورَدَتْ مِياهَ بنـي قُرَيْع فما وصلُوا القرابةَ مذ أساؤوا
تُحَلَّأُ يـومَ وِرْد الناس إبْلي وتَصْدُر وهـي مُحنِقةٌ ظِماءُ[1]
أَلَـم أَكُ جارَ شمّاس بنِ لأْيٍ فأسلمني وقـد نـزل البَلاءُ
فقلتُ تحوَّلِـي يـا أُمَّ بَكْـرٍ إلى حيـثُ المكـارمُ والعَلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدلةَ بنِ عَوْفٍ تعالى سَمْكُـه ودَحَـا الفَناءُ
وما أَضْحَى لشَمَّاسِ بنِ لأْيٍ قَدِيـمٌ في الفَعـالِ ولا رَباءُ[2]
سِوى أنّ الحطيئةَ قـال قولاً فهـذا مـن مقالتِـه جزاءُ

فحينئذٍ قال الحطيئةُ يَهجو الزبرقان ويُناضل عن بغيضٍ قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

والله مـا مَعْشرٌ لامُوا امْرءاً جُنُباً في آل لأْي بن شَمَّـاس بأَكْياسِ
مـا كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكمُ في بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكـمُ لـو أن دِرَّتَكم يوماً يَجِيء بها مَسْحِي وإبْساسي[4]
وقـد مدحتُكـمُ عمداً لأُرْشِدَكم كيما يكون لكم مَتْحِي وإمراسي
لمـا بـدا لِيَ منكم غيبُ أنفسِكم ولم يكن لجِراحِـي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً مـن نَوالِكُمُ ولن يُـرى طارداً للحُرِّ كالياسِ[5]
جـارٌ لقومٍ أَطالُوا هُـونَ منزِله وغـادرُوه مقيمـاً بـينَ أَرْماسِ
مَلُّوا قِـراه وهَرَّتْـه كلابُهُـم وجَرَّحُـوه بأنيـابٍ وأَضْراسِ

1 تحلأ : تمنع من ورود الماء . محنقة : ضامرة .
2 الرباء : الفضل .
3 ديوان الحطيئة : 283 .
4 مرى : مسح الضرع لتدرّ الناقة . الابساس : التسكين والتهدئة .
5 يرى في ل : ترى .

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها   واقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسي
مَن يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه   لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ
ما كان ذنبيَ أن فَلَّتْ مَعاوِلَكم   من آلِ لأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلُوكَ فسَلُّوا من كَنائنِهم   مجداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ أَنْكاسِ

الجُنُب : الغريب . والإبساس : أن يُسكِّنها عند الحَلْب . والماتِح : المستَقِي الذي يجذِب الدلوَ من فوق . والإمراس : أن يقع الحبلُ في جانب البَكَرة فيُخرِجَه ، فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطّاب ، فرفعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده ؛ فقال عمر لحَسَّان : أتُراه هجاه ؟ قال : نعم وسلَح عليه ، فحبسه عمر .

[زياد يقتدي بفعل عمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله بن عيَّاش عن الشَّعْبيّ قال : شهِدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثَةَ التَّيْمِيّ ، فقال : إنّه هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال : [من الطويل]

وكيف أرجّي ثَرْوَها ونماءَها   وقد سار فيها خُصْيَةُ الكلبِ عامِرُ

فقال أبو علاثة : ليس هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال قلتُ :

وإنّي لأرجو ثَرْوَها ونماءَها   وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

قال زياد : قاتل الله الشاعر ، ينقلُ لسانه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك ؛ فقام قَيس بن فهد الأنصاريّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أَدْرِي مَن الرجل ، فإن شئتَ حدّثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه ، قال : وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه ، قال : هاتِه ، قال شهدتُه وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال : إنّه هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي : [من البسيط]

دَعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغيتها   واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر : ما أَسمَعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس ؟ فقال عمر : عليّ بحَسّان ، فجيء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه ، قال ويقال : إنه سأل لَبيداً عن ذلك فقال : ما يسُرُّني أنّه لَحِقَني من هذا الشعر ما لَحِقه وأن لي حُمُرَ النَّعَم ، فأمر به عُمر فجُعِل في نَقِيرٍ[1] في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء ،

1 نقير : موضع منقور أي محفور مجوّف .

فقال[1] : [من البسيط]

مـاذا تقـولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[2]

ألقيتَ كاسِبَهم في قعـرِ مُظْلِمةٍ فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يـا عمرُ[3]

أنت الإمامُ[4] الذي من بعدِ صاحبِه ألقى إليك مقاليدَ النُّهـى البَشَرُ

لم يُؤْثِروكَ بهـا إذ قدَّموك لها لكن لأنفسِهم كانتْ بـكَ الأُثَرُ

فأخرجه وقال له : إيّاك وهِجاءَ الناس ؛ قال : إذاً يموت عِيالِي جوعاً ، هذا مكسَبِي ومنه مَعاشي ؛ قال : فإيّاك والمُقذِعَ من القول ؛ قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خَيرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت واللهِ أهْجى منّي . ثم قال : واللهِ لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانك ، ولكن اذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبرقان ؛ فألقى الزبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضتْه غَطَفان فقالوا له : يا أبا شَذْرَةَ ، إخوتُك وبنو عمِّك ، هَبْه لنا ؛ فوهبه لهم . فقال زياد لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُوِي عن عمر ، وإنّما هي السُّنَن ، فاذهب به فهو لك ؛ فألقى في عنقه حبلاً أو عمامة ، وعارضتْه بَكْرُ بن وائل فقالوا له : أخوالُك[5] وجيرانُك ؛ فوهبَه لهم .

[استعطف عمر بشعر فأطلقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : أنّ الحطيئة لمّا حبسه عمر قال وهو أوّل ما قاله[6] : [من المتقارب]

أَعُوذُ بجَـدِّكَ إنّي امـرؤٌ سقَتْنِي الأعادي إليكَ السِّجالا

فإنّـك خيرٌ مِـن الزبرقان أشدُّ نَكـالاً وأَرْجـى نَوالا

تَحَنَّنْ عـليَّ هَـداكَ المليكُ فـإنّ لكـلِّ مقـامٍ مَقالا

ولا تأخُذَنّـي بقـولِ الوُشَاةِ فـإن لكـلِّ زمـانٍ رِجالا

---

1 ديوان الحطيئة : 208 .

2 ذو مرخ : واد كثير الشجر بالحجاز ، وقيل قرية باليمامة ويروى بذي أمر وهو موضع بنجد . زغب الحواصل في الديوان : حمر الحواصل ؛ وكلتاهما كناية عن الصغر .

3 ألقيت في الديوان : غيبت .

4 الأمام في الديوان : الأمين .

5 ل : إخوتك .

6 ديوان الحطيئة : 222 .

فـإن كان مـا زَعَمُوا صادقاً فسيقَتْ إليكَ نسائي رِجالا[1]

حَواسِرَ لا يشتكِينَ الوَجى يُخفِّضْنَ آلا ويرفَعْنَ آلا

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشاميّ قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالسٌ عنده وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قولَه : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زغبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ[2]

ألقيتَ كاسبَهم في قعرِ مظلمةٍ فاغْفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ[3]

أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبِه ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البشرُ

لم يؤثروكَ بها إذ قدَّموك لها لكن لأنفسِهم كانت بك الأُثَرُ[4]

فامنُنْ على صِبْيةٍ بالرملِ مسكنُهم بين الأباطحِ تَغْشاهم بها القِرَرُ

أهلي فِداؤُكَ كم بيني وبينهمُ من عَرْض داوِية تَعْمى بها الخُبُرُ[5]

قال فبكى حين قال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

فقال عمرو بن العاص : ما أَظلَّتِ الخَضراء ولا أَقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة ، فقال عمر : عليّ بالكرسيّ ، فأُتي به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا عليّ في الشاعر[6] ، فإنّه يقول الهُجْرَ ويَنسُب بالحُرَم ويمدح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم ، ما أُراني إلاّ قاطعاً لسانه ، ثم قال : عليّ بالطَّسْت[7] ، فأُتِي بها ، ثم قال : عليّ بالمِخْصَف[8] ، عليّ بالسكّين ، لا

1 رجالا : راجلة أي ماشية .

2 زغب الحواصل في ل : حمر الحواصل .

3 ألقيت في ل : غادرت .

4 كانت بك في ل : إذ كانت .

5 داوية في ل : دوية .

6 الشاعر : أي شاعر يفعل ذلك = يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم .

7 ل : بطست .

8 المخصف : المخرز .

بل عليّ بالمُوسى ، فهو أوحى[1] ؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجاء . قال : فلمّا ولّى قال له عمر : يا حطيئة ، كأنّي بك عند فتًى من قريش ، قد بسَطَ لك نُمْرُقةً وكسرَ لك أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فطَفِقْتَ تغنيه بأعراض الناس . قال ابن أُسْلم : فما انقضبت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عُمر قد بسَط له نمرقة وكسَر له أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فجعل يغنِّيه ، فقلت له : يا حطيئة ، أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحَم الله ذلك المرء[2] ، أمّا إنّه لو كان حيّاً ما فعلتُ . قال : وقلت لعبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

[اشترى منه عمر أعراض المسلمين]

ورُوي عن عبد الله بن المبارك أنّ عمر رضي الله عنه لمّا أطلق الحطيئة أراد أن يؤكّد عليه الحُجّة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحطيئة في ذلك[3] : [من الكامل]

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَعْ ... شَتْماً يضُرّ ولا مَديحاً ينفعُ
وحَميْتَنِي عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ ... دَمِّي وأصبح آمناً لا يَفْزَعُ

[شفع له عبد الرحمن بن عوف عند عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن نافع بن أبي نُعَيم : أنّ عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطّاب وكلّمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حمّاد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أنّ عمر رضيّ الله عنه لمّا أطلقه قال الشاعر النَّمريّ الذي كان الزبرقان حمَله على هجاء بَغِيض : [من الوافر]

دَعانِي الأَثْبَجانِ ابنا بَغِيضٍ ... وأَهْلِي بالعَلاةِ فمَنَّيانِي[4]
وقالوا سِرْ بأهلك فأْتِيَنّا ... إلى حَبٍّ وأَنْعامٍ سِمانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً ... وأربعةً فذلك حِجَّتانِ
فلمّا أن أتيتُ ابنَيْ بغيضٍ ... وأسلمني بدائي الداعيانِ

---

1 أوحى : أسرع .
2 ل : يرحم الله عمر .
3 ديوان الحطيئة : 210 .
4 الأثبج : صفة للرجل إذا كان أحدب أو عظيم الجوف أو ناتىء الصدر . العلاة : جبل في ديار النمر بن قاسط أو بالعراق .

يَبيتُ الذئبُ والعَثْواءُ ضيفاً ... لنا بالليل بئسَ الضائفانِ[1]
أُمارسُ منهما ليلاً طويلاً ... أُهَجْهِجُ عن بَنِيّ ويَعْرُوانِ[2]
تقولُ حليلتِي لما اشتكيْنا ... سيدرِكُنا بنو القَرْمِ الهِجانِ
سيُدْرِكُنا بنو القمر بن بَدْرٍ ... سراجِ الليلِ للشمس الحَصانِ
فقلتُ ادْعِي وأَدْعُوَ إن أندَى ... لصوتٍ أن ينادِيَ داعيانِ[3]
فمن يَكُ سائلاً عنّي فإنّي ... أنا النَّمرِيُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَرِيدُ عَشيرةٍ وطريدُ حربٍ ... بما اجترمتْ يَدِي وجنى لسانِي
كأَنّي إذ نزلتُ به طرِيداً ... نزلتُ على الممنَّعِ من أَبانِ
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْنِي ... وضيَّعَنِي بِترِيَمَ مَنْ دَعانِي[4]

[مكث في بني قريع إلى أن أخصبوا وأجازوه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لم يزل الحطيئة في بني قُرَيع يمدحهم حتى إذا أَحْيَوْا[5] قال لبَغِيضٍ: فِ لي بما كنتَ تضمّنتَ؛ فأتى بَغِيضٌ علقمة بن هَوْذة فقال له: قد جاء الله بالحَيا، فَفِ لي بما قلتَ، وكان قد ضمِن له مائة بعير، وأبرئْني ممّا تضمَّنْتُه عهدتي؛ فقال: نعم، سَلْ في بني قريع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين؛ قال: فأتمَّها علقمة له مائة وراعييْن فدُفعت إليه. فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمتَه السينيّة واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه. فلمّا رحل عنهم قال[6]: [من البسيط]

لا يُبْعِدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهمُ ... أخي بَغِيضاً ولكن غيرهُ بُعدا
لا يبعد الله من يُعْطِي الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وما أَكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلاقِيه بالمعروفِ مبتهِجاً ... إذا اجْرَهَدَّ صَفا المذمومِ أو صلَدا[7]

---

1 العثواء: الضبع.
2 هجهج: يصيح بالذئب أو الضبع لتنفيره.
3 هذا البيت من الشواهد النحوية على نصب الفعل بعد واو المعيّة المسبوقة بالأمر.
4 تريم: اسم وادٍ.
5 أحيوا: أصابهم الحيا وهو المطر.
6 ديوان الحطيئة: 139.
7 مبتهجاً في ل: مجتهداً. اجرهدَّ الأرض: لم ينبت فيها نبات.

لاقيتُــه ثَلِجــاً تَنْـدى أناملُـه إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غَدا[1]
إنّــي لرافـدُه وُدّي ومَنْصَرَتِـي وحافظٌ غيبَه إن غابَ أو شهِدا

[سأل ابن عباس أعليه جناح في هجاء الناس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْب عن عبد الله بن عيّاش المَنْتوف قال : بَيْنا ابن عبّاس جالسٌ في مجلس رسول الله ﷺ بعد ما كُفَّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخطِر وعليه مِطْرَفُ خزٍّ وجبّة خزٍّ وعِمامة خزٍّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول الله ، أَفْتِني ؛ قال : في ماذا ؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرت به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جُناح عليه ؛ فقال : يا ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أرأيت امرأ أتاني فوعَدني وغَرّني ومَنّاني ثم أخلفني واستخفّ بحُرمتي ، أيسعُني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنّه لا بدّ لك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتَبغِي على من لم يَبْغ عليك ، والبغي مَرتعٌ وَخِيم ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقتَ وبَررْتَ ؛ فلم يَنشَب أن أقبل عبد الرحمن بن سَيحان المُحاربيّ حليف قريش ، فلمّا رأى الأعرابيَّ أجلَّه وأَعظمه وألطف في مسألته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أَجَرْوَل ؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة . فقال ابن عباس : لله أنتَ ! أيّ مِرْدى قِذافٍ[2] ، وذائدٍ عن عشيرة ، ومُثْنٍ بعارفة تُؤْتاها أنت يا أبا مُلَيكة ! والله لو كنتَ عرَكْتَ بجنبك بعض ما كرهتَ من أمر الزِّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلمك ، وشتمتَ مَن لم يشتمك ؛ قال : إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم ؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك ؛ قال : بَلى والله ، يرحمك الله ، ثم أنشأ يقول[3] : [من البسيط]

أنا ابنُ بَجْدَتِهـم علمـاً وتجربـةً فسَلْ بسعدٍ تجدْني أعلمَ الناسِ[4]
سعدُ بن زيـد كثيرٌ إن عددْتَهمُ ورأسُ سعدِ بـن زيـد آلُ شَمّاسِ
والزّبرقـانُ ذُناباهـم وشرّهُـم ليس الذُّنابَى أبـا العباس كالراسِ

فقال ابن عباس : أقسمتُ عليك ألاّ تقول إلاّ خيراً ، قال : أفعل . ثم قال ابن عباس : يا أبا مُلَيكة ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ؛ قال : الذي

1 ثلجاً : فرحاً مبتهجاً .
2 مردى قذاف : حجر يقذف به ؛ ويستعمل أيضاً للرجل الشجاع فيقال إنّه لمردى حروب .
3 ديوان الحطيئة : 294 .
4 أنا ابن بجدتهم : أنا العالم بحقيقتهم وبواطن أمورهم .

يقول : [من الطويل]

ومَنْ يجعلْ المعروفَ من دون عرضِه يَفِرْهُ ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشّتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول : [من الطويل]

ولستَ بمستبقٍ أخـاً لا تَـلُمُّه على شَعَثٍ ، أيُّ الرجال المهذَّبُ

ولكنّ الضراعة أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْولاً ، يعني نفسَه ، والله يا ابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأمّا الباقون فلا تَشُكَّ أنّي أشعرهم وأصرَدُهم سهماً[1] إذا رَميتُ .

[منع الزبرقان عبد الله بن أبي ربيعة ماءه فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : رُوِي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عَدِيّ وغيرهما : أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لمّا قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان ، فنزل على بني أَنْف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرْنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله : [من الطويل]

وما الزبرقانُ يومَ يمنَـعُ ماءه بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ
مقيـمٌ على بُنْيـانَ يمنعُ ماءه وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْرقان إلى عمرَ رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال : إنّه هجاني يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي نزلت على مائه فحلأّني عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زِبْرِقانُ ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفر آبائي مجاريَه ومستقرّه وحفرتُه أنا بيدي ؟ فقال عمر : والذي نفسي بيده ، لئن بلغني أنّكَ منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَني بنجد أبداً ؛ فقال بعضُ بني أنف الناقة يُعيِّر الزِّبْـرقان ما فعله : [من الوافر]

أتدري مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ سَليل خَضارمٍ منَعوا البِطاحا
أَزادَ الركبِ تمنَع أم هِشاماً وذا الرُّمْحين أمنعَهم سلاحا[2]
همُ مَنعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ومَنْ بالخَيْف والبُدْنَ اللِّقاحا

1 أصردهم سهماً : أنفذهم سهماً .

2 زاد الركب : لقب والد أميّة بن المغيرة المخزوميّ . ذو الرمحين : لقب المغيرة بن عبد الله المخزوميّ .

بضربٍ دونَ بَيْضتِهم طِلَخْفٍ إذ الملهوفُ لاذَ بهم وصاحا[1]

ومـا تَـدْري بأيِّهِمُ تلاقي صـدورَ المَشرَفِيَّـةِ والرِّماحا

[وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام]

وللحطيئة وصيّةٌ ظريفة يأتي كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيَينة بن المِنْهال عن الأصمعيّ ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبدالله العبْديّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبي عمرة] عن أبيه ، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دَماذ عن أبي عبيدة قالوا[2] : لَمّا حضرتِ الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومُه فقالوا : يا أبا مُلَيكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّعْر من راوية السوء ؛ قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَيءُ ؛ قال : من الذي يقول : [من الطويل]

إذا أَنْبَضَ الرامونَ عنها تَرَنَّمَتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعَتْها الجنائزُ ؟

قالوا : الشَّمَّاخ ؛ قال : أبلغوا غَطَفانَ أنّه أشعرُ العرب ؛ قالوا : وَيحَك ! أهذه وصيَّة ! أوْصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابىءٍ أنّه شاعرٌ حيث يقول : [من الطويل]

لِكلِّ جَديـدٍ لَـذَّةٌ غيرَ أنّني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ[3]

قالوا : أُوصِ ويحك بما ينفعك[4] ! قال : أَبلِغوا أهلَ امرىء القيس أنّه أشعرُ العرب حيث يقول : [من الطويل]

فَيا لَكَ مِـن لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

قالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هذا ؛ قال : أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول : [من الكامل]

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِـرُّ كِلابُهم لا يَسْأَلون عن السَّواد المُقْبِلِ

---

1 بيضة القدم : ساحتهم . ضرب طلخف : ضرب شديد .

2 قد أشرنا إلى هذه الوصية في أوّل ترجمة الحطيئة .

3 رأيت في ل : وجدت .

4 ل : بغير ذا .

قالوا : هذا لا يُغْنِي عنك شيئاً ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويـلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتَقى فيـه الذي لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ بـه إلى الحَضِيض قَدَمُهْ يريـدُ أن يعربـه فَيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مِثْلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخَصْمِ أَلَدّ

فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ

قالوا : يا أبا مُلَيكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس ؟ فأومأ بيده إلى فِيهِ وقال : هذا الجُحَير إذا طَمِعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبَرَ باكياً ؛ فقالوا له : قل لا إله إلاّ الله ؛ فقال : [من الرجز]

قالتْ وفيها حَيْـدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُـمُ وحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول في عَبِيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشيء ؛ قال : أُوصِيهم بالإلحاحِ في المسألة فإنّها تجارةٌ لا تَبُورُ ، واسْتُ المسؤولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأُنْثى من وَلَدِي مثلُ حَظِّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قَضى اللهُ جَلَّ وعزّ لهنّ ؛ قال : لكنِّي هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونيكوا[1] أُمَّهاتِهِم ؛ قالوا : فهل شيء تَعْهَدُ فيه غَيْرُ هذا ؟ قال : نعمْ ، تَحْمِلونَنِي على أَتانٍ وتتركونني راكبها حتى أَموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ ؛ فَحَملوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول : [من الرجز]

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ هجا بَنِيهِ وهجـا المُرَيَّهْ

من لُؤمِهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة : الأَتان .

[الغناء في شعر الحطيئة]

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئةُ بَغِيضاً وقومَه وهجا الزبرقان وقومه منها : [من الطويل]

---

1 ل : وانكحوا .

صوت

أَلا طَرَقَتْنا بعدَ ما هَجَعُوا هِنْدُ ... وقد حُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نَجْدُ

وإنّ التي نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَلَيَّ غِضابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُويَه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أتتْ آلَ شَمَّاسِ بنِ لأْيٍ وإنّما ... أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ

فإنّ الشقيَّ مَن تُعادِي صدورُهم ... وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا

يَسُوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ والجِدُّ

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكُمُ ... مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى ... وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

وإن كانت النُّعْمى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا[1]

وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا[2]

مَطاعِينُ في الهَيْجا مَكاشِيفُ للدُّجَى ... بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجَدُّ

ومنها[3] : [من الطويل]

صوت

وأدماءَ خُرْجُوجٍ تَعالَلْتُ مَوْهِناً ... بسَوْطِيَ فارمَدَّتْ نَجاءَ الخَفَيْدَدِ[4]

إذا آنسَتْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ ... به الجوْرَ حتى يستقيم ضُحى الغَدِ[5]

وتشربُ بالقَعْب الصغير وإن تُقَدْ ... بمِشْفَرِها يوماً إلى الحَوض تَنْقَدِ

المَوهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضيّ صَدْرٍ منه . وارمدّت : نجت ، والارمداد : النَّجاء . والخَفَيْدَد : الظَّليم .

1 النُّعمى عليهم في ل : النعماء فيهم .

2 على جُل في ل : على كلّ .

3 ديوان الحطيئة : 155 .

4 الخرجوج : الناقة الطويلة . تعالل : استخرج ما بقي لدى الناقة من قوّة على المسير . أرمدت : أسرعت . النجاء : السرعة . الخفيدد : الظليم (ذكر النعام) .

5 الجور : القصد . ويروى :

فإن آنست حسّاً من السوط عارضت ... بي القصد حتى تستقيم ضحى الغدِ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق . وذكر الهِشاميّ : أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر ، وهو في جامع إبراهيم غير مجنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حَبَشٌ : أنّه لَمعْبَد ؛ ويُشبِه أن يكون ليحيى المكيّ .

[عدّه بعضهم أشعر الناس]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذِر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجَوْسق عن رجل من كعب قال : جئتُ سوق الظهر[1] فإذا بكُثَيِّر ، وإذا الناس مُتَقَصِّفون عليه ، فتخلَّصْتُ حتى دَنَوْتُ منه فقلت : أبا صخْر ؛ قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيم الحشا حُسَّانَة المَتَجَرَّدِ
تُفَرِّق بالمِدْرى أثِيثاً نباتُه على واضح الذِّفْرى أسيلِ المُقَلَّدِ[2]

قال : قلتُ : هذا الحطيئة ؟ قال : هو ذاك .

[كذبه عمر في شعر له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُروة : أنّ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة : [من الطويل]

مَتى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَب ، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله ﷺ .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية : أنّ رجلاً دخل على الحُطيئة ، وهو مُضْطجع على فراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ! أفي رجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنّها رِجْلُ سوداء ، أتدري مَنْ هي ؟ قال : لا ؛ قال : هي والله التي أقول فيها : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على ليلِ حُرَّةٍ

وذكر البيتين ، والله لو رأيتَها يا ابن أخي لَمَا شَرِبتَ الماء من يدها ؛ قال : فجعلتْ تسُبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك . ومنها[3] : [من البسيط]

---

1 سوق الظهر : سوق الدواب .

2 الذفرى : العظم الناتيء خلف الأذن .

3 ديوان الحطيئة : 195 .

صوت

ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أَبا لَكُمُ   في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا[1]
طافتْ أُمامةُ بالرُّكبانِ آونةً   يا حُسْنَها من خَيالٍ زارَ مُنْتَقِبا
إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عَوارِضُهُ   حَمْشِ اللِّثات تَرى في مائِهِ شَنَبا[2]
قد أخلفَتْ عهدَها من بعد جِدّته   وكذَّبَتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كذَبا

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

ومنها :   [من الطويل]

صوت

جَزى اللهُ خيراً ، والجزاءُ بكفّه ،   بأحسنِ ما يَجْزِي الرجالَ بغيضا[3]
فلو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ   وصادَف مَنْأًى في البلاد عريضا

الغناء للهُذليّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

---

1 الأينق الشزب : الضامرة .

2 حمش : دقيق .

3 هو بغيض بن عامر الذي أغرى الحطيئة بالتحوّل عن جوار الزبرقان إلى جواره .

[13] ـ أخبار ابن عائشة ونسبه

[اسمه وكنيته]

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان يُنسب إلى أمّه ، ويلقِّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابن عاهة الدار» . وكان هو يزعم أنّ اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرف ذلك . وعائشة أمّه مولاة لكَثِير بن الصَّلت الكِنديّ حليف قريش . وقيل : إنّها مولاة لآل المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلاّم . وحكى ابن الكلبيّ القول الأوّل ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبيّ . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه : إنّ محمد بن مَعْن الغِفاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مولى المطّلب بن أبي وداعة السَّهميّ وإنّه كان لغير رَشْدة ، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسن ابن المرأة . قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقميّ : بل كان مَوْلًى لكَثِير بن الصَّلت .

[سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه]

قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، ألِغَيَّةٍ أنت ؟ قال : كانت أُمِّي يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبتْ على نسبي .

[كان يفتن كلّ من سمعه وأخذ عن معبد ومالك]

قال إسحاق : وكان ابن عائشة يفتن كلّ من سمعه ، وكان فِتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما .

[كان جيد الغناء دون الضرب]

وقد قيل : إنّه كان ضارباً ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرْتجِلاً لم يَضْرب قطّ .

[كان يضرب بابتدائه المثل]

وابتداؤه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنّه ابتداء ابن عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنّه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسُّطاً وقَطْعاً بعد أبي عَبَّاد معبد ، وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ ابن عائشة مثله ؛ وأمّا أنا

فلا أَجسُرُ على أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيِّد اليدين فكان أكثر ما يغنِّي مرتجلاً . وكان أطيب الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدّثني محمد بن سلاّم قال قال لي جرير : لا تخدعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَما كان بعد أبي عبّاد مثله .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسن الناس حُلوقاً : ابن عائشة وابن تَيْزَن وابن أبي الكَنّات .

[ضرب ابن أبي عتيق رجلاً خدش حلقه]

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزبيريّ عن أبيه قال[1] : رأى ابن أبي عتيق حَلْقَ ابن عائشة مُخدَّشاً فقال : مَن فعل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خرج أخذ بتَلْبيبِه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لَكَ تَضرِبُني ؟ أيّ شيء صنعتُ ؟ وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاّه وأقبل على مَن حضر فقال : هذا أراد أن يكسر مَزامير آل داود : شدّ على ابن عائشة فخنقه وخَدش حلْقه .

[لم يكن آخر غنائه كأوّله]

قال إسحاق في خبره : وحدّثني أبي عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : ما عرَفْنا أحداً بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنَّى ، ولو كان آخر غنائه مثل أوّله لقدَّمته على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندي ، وقال إسحاق مثلَ قولهما . قال : وقال يونس : كان ابن عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجيداً ، وكان غناؤه أحسن من ضربه ، فكان لا يكاد يَمَسُّ العود إلاّ أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويغنِّي ، فناهيك به حُسْناً .

[يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان أنّه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعد طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أَظرف مجلساً ولا أكثر طِيباً ؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القول قول جميلة له : وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون .

[رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال : كان ابن عائشة تائهاً سيِّئ الخُلُق ،

1 الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 63 (الفقرة : 92) عن الأغاني .

فإن قال له إنسان : تَغَنَّ ، قال : أَلِمثْلِي يقال هذا ؟ وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلي يقال أحسنت ؟ ثم يسكت ، فكان قليلاً ما يُنتفع به . فسال العقيق مرَّة فدخل عَرصَةَ سعيد بن العاصي الماءُ حتى ملأها ، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس على قرن البئر ، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بغلة وخلفَه غلامان أسودان كأنّهما من الشياطين ، فقال لهما : امضِيا رُويداً حتى تَقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال : بخيرٍ ، فداك أبي وأمّي ، قال : انظر من إلى جَنبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعم ، قال : فهما حُرَّان لئن لم تغنّني مائة صوت لآمرَنَّهما بطرحك في البئر ، وهما حُرَّان لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما ، فاندفع ابن عائشة فكان أوّل ما ابتدأ به صوتاً له وهو : [من مجزوء الوافر]

ألا لله درُّكَ مـــن فتًى قـومٍ إذا رَهِبُوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت ، فيقال إنّ الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر ممّا سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنَّى : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قد حانا أن تنطقي فتُبِينِي القولَ تِبْيانا

قال جرير : فما رُئي يومٌ أحسن منه ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله ، وما بلغني أنّ أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء ، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه ، فيقال : إنّه ما رئي جَمْعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلك الجمع ، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له : أحسنتَ والله ، أحسنتَ والله ، ثم انصرفوا حوله يزفُّونه إلى المدينة زَفّاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها[1] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا لله درُّكَ مِـــنْ فتَـى قـومٍ إذا رَهِبُـوا

1 شعر أبي العيال في شرح أشعار الهذليين 1 : 423–432 وهو يرثي ابن عمّ له اسمه عبد بن زهرة ، قتل بالقسطنطينيّة .

وقالوا مَنْ فتــىً للحر ... بِ يَرْقُبُنــا ويَرْتَقــبُ
فكنــتَ فتاهــمُ فيهــا ... إذا تُدْعَـــى لهـا تَثِبُ
ذكرتُ أخــي فعاودَني ... رُداعُ السُّقْمِ والوَصَبُ[1]
كما يعتــاد ذاتَ البَــ ... ــوِّ بعدَ سُلُوِّها الطَّرَبُ
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ ... طــولَ الليــلِ أنتحبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذَليّ . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأ فيه بقوله : [من مجزوء الوافر]

ذكــرتُ أخــي فعاودني ... رداعُ السُّقمِ والوصبُ

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حَمَّاد بن إسحاق أنّ خفيف الرمل لمالك . البَوُّ : جلد يُحشى تِبناً ويجفَّف لكيلا تخبُثَ رائحته[2] ، ويُدنى إلى الناقة التي قد نُحر فصيلها أو مات لتَشَمَّه فتَدِرّ عليه .

ومنها[3] : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قــد حانــا ... أن تنطقــي فتُبيني القــولَ تِبْيانــا
قالت ومَن أنت قل لي قلتُ ذو شَغَفٍ ... هِجْتِ له من دَواعي الحبِّ أَحْزانا[4]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

[غنّى بالموسم فحبس الناس عن المسير]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني عبد الرحمن بن سليمان عن عليّ بن الجهم الشاعر قال حدّثني رجل[5] : أنّ ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيِّراً ، فمرّ به بعض أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا ؟ فقال : إنّي أعرف رجلاً لو تكلّم لحبسَ الناسَ ها هنا فلم

---

1 رداع في ل : صداع الرأس ؛ الديوان : رداع السقم .
2 ل : يخبث ريحه .
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 433 .
4 هجت له في ل : هاجت له .
5 نقل ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 12–13 (رقم : 7) وانظر نهاية الأرب للنويريّ 4 : 284 والبيت الأوّل في شرح ديوان زهير : 59 .

يذهب أحد ولم يجيء ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغنّي : [من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أَجيزي نَـوىً مشمولـةً فمتى اللقاءُ

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحاملُ ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع . فأُتِي به هشامُ بن عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردتَ أن تَفتن الناس ؟ قال : فأمسك عنه وكان تيّاهاً ، فقال له هشام : ارفُقْ بتيهك ، فقال : حَقّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تَيّاهاً ، فضحك منه وخلّى سبيله .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت

[من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أَجيزِي نَـوًى مشمولـةً فمتى اللقاءُ

بنَفْسِي مَـنْ تذكُّـره سَقـامٌ أُعانيـه ومَطْلَبُـه عَنـاءُ

السانح : ما أقبل من شِمالك يريد يمينك ، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رُؤْبة عن السانح والبارح ، فقال : السانح : ما ولاّك ميامِنَه ، والبارح : ما ولاّك مشائمَه . وقوله : أجيزي أي انفُذِي . قال الأصمعي : يقال : أَجَزْتُ الوادي إذا قطعته وخلّفته ، وجُزْتُه أي سِرْت فيه فتجاوزته ، وجاوزته مثلُه . قال أَوْس بن مغراء : [من البسيط]

ولا يَرِيمُون في التعريفِ موقفَهم حتى يقالَ أَجيزُوا آلَ صوفانا[1]

ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة ، وهي التي تصيبها الشَّمال فتكشِفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب ، واستعارها هاهنا في النَّوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنّه يُتشاءم به . البيت الأوّل من الشعر لزهير بن أبي سُلمى ، والثاني مُحدَث ألحقه المغنّون به لا أعرف قائله . والغناء لابن عائشة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

[غنّى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مَزيد[2] والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّاد الراوية

1 آل صوفانا في ل : آل صفوانا .

2 ل : محمد بن جرير .

قال : كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فسَرِّحْ إليّ حمّاداً الراوية على ما أحبَّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم يتهيّأ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ؛ فقال : يا دُكَين ، مُرْ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنِياً عن ثنائك ؛ فقلت : أصلح الله الأمير «إن العَوانَ لا تُعلَّمُ الخِمْرَةَ»[1] وسيبلغك قولي وثنائي . فخرجتُ حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَخْراء ، فاستأذنتُ عليه فأذِن لي ، فإذا هو على سرير ممهَّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِداء يقيئان الزَّعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السَّمح وأبو كاملٍ[2] مولاه ، فتركني حتى سكن جَأْشي ، ثم قال أنشِدني :

أمِنَ المنونِ وريْبِها تتوجّعُ

فأنشدته حتى أتيت على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرة اسقِه ، فسقاني ثلاثة أكوس خَثَّرْنَ ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غنِّني : [من مجزوء الوافر]

ألا هــل هاجَــكَ الأظعا ... نُ إذ جــاوزْنَ مُطَّلَحــا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من البسيط]

جَــلا أُميَّــةُ عنِّــي كلَّ مظْلِمَةٍ ... سَهْل الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من الوافر]

أتنسَى إذ تُودِّعنا سُلَيْمــى ... بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ

ففعل . ثم قال : يا سَبرة ، أو يا أبا سبرة ، اسقِني بزُبِّ فرعون ؛ فأتاه بقدح مُعْوَجٍّ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجل الذي طلبتَ بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌّ لم أَرَ شابّــاً أحسنَ وجهاً منه ، في رِجله بعض الفَدَع[3] ؛ فقال : يا سبرة اسقِه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنِّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاكَ عليها مِئْــزَرٌ ... ولهــا بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبَذ إليه الثوبين . ثم قال له : غنِّني : [من مجزوء الكامل]

1 هذا مثل ، انظر جمهرة العسكري : 32 .

2 ل : وأبو مالك .

3 الفدع : الاعوجاج .

طَاف الخيَــالُ فمَرحبا ألفــاً برؤيــة زينَبــا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مقبِلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنّك تركتَنا بمَزْجَر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبيّ ؛ فقال : والله يا أبا عَبَّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طرَحني في مثل الطَّناجِير[1] من حرارة غنائه . قال حمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من البسيط]

جـلا أُميَّـةُ عنِّـي كلّ مظْلِمَــةٍ سَهْلُ الحجابِ وأَوْفى بالذي وعَدا
إذا حلَلْتُ بــأرضٍ لا أراكَ بهــا ضاقتْ عليّ ولم أعرفْ بها أحَدا

الغناء لابن عَبَّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لعمر الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

أَتَنْسى إذ تودِّعُنــا سُلَيْمَى بفَــرْعِ بَشامةٍ سُقِـيَ البَشامُ
متى كان الخِيامُ بـذي طُلُوحٍ سُقِيتِ الغيــثَ أيتُها الخِيامُ
أتَمْضُــون الخيــامَ ولم نسلمِ كلامُكُــم علـيّ إذاً حــرامُ
بنفسي مَــنْ تجنُّبُه عزيـزٌ علـيّ ومَـنْ زيارتُـه لِمامُ
ومـن أُمسي وأُصبح لا أَراه ويَطْرُقُنِـي إذا رقَـدَ النِّيامُ[3]

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيج ، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها في الأوّل والرابع ثقيل أوّلُ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الأوّل ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ في الثالث وما بعده رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وللدّلالِ في الثاني والثالث ثاني ثقيلٍ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكّيّ . وللغريض في الأوّل والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل

---

1 الطناجير جمع طنجير ، وهو نوع من القدور .
2 ديوان جرير 1 : 278 تحقيق د . نعمان أمين طه ، (دار المعارف ، القاهرة) .
3 رقد في ل : هجع .

بالبنصر عن الهشاميّ . ولابن جامع في الأوّل والثاني والرابع والخامس هزج عن الهشاميّ . وفيها لابن جندب خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

وهي إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ

وأوّله[1] : [من الرمل]

صوت

عَهِدَتْنِي ناشئاً ذا غِرَّة — رَجِلَ الجُمَّةِ ذا بَطْنٍ أَقَبّ
أتبَعُ الوِلدانَ أُرْخِي مِئزَرِي — ابن عَشْرٍ ذا قُرَيْطٍ من ذهبْ
وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ — ولها بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

الشعر لامرىء القيس ، ويقال : إنّه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ودنانير وحمَّاد بن إسحاق . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر ذكر حمَّاد في أخبار جميلة أنّه لها ، وذكر حبش والهشاميّ أنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّه لغيرهما . ومنها[2] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا هل هاجكَ الأظعا — نُ إذ جاوزْن مُطَّلَحا
نعمْ ولِوَشْك بَيْنِهمُ — جرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أخَذْن الماءَ من ركَكٍ — وضوءُ الفجر قد وضَحا[3]
يَقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ — نُباكِرُ ماءَه صُبُحا
تبعتُهمُ بطَرْفِ العيـ — ـن حتى قيل لي افتضحا
يودِّع بعضُنا بعضاً — وكلٌّ بالهوى جُرِحا
فمَن يفرَحْ ببينهِمُ — فغيري إذ غَدَوْا فَرِحا

الشعر ترويه الرُواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكَّار فإنّه رواه عن عمّه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوّام ، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب . ورواه الزُّبير * إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا * وقال : ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لَحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمعبد ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج في الخامس ، وهو

1 ديوان امرىء القيس : 294 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعارف ، القاهرة) .
2 هو في ديوان عمر : 84 وقد مرَّ من قبل .
3 من ركك في ل : من وشل . الفجر في ل : الصبح .

تَبِعْتُهُم بطرف العين إلى آخر الأبيات ، ثقيلٌ أوّلُ مُطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيها للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال : وهو الذي فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكيّ أن الثقيل الثاني لمالكٍ ، وخفيف الثقيل للغريض . ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

طَرَقَ الخيــالُ فمَرْحَبا ألفــاً برؤيـــة زينَبا
أنّـى اهتديــــتَ لِفتيةٍ سلَكُوا السَّلِيــلَ فعُلْيَبا[1]

[طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : أخذ بعض وُلاة المدينة المغنِّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله ﷺ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولًى لابن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ يُقْرِىء الناس القرآن ، وكان ابن عائشة يلازمه ، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فطَرَّب ورَجَّع ، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثلَه قطُّ ، فقال له : يا ابن أخي ، أفسدتَ نفسك وضيَّعتها ، فلو أنّك لزمت المسجد وتعلّمت القرآن لأقمتَ[2] للناس في مسجد رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، ولأصبت بذلك من الولاة خيراً ، فوالله ما دخل أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك ؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنِع[3] له ! قال : وما هو ؟ قال : انطلق معي حتى أُسمِعَكه ، فخرج معه إلى مِيضأةٍ ببَقِيع الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعبة ، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم ، فاندفع ابن عائشة يغنّي : [من مجزوء الكامل]

ألآنَ أبصــرتُ الهــدَى وعلا المَشِيبُ مَفارِقِي

فبلغ ذلك من الشيخ كلَّ مبلغ ، وقال : يا ابن أخي ، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه ، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه ؛ قال ابن عائشة : فعليّ أن أُسْمِعَكه ؛ فكان يرصُده ، فإذا خرج أبو جعفر يتوضّأ خرج ابن عائشة في أَثَرِه حتى يقف خلف جِدار المِيضأة بحيث يسمع غناءه ، فيغنِّيه أصواتاً حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه . فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد .

1 السليل وعليب : واديان .
2 ل : لأممت .
3 ل : صيغ .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من مجزوء الكامل]

طَـرق الخيـالُ المُعْتري وَهْنـاً فـؤادَ العاشِقِ
طَيْـفٌ ألـمّ فهاجَني للبَيْـنِ أُمَّ مُساحِـقِ
ألآنَ أبصـرتُ الهـدى وعـلا المَشِيبُ مفارقِي
وتركـتُ أمـرَ غَوايتـي وسلكتُ قصدَ طرائقي
ولقـد رضيـتُ بعيشنا إذ نحـن بـين حدائقِ
ركائـب تَهْـوِي بنـا بـين الدُّروبِ فدابِقِ[2]

الشعر للوليد بن يزيد ، ويقال : إنّه لابن رُهَيمة . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر عن عمرو ، وذكره يونس أيضاً له في كتابه . وفيه لأبي زَكَّار الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . وذكر ابن خُرْداذْبه أنّه لأبي زَكَّار الأعمى وهو قديم ، وأنّه وجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحَكَم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنَّس ، ولا أَدري أيُّها هو . وفي هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ متنازعٌ فيه نُسِب إلى معبد وإلى مالِك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنّه لَحْنَ حَكَم .

[أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه إلى البغيبغة]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزهر البُوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المِرداسيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم عن أبيه قال : كان الحسن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشة مُحِبّاً له ، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه ، وكان من أَتْيه خَلْق الله وأشدِّه ذَهاباً بنفسه ، فسأله الحسن أن يخرُج معه إلى البُغَيبغة فامتنع ابن عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغِلمانٍ له حُبشان وقال : نُفيت من أبي لئن لم تَسِر معي طائعاً لتسيرَنّ كارهاً ، ونُفِيتُ من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطَعنّ أيديهم . فلمّا رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنّه لا بدّ من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمّي ، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى البُغَيْبِغة[3] فنزلا الشِّعب ، وجاءهم ما أُعدّوا فأكلوا ؛ ثـم أَمر الحسنُ بأمرِه وقال يا محمد ؛ فقال له : لبَّيك يا

---

1 شعر الوليد بن يزيد : 153 تحقيق د . حسين عطوان (عمان 1979) عن الأغاني .
2 وركائب في ل : وركابنا . دابق : مكان تجمع جيوش الأجناد الشامية لمحاربة الروم ، وهي في منطقة حلب .
3 البغيبغة : عين غزيرة الماء لآل الرسول ﷺ وقفها عليّ بن أبي طالب هي وعين أبي نيروز على أهل المدينة .

سيّدي ؛ قال : غنِّني ؛ فاندفع فغنّاه : [من الكامل]

صوت

يدعـو النبـيَّ بعمِّـه فيُجيبُـه ... يا خيرَ مـن يدعو النبيَّ جَلالا
ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا ... وأرى الإقامـةَ بالعراقِ ضلالا
وأرى المرجِّـيَ للعراقِ وأهلَه ... ظَمْـآنَ هاجِـرةٍ يؤمِّـلُ آلا
وطَرِبتُ إذ ذكَر المدينةَ ذاكرٌ ... يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظَلِلْتُ أنظر في السماء كأنّني ... أبغـي بناحيـة السماء هلالا

الشعر لابن المولى[1] من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغِناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن حمّاد والهشاميّ وحبش . وقال الهِشاميّ خاصّةً : فيه لحن لقَراريطَ ، فقال له الحسن : أحسنتَ والله يا ابن عائشة ؛ فقال ابن عائشة : والله لا غنّيتُك في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيّام ! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلاّ المُقام ، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثاني قال له الحسن : هاتِ ما عندك فقد بَرّت يمينُك ، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تَقدُم جماعة إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى : [من المتقارب]

تَمُـرّ كجَنْدلـةِ المَنْجنيـ ... ـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فمـاذا تُخَطرِف مِـن قُلّةٍ ... ومِـن حَـدَبٍ وإكامٍ توالى[2]
ومـن سيرها العَنَـقُ المُسْبطِرُّ ... والعَجْرفِيّـةِ بعـدَ الكَـلالِ

فقال له الحسن : وَيْلَك يا محمد ؛ لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنّني ، فغنّاه : [من المتقارب]

إذا ما انتشيتُ طَرَحْتُ اللِّجام ... في شَدْقِ مُنْجَـرِدٍ سَلْهَبِ[3]
يبُـذّ الجيـاد بتَقْريبـهِ ... ويَأْوِي إلى حُضُـرٍ مُلْهِبِ
كُمَيْـتٌ كأَنّ على مَتْنِـهِ ... سبائكَ مـن قِطَـعِ المُذْهَبِ
كأنَّ القَرَنْفُـلَ والزنجبيـلَ ... يُعَـلُّ على رِيقِهـا الأطيبِ

---

1 ستأتي ترجمة ابن المولى في الأغاني .
2 قلّة في ل : حالق .
3 اللجام في ل : الكلام .

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنّك ، بأبي أنت وأمّي ، قد ألجمتني بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقيَ يومهم يتحدثون ؛ فلمّا كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيّامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غنّاك إلاّ صوتاً واحداً حتى تنصرِف ، وعليه وعليه إن حلَفت ألاّ أبرّ قسمَك ولو في ذَهاب رُوحه ؛ فقال له الحسن : فلك الأمان على محبّتك ؛ فاندفع فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أنعمَ اللهُ لي بـذا الوجـهِ عينـاً ... وبـــه مرحبـاً وأهـلاً وسهـلا

حين قالـت لا تذكـرنَّ حديثي ... يا ابنَ عمّي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى ... يُنقَـلَ البحـرُ بالغرابيـلِ نقلا

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها .

[نسبة الغناء في الشعر الذي غنّى به ابن عائشة]

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها : [من المتقارب]

صوت

تمـرّ كَجَنْدلـة المَنْجَنيـ ... ـقِ يُرْمى بها السورُ يومَ القتالِ

فمـاذا تُخَطِّـرفُ مـن قُلّـةٍ ... ومـن حَـدبٍ وإكامٍ تُوالي

ومِـنْ سيرِهـا العَنَقُ المُسبطِـ ... ـرُّ والعَجْرفِيّـةُ بعـد الكَلالِ

ألا يـا لَقومٍ لِطَيْف الخيالِ ... أرَّق مـن نـازحٍ ذي دَلالِ

يُثَنّـي التحيّـةَ بعـدَ السلامِ ... ثمّ يُفَـدِّي بعـمٍّ وخالِ

خيـالٌ لسَلْمى فقد عـاد لي ... بنُكْسٍ مـن الحبِّ بعد آندمالِ

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنّه قال : يمرّ بالياء لأنّه وصف به حماراً وحْشِيّاً ، ولكنّ المُغنِّين جميعاً يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وَصَف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلاّ قولَه :

ومن سيرِها العَنَقُ المُسْبطرّ

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوهما وغنّوْا فيهما . وقوله :

فماذا تَخَطْرَف مِـنْ قُلّـةٍ

يعني أنّه يمرّ بالموضع المرتفع فيَطفِره . وروى الأصمعيّ : [من المتقارب]

فمـاذا تَخَطَرَفَ مـن حالـقٍ ومن قُلّـة وحجـابٍ وجالِ

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حرف الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسْبطِرّ : المُسترسِل السهل . والعَجرفِيّة : التعسّف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعِبت تعجرفت في السير من بقيّة نفسها وشدّتها . وروى الأصمعيّ فيها : [من المتقارب]

خَيالٌ لجَعْدَةَ قـد هـاجَ لي نُكاساً مـن الحبِّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العلّة ، واندمال الجُرح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله : [من المتقارب]

فسَلِّ الهمـومَ بعَيْرانـةٍ مُواشِكَةِ الرَّجْعِ بعد انتقالِ[1]

ذَمُـولٍ تَزِفّ زفيفَ الظَّليـ ـم شمر بالنَّعْفِ وَسْط الرِّئالِ[2]

وتَرْمَـدّ هَمْلَجـةً زَعْزَعـاً كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ[3]

ومن سيرهـا العَنَق المُسْبَطِرّ والعَجْرفيّـةُ بعـد الكَـلالِ

كأنّي ورحلِـي إذا رُعتُهـا على جَمزَى جازىءٍ بالرمالِ[4]

وأمّا صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأُتُن : [من المتقارب]

فظَـلَّ يُسوّفُ أبوالَهـا ويُـوفي زيـازِيَ حُـدْبَ التِّلالِ[5]

فطـاف بتعشيره وانتحـى جَوائلَهـا وهـو كالمُسْتَجـالِ[6]

تَهـادى حوافرُهـا جَنْـدَلاً زواهـقَ ضربَ قُـلاتٍ بِقـالِ[7]

رمـى بالجَراميزِ عُـرْضَ الوَجيـ ـنِ وارمدّ في الجري بعد انفتالِ[8]

بشأوٍ له كضَريـم الحريـ ـقِ أو شِقّة البرق في عُرْض خالِ[9]

---

1 مواشكة الرجع : سريعة السير .
2 الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .
3 ترمدّ : تسرع في السير . هملجة : حسنة السير في سرعة . زعزع : شديد .
4 جمزى : سريع في وثبه . والجازىء : المكتفي بالرطب عن الماء .
5 يوفي : يصعد ، يعلو . زيازي : جمع زيزاء وهي الأرض الغليظة .
6 التعشير : النهيق .
7 تقذف حوافرها الجندل من حافر لآخر . الزواهق : السابقات . وهنا إشارة إلى لعبة قديمة .
8 جراميز الوحش : قوائمه وجسده . الوجين : الأرض الغليظة .
9 الخال : السحاب الذي يوشك أن يمطر .

يمُـــرّ كجَنْدلـــة المَنْجَنيـــ ـــقِ يُرْمى بها السورُ يـوم القتالِ
فمــاذا تَخَطْـرف مـن حالـقٍ ومن حَـدَبٍ وحجـابٍ وجالِ

الشعر لأميّة بن أبي عائذ الهذليّ[1] . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه : أيّ الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو ، فيقال : إنّه خفيف الرمل ، ويقال : إنّه هو الثقيل الأوّل ، ويقال : إنّه الرمل . فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكره إسحاق في موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه ، ونسبه في موضعٍ آخرَ إلى ابن أبي يَزَن المكيّ . ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال : فيه خفيف رمل آخر لمالك . وذكره يونس في أغاني ابن أبي يَزَن المكيّ ونسبه ولم يُجنّسه . وذكر ابن خُرْداذْبه والهشاميُّ أنّ فيه لهشام بن المريَّة لحْناً من الثقيل الأوّل ، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرا . وذكر إسحاق أنّ الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكيّ أنّه لأبيه ، وذكر غيره أنّه غلط وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هزج خفيف بالوسطى . ومنها ، وقد مضى تفسيره في الخبر واقتُصِر على البيت الأوّل منه : [من المتقارب]

صوت

إذا ما انتشيتُ طَرَحتُ اللِّجامَ في شِدْقِ مُنْجَـرِدٍ سَلْهَـبِ

الشعر للنابغة الجعديّ[2] . والغناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحمّاد .
ومنها الصوت الذي أوّله : [من الخفيف]

أنعَمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً

وقد جُمع مع سائر ما يُغنَّى فيه من القصيدة ، وهو : [من الخفيف]

أثْلَ جُـودِي على المتيَّـم أثْلا لا تَزيـدي فـؤادَه أثْـلَ خَبْلا
أثْلَ إنّـي والراقصاتِ بجَمْع يتبارَيْـــن في الأزِمّـــة فُتْلا
سابحاتٍ يَقطعْن مـن عرفاتٍ بين أيدي المَطيّ حَزْنا وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّكـ ـنِ لشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلا

1 أميّة بن أبي عائذ الهذليّ : وقصيدته هذه في شرح أشعار الهذليين 2 : 494 والأبيات الواردة هنا لا تلتزم ترتيب الديوان .

2 ديوان النابغة الجعدي : 31 وما بعدها (طبع المكتب الإسلامي 1964) .

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى يُنْقَلَ البحـرُ بالغرابيـلِ نَقْلا
أو تمـورَ الجبالُ مَـوْرَ سحابٍ مُرْتَقٍ قـد وَعَـى من الماءِ ثِقْلا
أنعـمَ اللهُ لي بـذا الوجـهِ عيناً وبـه مرحبـاً وأهـلاً وسهلا
حين قالت لا تُفْشِيَنّ حديثي يا ابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا
فاتّقـي اللهَ واقبلي العـذرَ منّي وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلاّ
إن أكن سؤتُكم بـه فلكِ العُتْـــبى لَدَينا وحَقَّ ذاك وقلاّ
لم أُرحِّب بأن سَخِطتِ ولكنْ مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُـه ليلةَ البـدرِ عليـه ابتنى الجمـالُ وحَلاّ
جعـــل اللهُ كلّ أنثـى فِـداءً لكِ بل خدَّها لرجليْكِ نعلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المزنَ من الحسنِ والجمالِ استهلاّ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ[1] . والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأُوَل : خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة . ولابن هَوْبَر في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ آخر عن إسحاق . ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيل أوّل ، وآخر بالبنصر أوّله استهلال . وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى . ولدَحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس ولم يقع إليَّ من يُجنّسه . ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيها أيضاً للغريض خفيف رملٍ بالبنصر . ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه .

[غنّى الوليد بن يزيد فطرب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ ولم يقل عمر بن شبّة في خبره : محمد بن سلاّم عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ ، قال : كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد ، فرأيتُ ابن عائشة عنده وقد غنّاه : [من الكامل]

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد – 1972) عن الأغاني .

صوت

إنّي رأيتُ صَبيحةَ النَّفْرِ حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ
مثلَ الكواكب في مطالعِها بعدَ العشاءِ أطفْنَ بالبدرِ
وخرجتُ أبغِي الأجْرَ مُحتسباً فرجَعتُ مَوْفوراً مِن الوِزْرِ

قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء لمالك . هكذا في خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكرَه لمالك في جامع أغانيه . ووجدته في غِناء ابن سريج خفيف رمل بالوُسطى عن الهشاميّ قال : فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملاً ضلّ عنه مَن بعدَه ؛ ثم قال : أحسنتَ والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ أميّة ، فأعاد ؛ ثم قال : أعِد بحقّ فلان ، أعد بحقّ فلان ، حتّى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعِد بحياتي ؛ فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلاّ قبّله وأهوى إلى هَنِه ؛ فجعل ابن عائشة يضمّ فخذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تَريم حتى أُقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقيَ مجرّداً إلى أن أَتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة وقال : اركبها ، بأبي أنت ، وانصرِف ، فقد تركتَني على مثل المِقلى من حرارة غنائك ؛ فركِبها على بِساطه وانصرف .

[محتاج يصرّ على السماع فجعله الوليد في ندمائه]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحسن النَّخَعيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبَعِيّ قال[1] : خرج ابن عائشة المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه : [من الوافر]

أبعَدَكَ مَعْقِلاً أرجو وحِصْناً قَدَ اعْيتنِي المَعاقلُ والحُصونُ

وهي أربعة أبيات ، هكذا في الخبر ، ولم يَذكر غير هذا البيت منها ، قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارةِ القَصّار كُسوةً . فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغِناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المغنّي ؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ، أنت ابن عائشة أُمِّ المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولًى لقريش وعائشة أمّي وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي أراه

1 التذكرة الحمدونية 9 : 63–64 (رقم : 93) عن الأغاني ؛ وانظر نهاية الأرب 4 : 284–285 وديوان النابغة الذبياني : 222 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة) .

بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنّيت أمير المؤمنين صوْتاً فأطربته فكفَر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسوة ؛ قال : جُعِلت فداءك ، فهل تمُنّ عليّ بأن تُسمعني ما أسمعتَه إيّاه ؟ فقال له : ويلك ؛ أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال : الحَقْنِي بالباب . وحرَّك ابن عائشة بغلةً شَقراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرَسَيْ رِهانٍ ، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف ، فلم يفعل ؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخِلْه ، فلمّا دخل قال له : ويلك ؛ من أين صَبّك الله عليّ ! قال : أنا رجل من أهل وادي القُرى أشتهي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك ؛ فقال له : جُعِلتُ فداءك ، والله إنّ لي لبُنيّةً ما في أذنها ، علِم الله ، حلقة من الورِق فضلاً عن الذهب ، وإنّ لي لزوجةً ما عليها ، يشهد الله ، قميصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة والفقر اللذيْن عرّفتُكَهما وأضعفتَ لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إليّ ، وكان ابن عائشة تائهاً لا يغنّي إلاّ لخليفةٍ أو لذي قدر جليل من إخوانه ؛ فتعجّب ابن عائشة منه ورحِمه ، ودعا بالدَّواة وكان يغنّي مُرتجِلاً ، فغنّاه الصوت ؛ فطرِب له طرباً شديداً ، وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أنّ عنقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئاً ، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه ، فجعل يَغِيب عن الحديث . ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتى أُحضِر ، ووصله صِلةً سنيّة ، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقْي ، فلم يزل معه حتى مات .

[سمع الشعبيّ غناءه فمدحه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني عمر بن أبي خليفة قال : كان الشَّعبيّ مع أبي في أعلى الدار ، فسمعنا تحتَنا غِناء حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يتغنّى : [من مجزوء الكامل]

قالتْ عُبَيْد تَجَرُّماً ... في القولِ فعلَ المازحِ

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعبيّ يتعجّب من غنائه ويقول : يُؤتِي الحِكمة من يشاء . [من مجزوء الكامل]

نسبة هذا الصوت

صوت

قالــتْ عُبَيد تَجَرُّمــاً ... في القول فعلَ المازحِ

أنجزْ بعَمْرك وعدَنا ... فأظنّ حبَّك فاضحِي
فأجبتُها لـو تعلمـ ... ـينَ بما تُجِنّ جوانحي
فيمـا أرى لَرَحِمْتِني ... من حَمْل حُبٍّ فادِحِ
ما في البريّة لي هوىً ... فاسمع مَقالـة ناصحِ
أشكو إليـه جَفـاءكم ... إلاّ سلام مُصافِحِي

زعم حبش أنّ الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر .

[احتال عليه جماعة من قريش في الحجّ فغنّى لهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : حدّثني مَن رأى ابن عائشة حاجّاً وقد دعاه فِتْيةٌ من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المجلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام ، فلمّا طعِموا دعا بشراب فشرِبوا ، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغنّيَ أبى ذلك وغضِب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنّي فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثني اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلاً بحديث عجيب ؛ فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثني أنّ جَميلاً بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرى ، فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر ، متغيّر اللّون ، إلى ناقة له مجتمعةٍ[1] قريبة من الأرض ، مُوثَّقَة الخَلق ، فشدّ عليها رَحلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته ، ثم ثنّى فشربتْ حتى رَوِيتْ ، ثم قال : اشدُد أداة رَحلك واشرب واسقِ جملَك ، فإنّي ذاهب بك إلى بعض مذاهبي ، ففعلت ، فجال في ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتي ، فسِرنا بياض يومنا وسَواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلاّ للصلاة ؛ فلمّا كان اليوم الثالث دَفَعنا إلى نسوة فمال إليهنَّ فوجدنا الرجال خُلُوفاً ، وإذا قِدرُ لِبأ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً ، فلمّا رأيت القِدْر اقتحمتُ عن بعيري وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسي في القِدر ما يَثنِيني حَرُّها حتى روِيت ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القدر فضاقتْ عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسُوة ، فضحِكن منّي وغَسَلن ما أصابني . وأُتـي جميلٌ بقِرًى فوالله ما التفتُ إليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَواعِي الإبل ، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دَمَهُ إن وجدوه في بلادهم ، وجاء الناس[2] فقُلن : وَيحَكَ ! أُنجُ وتقدّم ، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يرمونه ويطردونه ، فإذا غَشَوه قاتلهم

1 يريد مجتمعة الخلق أي مكتنزة قويّة .

2 ل : وجاء النسوة .

ورَمى فيهم ، وقام بي جَمَلي ، فقال لي : يَسِّر لنفسك مركباً خَلفي ، فأردفني خلفه ، لا والله ما انكسر ولا انخَلّ عن فرسه حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستّ ليالٍ وستّة أيّام وما التفتَ إلى طعام وقال في ذلك : [من الكامل]

إنّ المنــازلَ هَيجَـتْ أطرابي ... واستَعْجَمَت آياتُهـا بجوابي

وهي قصيدة طويلة . وقال أيضاً : [من الطويل]

وأحسنُ أيامي وأبهجُ عِيشَتِي ... إذا هِيجَ بي يَوْماً وهُنَّ قُعُودُ

قال فقال ابن عائشة : أفلا أُغَنِّي لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك ، وبقي أصحابنا يتعجّبون من الحديث وحُسنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغَنِّينا في مجلسنا هذا ما نَشطْتَ هذا الصوت فقط ؛ فقال لهم : نعم ونِعمةَ عينٍ وكرامةً ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

[من الكامل]

إنَّ المنازلَ هَيَّجَتْ أطرابـي ... واستعجمـتْ آياتُهـا بجوابي

قَفْرٌ تَـلُوحُ بذي اللُّجَين كأنّـها ... أَنْضاءُ وَشْمٍ أو سُطورُ كتابِ

لَمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... منّي الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ[1]

وذكرتُ عصراً يا بُثَيْنَةُ شاقَني ... إذ فاتَني وذكرتُ شَرخَ شبابي

الشعر لجميل[2] . والغناء للهُذَليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق .

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال حدّثني عمرو بن أبي الكَنّات الحَكَميّ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كنّا يوماً متنزّهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكّىء على يده ، فلمّا رأى جماعتَنا وسَمِعَني أُغَنِّي جاءنا فسلَّم وجلس إلينا

1 القلوص في ل : الركاب .

2 ديوان جميل بثينة : 31–32 عن الأغاني – جمعه د . حسين نصّار (مكتبة مصر) .

وتحدَّث معنا ، وكانت الجماعة تَعرف سوءَ خُلُقِه وغَضَبه إذا سئل أن يُغَنِّيَ ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون بذلك أن يطرَب فيُغنِّي ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثتكم إيّاه ؛ قالوا : هاتِ ؛ قلتُ : حدّثني هذا الرجل أنّه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة فإذا صبيانٌ يتغاطسون[1] في غَدِيرٍ ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوك الجسم عليه أثَرُ العِلّة ، والنحول في جسمه بيِّن ، وهو جالس ينظر إليهم ، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال : من أين وَضَحَ الراكب ؟ قلتُ : من الحِمَى ؛ قال : ومتى عهدُك به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلت : ببني فلان ؛ فقال : أوَّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفَّس الصعداء تنفُّساً قلت إنّه قد خرّق حِجاب قلبه ؛ ثم أنشأ يقول[2] : [من الطويل]

صوت

سَقى بلداً أمستْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ مِنَ المُزْنِ ما يَرْوى به ويُسِيمُ
وإن لم أكُنْ من قاطِنِيهِ فإنّه يَحُلّ بـه شخصٌ عليّ كَرِيمُ
ألاّ حَبّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ لَدَيَّ وإن شَطَّ المـزارُ نَعِيمُ[3]
ومَنْ لامَني فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ فَرُدَّ بغَيْظٍ صاحِبٌ وحَمِيمُ

ثم سكن كالمَغشيّ عليه ، فصِحتُ بالصِّبْية ، فأتوْا بماءٍ فَصَبَبْتُه على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول[4] : [من الوافر]

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعي وأنفاسي تَزَيَّـنَ بالخُشُوعِ
ولِي عَيْنٌ أضَرَّ بها التفاتِـي إلى الأجراعِ مُطلقَـةَ الدموعِ
إلى الخَلَواتِ يأنسُ فيكِ قلبي كما أَنِسَ الغريـبُ إلى الجميعِ[5]

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدك ، أو أكُرُّ عَوْدي على بَدْئي إلى الحِمى في حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة ؟ فقال : جُزِيتَ خيراً وصَحِبَتْك السلامة ؛ امضِ لِطيَّتك ، فلو أنّي علمتُ أنّك تُغْنِي عنّي شيئاً لكنتَ موضِعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة ، ولكنّك أدركتني في صُبابة من حياتي يسيرة ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي ليلته إلاّ ميّتاً ؛ فقال القوم : ما أعجبَ

1 ل : يتغامسون ؛ وفي أمالي القالي (37) يتقامسون .
2 الخبر والشعر في أمالي القالي 1 : 37–38 .
3 لدي في ل : عليّ .
4 هذه الأبيات في أمالي القالي 1 : 38 دون نسبة .
5 يأنس فيك قلبي في ل : تأنس فيك نفسي .

هذا الحديث ! واندفع ابن عائشة فتغنّى في الشعرين جميعاً وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه ، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن انصرفنا .

فأمّا نسبة هذين الصوتين فإنّ في الأوّل منهما لَحناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى معبد ، وذكر الهشاميّ أنّه مَنحول . وفي هذا الخبر : أنّ ابن عائشة غنّاه ، وهو يغنّى في البيت الأوّل والثاني من الأبيات . وفيه للضَّيزنيّ الملقّب بنُبَيكة لحنٌ جيِّد من الثقيل الأوّل . وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم ، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خُمارَوَيْه بن أحمد ، ثم قَدِم بغداد في أيّام المقتدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت في يده صُبابة قويّة من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيِّدة قد ذكرتُ ما وقع إليّ منها في المجرَّد[1] . وذكرتُ ممّا وقع إليّ له في هذا الكتاب لَحْناً جيِّداً في شعر سعد ذلفاء ، وهو :

ولَمَّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وأمّا الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي : أنَّ ابن عائشة غنّاه فما رأيتُ له نسبة في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد ، ولعلّه ممّا انطوى عنّي أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس .

[غنّى من قصر ذي خشب ورأى نسوة يمشين فاتّجه نحوهنّ فسقط فمات]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة اللَّيثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبلَ ابن عائشة من الشام حتى نزل قصر ذي خُشُبٍ ومعه مالٌ وطِيبٌ وكُساً فشَرِبَ فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصَعِدوا ، ثم نَظَرَ فإذا بِنِسْوةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِسَ مُلاءة مَدلوكة ، ثم قام على شُرفةٍ من شُرُفات القصر فتغنّى : [من الهزج]

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقد طابَ لنا العَيْشُ تَعالَيْنا

فأَقْبَلنَ إليه فطَرِبَ واستدارَ حتى سقط من السطح ؛ وهذا الخبر يُذكر على شرحه في خبر وفاته .

---

1 المجرد : أحد مؤلّفات أبي الفرج .

[كان يغنّي بشعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلاّم عن جرير أبي الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غَنَّى في صوت له من شعر الحطيئة وهو :

عَفَـا مـن سُلَيْمى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ

نظر إلى أعطافه في كلّ رَنّة ، فسئل يوماً ، وقد دَبَّ فيه الشرابُ ، عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة : إنّ الغناء رُقْيَةٌ من رُقى النَّيْك ، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغِناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء ، وكيف لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منّي هذا المحلّ ؟ وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلاّ غنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثر سؤاله إيّاه . وكان جرير يقول : إنّه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

[وفاة ابن عائشة]

وتُوُفّي ابن عائشة فيما قيل في أيّام هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلاّ أنّه توفّي في أيّام الوليد ، لأنّه أقدمه إليه . وذكر من زعمَ أنّه توفّي في خلافة هشام : أنّه إنّما وفد على الوليد وهو وليّ عهد .

[ذو خشب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر عِمران بن هند : أنّ الغَمر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلمّا نَزَل قصرَ ذي خُشُب شرب على سطحه ، فغنّى ابن عائشة صوتاً طَرِبَ له الغَمْر ، فقال : اردُدْه ، فأبى ، وكان لا يردّ صوتاً لسوء خُلُقه ، فأمر به ، فطُرِح من أعلى السَّطح فمات . ويقال : بل قام من الليل وهو سكران ليبُول فسقط من السطح فمات .

[حكايات أخرى في سبب وفاته]

قال إسحاق فحدّثني المدائنيّ قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأتِ به أحدٌ من عنده ، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذي خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليَها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، ولاّه هشام وهو خاله ، وكان في قصر هناك ، فقيل له : أصلحَ الله الأمير ، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطرِبَنا وينصرف من غَدٍ ؛ فدعا به فسأله المُقام عنده فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أخذوا في شُربهم أخرج المخزوميّ جواريَه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمِز جاريةً منهنّ ، فقال لخادمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارمِ به ، وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا شرفات ، وهو يُشرف على بستان ، فلمّا قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات ، فقبرُه معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكُساً ، فشرب فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بِنِسْوة يتمشّينَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرفة من شُرَف القصر فتغنّى في شعر ابن أُذَينة: [من الهزج]

وقد قالتْ لأَتْرابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طابَ لنا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلن إليه ، وطرِب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قدِم المدينة فمات بها .

[بكى عليه أشعب فأضحك الناس]

قال : ولمّا مات قال أشْعَب[1] : قد قلتُ لكم ، ولكنّه لا يُغنِي[2] حَذَرٌ من قَدَر ، : زوِّجوا ابن عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبكي والناس يضحكون منه .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت[3]

[من الهزج]

سُلَيْمى أَزْمعتْ بَيْنَا فأين تقولُها أَيْنا[4]
وقد قالتْ لأتراب لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طابَ لنا العيشُ تعالَيْنا
وغابَ البَرَم الليلـ ـلة والعينُ فلا عَيْنا
فأَقبَلْنَ إليها مسـ ـرِعاتٍ يَتَهادَيْنا
إلى مثلِ مَهاةِ الرمـ ـلِ تَكْسُو المجلسَ الزَّيْنا
إلى خَوْدٍ منعَّمةٍ حَفَفْنَ بها وفدَّيْنا
تمنَّيْنَ مُناهنّ فكُنّا ما تمنَّيْنا

1 قول أشعب نقله الحمدوني في التذكرة 9 : 62 (رقم : 86) .
2 ل : ينجي .
3 الشعر لعروة بن أذينة في مجموع شعره : 398–400 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد) .
4 أزمعت في ل : أجمعت . تقولها : تظنّها .

الشعر لعروة بن أُذينة ، والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .

[كان مالك بن أنس يكره الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سمعتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنّعه الله بخِزْيه مالكُ بن أنس ، ثم حلف له إنّه سمع مالكاً يُغنّي : [من الهزج]

سُلَيمَى أزمعتْ بينا   فأين تقولها أينا

في عُرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .

[مرّ بابن أذينة وطلب إليه أن يقول له شعراً يغنّيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال : مَرَّ ابن عائشة بابن أُذينة فقال له : قل أبياتاً هَزَجاً أُغنِّ فيها ؛ فقال له : اجلس فجلس ؛ فقال :

سُلَيْمى أزمعت بينا

الأبيات . قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لمّا سمع قوله : [من الهزج]

تمنَّيْنَ مُناهنّ   فكنّا ما تمنَّيْنا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنَّيْنَك لمّا أقبل بَخَرُك ، وأدبر ذَفَرُك ، وذبُل ذَكَرُك ! فجعل يشتُمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

أخبرني الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال فحدّثني حمّاد الخَشَبيّ[1] قال : ذُكِر ابنُ أُذَينة عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : نِعْم الرجل أبو عامر ، على [أنّه] الذي يقول : [من الهزج]

وقد قالت لأترابٍ   لها زُهْرٍ تلاقَيْنا

[غنّى للوليد بن يزيد بمكّة فطرب وأجازه]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوب القُرَشيّ قال : كان هشام بن عبد الملك مُكرِماً للوليد بن يزيد ، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّباً للوليد ، وكان ، فيما يقال ، زِنديقاً ، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه ، فاتّخذ نُدَماءَ وشرب وتهتّك ، فأراد هشامٌ قطعَهم عنه ، فولاّه المَوْسِمَ في سنة عشر

1 ل : الحسني .

ومائة ، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث إلى المغنّين فغنَّوْه وفيهم ابن عائشة فغنّاه :

سُليمى أجمعتْ بَيْنَا

فنَعر الوليدُ نَعْرةً أَذِن لها أهلُ مكّة . وأمر لابن عائشة بألف دينار ، وخلع عليه عدّة خِلَع ، وحَمله . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس ، وأمر للمغنِّين بدون ذلك ، فتكلّم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا وليّ عهدِ المسلمين ؟ وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خَلْعه ، وأراده على ذلك فأبى ؛ وتنكّر هشام للوليد ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط ، وتعبث هشام بالوليد وخاصّته ومَواليه ، فنزل بالأزرق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأَغْدَق ، حتى مات هشام . [انقضت أخباره] .

وممّا في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

[غناؤه في صوت من المائة المختارة]

صوت

من رواية عليّ بن يحيى : [من الكامل]

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بعضَ الحَنين فإن شَجْوَكِ شائقي

بأبي الوليدُ وأمٍّ نفسي كلّما بدت النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ

أَثْوى فأَكرمَ في الثَّواء وقُضِّيتْ حاجاتُنا من عند أَرْوعَ باسِقِ

لا تَبْعَدنّ إداوةٌ مطروحةٌ كانت حَدِيثاً للشَّرابِ العاتِقِ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو : [من الكامل]

فإلى الوليدِ اليومَ حنّتْ ناقتي تَهْوِي بمُغْبرِّ المُتُونِ سَمالِقِ[1]

وبعده «حنت إلى برق . . .» . وقوله : «قِرِي» من الوَقار ، كأنّها لمّا حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال يخاطبها ، قِري . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبي الوليد وأمّي في كلّ ليل ونهار أبداً . وأَثْوى : أنزَل . والثَّواء : الإقامة ؛ قال الأعشى : [من الطويل]

1 السمالق : الأراضي الجرداء .

لقد كانَ في حول ثَواء ثويته   تُقَضَّى لُبانات ٌ ويَسأم سائمُ

والباسق : الطويل ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لها طَلْعٌ نَضِيد﴾ أي طِوالاً . ويروى :

لا تَبْعَــدنّ إداوةٌ مطروحــةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطأة المُحارِبيّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للهذليّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ وابن المكيّ . فأوّلُ لحنِ الهذليّ استهلالٌ في :

حنتْ إلى برقٍ فقلتُ لها قِرِي

وأوّل لحن ابن عائشة :   [من الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمٍّ نفسي كلّما   بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

[14] ـ أخبار ابن أرطاة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن أَرطاة ، وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أَرطاة بن سَيْحان بن عمرو بن نُجَيد بن سعد بن لاحِب بن ربيعة بن شُكُم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن عليّ بن جَسْر بن محارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وأمّ جَسْر بن محارب كأس بنت لُكَيز بن أَفصى بن عبد القيس ، وأمّ عليّ بن جسر ماوِيَّة بنت عليّ بن بكر بن وائل ، هذه رواية أبي عمرو الشيبانيّ أخبرني بها عمِّي والصُّوليّ عن الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : وشُكُم بن عبد الله أوّل مُحاربيّ سادَ قومَه وأبَـذُّهم رأساً بنفسه ، وكانوا جيراناً في هَوازن ؛ وآل سَيحان حلفاء حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أميّة عامّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال : بنو سيحان من بني جَسْر بن محارب ، وبنو عبد مناف تُقَوِّي حِلْفَهم ، وهم عندي أعِزَّاؤهم وليسوا بأحلافهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسَّان قال : لمّا قتَل هشام بن الوليد أبا أُزَيْهِر ، بعثتْ قريش أَرطاة بن سيحان حليف حرب بن أميّة إلى الشَّراة يُحَذِّر مَن بها من تُجّار قريش ، وخرج حاجزٌ الأَزدِيّ ليُخْبِرَ قومه ، فسبقه أرطاة ، وقال في ذلك وقد حذَّرهم فنَجَوا : [من الكامل]

مثـلُ الحليـفِ تُشدُّ عُرْوتُـه يَثْنِي العِناجَ لها مع الكَرَبِ[2]
زَلَـمٌ إذا يَسَرُوا بـه يُسُرٌ ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ[3]
هـل تَشْكُرَنْ فِهـرٌ وتاجِرُها دَأْبَ السُّرى بالليلِ والخَبَبِ
حتـى جَلَـوْتُ لهـم يَقِينَهُمُ ببيـان لا أَلْسٍ ولا كَـذِبِ[4]

1 لم نجد لعبد الرحمن بن أرطاة ترجمة في المصادر الأدبية عدا الأغاني .
2 العناج والكرب : سير وحبل يشدّان بالدلو لاستنقاذها إذا انقطع الحبل .
3 الزلم : قدح لا ريش فيه ويشبه به الرجل الخفيف . إذا يسروا : إذا لعبوا الميسر .
4 الألس : الخيانة والكذب .

[شاعر إسلاميّ مقل ليس من الفحول]

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقِلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول في الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بني أميّة ، وهو أحد المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أميّة كواحدٍ منهم إلاّ أنّ اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر ، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومؤانستُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم ، لأنّهما كانا يَتنادَمان على الشَّراب .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بل في الوليد بن عتبة . وخبره في ذلك يُذكَر بعد هذا .

[أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال قال عُتبَة بن المِنهال المهلَّبيّ حدّثني غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا : كان ابن سيحان حليفاً لقريش ينزِل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يومٍ خُمارٌ ، فذهب لسانه وسكنَت أطرافه وصرَخ أهله عليه ، فأقبل الوليد إليه فَزِعاً ، فلمّا رآه قال : أخي مَخمور وربِّ الكعبة ، ثم أمرَ غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمرَ به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه ، وصنع له حِساء وجعل على رأسه دُهناً وجعل رجليه في ماء سُخْن ، فما لبِث أن انطلق وذهب ما كان به . ومات الوليد بعد ذلك . فبينا ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه يُنقَل من بيت إلى بيت ، إذ مَرّت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضت ، فانتحب وقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الأبيات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يُخْمَر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خيفَ عليه وشقَّ النساء عليه الجُيوب ، فدُعِي له ابن سيحان ، فلمّا رآه قال : اخرُجنَ عنّي وعن أخي ، فخَرَجْنَ ، فقال له : الصَّبوح أبا عبد الله ، فجلس مُفِيقاً ؛ فذلك حيث يقول ابن سيحان : [من الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كلّما بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
أَثْوى فأكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ
وسَمَاحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في مالـه حَقّاً وقَوْلٍ صادِقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حَديثاً للشراب العاتِقِ

[كان ينادم الوليد بن عثمان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان يُكنى أبا الجَهْم ، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً ، وكان صاحب شراب ، فمرِض فعادَه الوليد وقال : ما تشتهي ؟ قال : شراباً ؛ فبعث فجاءه بشراب في إداوة . ثم ذكر باقي الخبر[1] نحو الذي قبله .

[خرج مع الوليد بن عثمان إلى الحجاز ولمّا عاد أعطاه إداوة شراب]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال : كان الوليدُ بن عُثمان ذا غَلَّة في الحجاز يخرُجُ إليها في زمان التَّمْر بنَفَرٍ من قومه ، يَجْنُون له ويعاونونه ، فكان إذا حضرَ خروجُهم دفَعَ إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم ، فخرج بهم مرّةً كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان ، فأتى ابن سيحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجةٍ لا بدّ منها ، فاستأذنه فأَذِنَ له ، فقال له ابن سيحان : زَوِّدوني من شرابكم هذا ، فزَوَّدُوه إداوةً ملأها له من شرابهم ، فكان يَشْرَبها في طريقِهِ حتى قَدِمَ على أهله ، فألقاها في جانب بيتِه فارغةً ، فمكثَ زماناً لا يذكرها ، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلقاةً في الكُناسة فقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانت حَدِيثاً للشراب العاتِقِ
إن تُصْبِحِي لا شيءَ فيكِ فرُبَّما أُتـرِعْتِ من كأسٍ تَلَذُّ لِذائِقِ
بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كُلَّما بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارِقِ
كم عندَه من نائلٍ وسَماحةٍ وشمائلٍ مَيْمونةٍ وخلائِقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في مالـه حَقّاً وقَـوْلٍ صادِقِ
أَثْوى فأَكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ
لَمَّا أتيناهُ أَتَيْنا ماجدَ الـ ـأخلاق سَبَّاقاً لِقَرْمٍ سابِقِ
قال الوليدُ يَدِي لكم رَهْنٌ بما حاوَلْتُمُ من صامتٍ أو ناطِقِ
فإلى الوليدِ اليوم حَنَّتْ ناقتي تَهْوِي بمُغْبَرِّ المُتـونِ سَمالِقِ
حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقِي

---

1 ل : الحديث .

[حدّه مروان بالخمر ومنع منه معاوية]

أخبرني عَمِّي قال حدّثني محمد بن عبد الله التَّميميّ الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالا جميعاً : كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مَروان بن الحكم أيّام كان معاوية يُعاقِب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحَرَمين ، وأنكر عليه أشياءَ بلغَته فغاظَته : من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته ، فرصَدَه حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدَّ ثمانين سوطاً . وقدِم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أنّ مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضِب معاوية وقال : واللهِ لو كان حليف أبي العاص لَما ضربه ولكنّه ضربه لأنّه حليف حَرب ، أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

وإنّي امرؤٌ حِلْفٌ إلى أفضل الوَرى عَدِيداً إذا ارفَضَّتْ عَصا المُتَحلَّفِ

كذب واللهِ مروان ، لا يَضْرِبه في نبيذ أهل المدينة وشَكِّهم وحُمقهم ؛ ثم قال لكاتبه : اكتُبْ إلى مروان : فَلْيُبْطِل الحدَّ عن ابن سيحان ، وليَخطُب بذلك على المِنبر ، وليَقُل إنّه كان ضربه على شُبهة ثم بانَ له أنّه لم يشرب مُسْكِراً ، وليُعْطِه ألفيْ درهم . فلمّا ورد الكتاب على مروان عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكَذِّب نفسَك ، ولا تُبْطِل حُكْمَك ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شيءٍ أو أراده ، لا واللهِ لا أُراجِعُه . فلمّا كان يوم الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنّا كشَفنا أمره فإذا هو لم يشرب مُسْكِراً ، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه ، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ . ثم نزل فأرسل إليه بألفيْ درهم .

[رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد بن عثمان الحدّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربيّ شاعراً ، وكان حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشراب ، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بني أُميّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه ، فلمّا وَلِيَ الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان وعُزل مَروان وجَد مروان في نفسه وكان قد سبَعَه [1] ، فحقَد ذلك عليه مروان واضطغنه ، وكان

1 سبعه : ذكره بالقبيح .

الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مروان يفعل به الذي فعله ، وقد كان مدحه ابن سيحان ووصَلَه مروان ، ولكنّ مروان أراد فضيحة الوليد ، فرصدَه ليلةً في المسجد ، وكان ابن سيحان يخرج في السَّحَر من عند الوليد ثَمِلاً فيمرّ في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زُقاق عاصِم ، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلّي ، وكذلك عبد الله بن حنظَلَة وغيرهما من القُرّاء يبيتُون في المسجد يتهجّدون ، فلمّا خرج ابن سيحان ثمِلاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه ، ثمّ دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شُرطتِه فحبسه ؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلِم أنّ مروان إنّما أراد أن يفضحه ، وأنّه لو لقِيَ ابن سيحان ثَمِلاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرِض له ، فقال الوليد : لا يُبرِّئني من هذا عند أهل المدينة إلاّ ضربُ ابن سيحان ، فأمر صاحبَ شُرطته فضربه الحدَّ ثم أرسله .

[مكث في بيته استحياء]

فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس ، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له : ما يُجْلسك[1] في بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس ؛ قال : اخرجْ أيّها الرجل ، وكان عبد الرحمن قد حمَل له معه كُسْوة ، فقال له : البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أحْرى أن يكذِّب به مكذِّب ، ثم تَرحَل إلى أمير المؤمنين فتُخبِره بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك ؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسّطاً لهم حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسطوانة ؛ فقائل يقول : لم يُضْرب ، وقائل يقول : أنا رأيته يُضْرَب ، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطاً .

[رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد]

فمكث أيّاماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه ، وكلّم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مروان ، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعف عقلَه ! أما استحيا من ضربك فيما شرِب ؟ وأمّا مروان فإنّي كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ، ولكنّه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يُصِب ، وقد صيّر نفسه في حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرْطَيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أمّا بعد ، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تشربه ممّا حُرّم عليك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ،

---

1 ل : يحبسك .

وطُفْ به في حِلَق المسجد وأخبرهم أنّ صاحب شُرَطِك تعدَّى عليه وظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطلَ ذلك عنه ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

وإنِّي امرُؤٌ أُنْمَى إلى أفضلِ الوَرى ... عديداً إذا ارفَضَّتْ عصا المُتحلِّفِ

إلى نَضَدٍ من عبدِ شمس كأنّهم ... هِضابُ أجا أركانُها لم تَقَصَّفِ[1]

ميامينُ يَرْضَوْن الكِفايَة إنْ كُفُوا ... ويَكْفُون ما وُلّوا بغير تكلّفِ

غَطارِفةٌ ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستها حتّى أقرّت لِمُرْدِفِ[2]

فمن يكُ منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَه ... ومن يكُ منهم مُعسِراً يَتَعفَّفِ

وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمى لهم يَبْسُطوا بها ... أكُفّاً سِباطاً نفعُها غيرُ مُقْرَفِ

وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِمْ ... قليلي التشكّي عندها والتكلُّفِ[3]

إذا انصرفوا للحقِّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحيرانُ لم يتصرَّفِ

سَمَوْا فعلَوْا فوقَ البريةِ كلّها ... ببُنْيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشْرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاة وثلاثين لِقحة ممّا يوطِن السَّيالة[4] وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيد مائتي دينار . ثم قدِم بكتاب معاوية إلى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحَدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية . وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بابن سيحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

[ضربه مروان الحدّ فأبطله معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفاريّ قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال : أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْريّ ، هكذا قال وهو غلط ، في شراب في إمارة مروان ، وكان حليفاً لأبي سفيان بن حرب ، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس ، فكتب إلى معاوية يشكوه ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد فإنّك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس الناس ، والله لتُبْطِلَنَّها عنه ، أو لأُقِيدَنّه منك ؛ فقال مروان لابنه عبد الملك : ما تَرى ؟ قال : أرى والله ألاّ تفعل ؛ قال : ويحك ، أنا أعلم

1 النضد : الأعمام والأخوال . كأنهم في ل : كأنّه .

2 الغطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف . سياستها في ل : سياستهم .

3 والتكلّف في ل : والتلهّف .

4 السيالة : أرض بين المدينة ومكّة .

بعَزَمات[1] معاوية منك ، فصعِد المِنبر فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّا كنّا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فاشهدوا أنّي قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطاً ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد ، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام ، وإنّما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبي سفيان بن حرب ، وايْمُ الله لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربته ، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أُخِذ معه : أخاك عبد الرحمن بن الحَكَم ؛ فأبطل مروان عنه الحدّ ؛ فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حِلفه : [من الطويل]

إنّي امرؤٌ عَقْدِي إلى أفضل الورَى عَديدا إذا ارفَضَّتْ عصا المُتَحلِّفِ[2]

وقال الطُّوسيّ : كان عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان ، فلمّا ضربه مروان الحدَّ كتب إليه معاوية : والله لتُبْطلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرب ظهرَه بالسَّوط في السُّوق ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

سَموْتُ بحِلْفي للطِّوالِ مِـن الرُّبـى ولم تَلْقَنِـي قِنّاً لدى مَبْرَك الجُرْبِ
إذا مـا حَليف الذُّلِّ أقْمأَ شخصَه ودَبَّ كما دبَّ الحَسيرُ على نَقْـبِ[3]
وهَصْتُ الحَصى لا أُخْنِسُ الأنفَ قابعاً إذا أنا راخى لي خِناقي بَنـو حَرْبِ[4]

[كان مع سعيد بن عثمان حين قتله غلمانه وهرب عنه]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره قالوا : قدِم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد ، وكان معه عبد الرحمن بن أرطاة بن سيحان حَليفُ بني حرب بن أميّة ، فهرَب عنه لمّا قتلوه ، فقال خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط يرثي سعيد بن عثمان ، وعثمان أخوه لأمّه : [من البسيط]

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتانا وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفَّانا[5]

1 ل : بحماقات .
2 عقدي في ل : أنمي .
3 الحسير : المعيي . نقِب خفّ البعير : حني .
4 وهص الحصى : دقّه . قابع : مستخفّ .
5 ورد هذا البيت في المجلد الأول ، ص 45 . وأبكي في ل : على .

إنّ ابنَ زِينــةَ[1] لم تصدُق مودَّتُــه وفرّ عنــه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك : [من الطويل]

يقول رجالٌ قــد دعاك فلم تُجِبْ وذلك مــن تِلْقاءِ مثلِـك رائعُ[2]
فإن كان نــادى دعوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدي واستَكَّ منّي المسامعُ
وإلاّ فكانتْ بالذي قــال باطلاً ودارتْ عليه الدائــراتُ القوارعُ
يلومونني أن كنتُ في الدارِ حاسراً وقد فــرَّ عنه خالــدٌ وهو دارِعُ

فقال بعض الشعراء يجيبه : [من الطويل]

فإنّــكَ لم تسمَعْ ولكــن رأيتَــه بعينيك إذ مَجْراك في الدارِ واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَــى كُلُومُــه وفارقتَه والصوتُ في الدارِ شائعُ
ومــا كان فيهــا خالــدٌ بمعذِّرٍ سواء عليــه صَمّ أو هــو سامعُ[3]
فــلا زلتُما في غُــلٍّ سَوْءٍ بعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشَّماتِ القَوارعُ

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتل سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهي أن يرثيَه شاعرٌ كما في نفسي حتى أُعطيَه ما يَحْتكِم ؛ فقال ابن سيحان : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ باكيــةً فتــىً فابْكِي هَبِلْتِ على سعيدِ :[4]
فارقــتَ أهلَــكَ بغتــةً وجَلَبْتَ حَتْفَكَ من بعيدِ
أذْرِي دموعَكِ والدِّمــا ءَ على الشَّهيدِ ابن الشهيدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه ، ووصلت ابن سيحان . وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتُها عن عمّي عن الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : جلس ابن سيحان وخالد بن عُقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعاً عليه ، فقال ابن سيحان يرثيه : [من الطويل]

---

1 ابن زينة في ل : ابن زنية .
2 يقول رجالٌ في ل : يقول أناس . مثلك في ل : نفسك .
3 معذِّر : مقصِّر .
4 هبلت : ثكلت .

أَلا إنّ خيرَ الناس إن كُنت سائلاً ... سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ[1]
تداعــت عليــه عُصْبةٌ فارسيّةٌ ... فأَضْحى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي[2]

وقال خالد بن عُقبة : [من الطويل]

ألا إنّ خيرَ النـاس نفساً ووالداً ... سعيدُ بــن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ
بكتْ عينُ مَن لَم يَبْكِهِ وَسْطَ يَثْرِبٍ ... مَدى الدهرِ منه بالدموعِ السَّواجِمِ
فإن تكن الأيّامُ أَرْدتْ صروفُها ... سعيداً ، فمَنْ هـذا عليها بسالِمِ

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عمِّي وأنشدني السُّكَّريّ عن ابن حبيب والطُّوسيّ له : [من الخفيف]

صوت

رحِم اللهُ صاحِبَـيَّ ابنَـي الحـا ... رثِ إذ ينْهَيانِنِـي أن أَبُوحـا
بالتـي تيَّمتْ فـؤادي وأن أُذْ ... رِي دموعي على ردائـي سُفُوحا
في مَغـاني منـازلٍ مـن حبيبٍ ... باشرتْ بعـدَه قِطـاراً وريحـا
ولقـد قلـتُ للفـؤادِ ولكـنْ ... كان قِدْمـاً إلى هـواه جَمُوحـا
قلتُ أقْصِرْ عن بعضِ حُبِّك أرْوى ... إن بعضَ الحِبـابِ كان فُضُوحا
فعصاني ، فليس يسمَـعُ قـولاً ... من حَمـامٍ على الأَراكِ ، جُنُوحا
أُمَّ يحيـــى تقبـَّل اللهُ يحيـــى ... بقَبُــول كما تقَبّـــل نُوحـــا
أُمَّ يحيى لولا طِلابُكِ قـد سِحْـ ... ـتُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحا
ولقـد قلـتُ لا أُحـدِّث سِرّاً ... سِرَّ أُخرى ما دمتُ أمشِي صحيحا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغريض ثقيل أوّل عن الهشاميّ . وفيه لزُرَيق رمل .

قال أبو عمرو : وابنُ سيحان الذي يقول : [من مجزوء الوافر]

ألا هل هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جـاوزْنَ مُطَّلِحا

[جفاه بنو مطيع فذمّهم]

والناس يَرْوونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبتِه على غزل أهل الحجاز جميعاً . وقال أبو عمرو في

---

1 بلا ذحل : بغير ثأر .

2 تداعت في ل : تراغت .

خبره : كان ابن سيحان يحدِّث قال : كنت آلَفُ[1] من قريش أهلَ بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أميّة : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وبني مُطِيع ، فلمّا ضربني مروان الحدَّ جئتُ فجلستُ إلى بني مُطيع كما كنت أجلس ، فلمّا رأوْني عرفتُ الكراهة في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وَسَّعوا لي ، فانصرفتُ ورُحتُ إلى بني عبد الرحمن ، فلمّا رأوْني أقبلوا بوجوههم عليّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا لي ، ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدّثونني ، وقالوا : لعلّك خشعتَ للذي لَحِقَك ، أما والله لقد علم الناس أنّك مظلوم ، وظَلَّموا مروان في فعله ، ورأوْا أنّه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضَرَّك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلاّ خيراً ، ولم يزالوا حتى بسَطُوني ، فقلت أمدحهم وأذمّ بني مطيع : [من الوافر]

لقد حرَّمتُ وُدَّ بني مُطِيع ... حَرامَ الدُّهْنِ للرجلِ الحَرام
وإن جنَفَ الزمانُ مددتُ حبلاً ... مَتِيناً من حبالِ بني هشامِ
رَطِيبٌ عودُهم أبداً وَرِيقٌ ... إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

[لامته امرأته على مبيته خارج المنزل]

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سيحان يُنادِم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيُحَدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت في منزلك وأظنّك قد تزوّجت ، وإلاّ فما مبيتك عن أهلك ! فقال لها : [من البسيط]

لا تَعْذَمِيني نَديماً ماجِداً أَنِفاً ... لا قائلاً قاذِفاً خَلْقاً ببُهْتانِ[2]
أغرَّ راووقُه مَلآنُ صافيةً ... تَنْفي القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ[3]
سَبِيئة من قُرى بَيْروتَ صافية ... عَذْراء أو سُبِئتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لَنَشربُها حتى تميلَ بنا ... كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

[يحثّ ابن عمّه على شرب الخمر]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن سيحان صاحب شراب ، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال

1 ل : كنت أختصّ .
2 لا تعذميني في ل : لن تعذميني .
3 ملآن في ل : صهباء .

له : يا ابن سريع ، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنّك أحمق ، وإن كنت تشربه على أنّه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشربْ أجوَده فإن الوِزْرَ واحد ، ثم قال : [من الطويل]

دَعِ ابنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما مات مرّةً ... وخُذْها سُلافاً حيّةً مُزّةَ الطَعْمِ

تَدَعْكَ على مُلْكِ ابن ساسان قادراً ... إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ

فَشتّان بين الحيّ والمَيْتِ فاعتزمْ ... على مُزّةٍ صَفْراءَ راووقُها يَهْمِي[1]

فإنّ سَرِيعاً كان أوصَى بحبّها ... بَنِيه وعمِّي جاوز اللهُ عن عَمِّي

ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي ... عليها إلى أن غابَ تاليةُ النَّجْمِ

حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ ... تُدار عليهم بالصغير وبالضَّخْمِ

فماتُوا وعاشُوا والمُدامةُ بينهم ... مُشَعْشَعةٌ كالنجمِ تُوصَفُ بالوَهْمِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن سيحان حليف حرب بن أُميّة يُنادِم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، ويشرب معه الخمر ، وهو القائل : [من البسيط]

إصبَحْ نَدِيمكَ من صَهْباء صافيةٍ ... حتى يروحَ كريماً ناعمَ البالِ

واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرةً ... واختَلْ فإنّكَ من قومٍ أُولي خالِ

أنتَ الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ ... أيدي الرجالِ بما تَحْويه من مالِ

لولا رجاؤك قد شَمَّرْتُ مُرتحِلاً ... عَنْساً تُعاقِبُ تَخْويداً بإرْقالِ

لما تَواصَوْا بقتلي قمتُ معتزِماً ... حتى حَمَيْتُ من الأعداءِ أَوْصالِي

عمّ الوليدُ بمعروفٍ عشيرتَه ... والأبعدونَ حَظُوا منه بإفضالِ

[شعره في الوليد وقد حماه من أخواله]

قال : وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بَيِّنة ، فتآمر به القوم ومنع منه ابنُ خالٍ له منهم ؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبِهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه . وهو القائل في الوليد ، وفيه غناء : [من البسيط]

---

1 الشطر الثاني في ل : وبادرْ إلى الصهباء راووقها يهمي .

صوت

بــاتَ الوَلِيدُ يُعاطِينــي مُشَعشَعَةً حتى هَوَيْتُ صَرِيعاً بين أصحابي

في الغناء : بات الكريم يعاطيني .

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به ومــا أُنَهْنَه من حَسْوٍ وتَشْرابِ
حتى إذا الصبحُ لاحتْ لي جوانبُه ولَّيْتُ أسحَبُ نحْـوَ القومِ أثوابي
كأنّني من حُمَيَّا كأسِهِ جَمَلٌ صَحَّتْ قوائمُه من بعد أَوْصاب[1]

ويروى :

كأنّني مــن حُمَيَّا كأسِهِ ظَلِعٌ

الغناء ليَحيى المَكّيّ ، ورُوي : ضَلِعٌ ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وبَذْل . قالت بَذْل : وفيه لحنٌ آخر ليحيى ؛ ولم تذكر طريقته .

[قصّة تبرئه لسعيد بن العاص من الشرب]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو فُهَيرة قال : دخل عبد الرحمن بن أرطاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة ؛ فقال له : ألستَ القائل : [من البسيط]

إنّا لنشربُها حتى تميلَ بنا كما تَمايــل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعاذ الله أن أشربها وأنعتَها ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]

سَمَوْتُ بحِلْفِــي للطِّوالِ مــن الذُّرى ولم تَلْقَنِــي كالنَّسْرِ في ملتقًى جَدْبِ
إذا مــا حَلِيفُ القــومِ أَقْعَى مكانَه ودَبَّ كما يمشي الحَسِيرُ مــن النَّقْبِ
وَهَصْتُ الحَصى لا أرهبُ الضيمَ قائما إذا أنا راخى لي خِناقــي بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه بين الصفّيْن حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتيْ سوط كان خيراً له ؛ فقال : يا بنيّ ، أضربهُ وهو حليفُ حرب بن أُميّة ومعاوية خليفةٌ بالشام ! إذاً لا يرضى ؛ فلمّا حجّ معاوية لقيه بمنًى ؛ فقال : إيهٍ يا سعيد ؛ أمرَكَ أحمقُك بأن تضرب حليفي مائتيْ سوط ؛ أما والله لو جَلَدْتَه سوطاً لجلَدْتُك سوطَين ؟ فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِد أنت حليفك عمر بن جَبَلة ؛ فقال له معاوية : هو لَحمِي آكلُه ولا أُوكِلُه[2] . قال : وكان ابن سيحان قد قال : [من البسيط]

---

1 جمل في ل : خبل .

2 في المثل : هو لحمي آكله ولا أدعه لآكل .

لا يَعْدَمَنّي نديمي ماجِداً أنِفاً لا قائـلاً خالطاً زوراً ببُهْتانِ
أُمْسي أُعاطِيه كأساً لذّ مَشْرَبُها كالمسك حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيحانِ
سبيئةً من قُرى بَيْرُوت صافيةً أو التي سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لَنَشربُها حتـى تَمِيلَ بنـا كما تَمايـل وَسْنـانِ بَوْسنانِ

انقضت أخباره .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[صوت من المائة المختارة]

[من الخفيف]

يـا خليليّ هَجِّرا كَـيْ تَرُوحا هِجْتمـا للرَّواح قَلْبـاً قريحا
إنْ تُريغا[1] لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدى تَجِداني بِسِرّ سُعْدى شَحِيحا
إنّ سُعدى لَمُنْيةُ المُتَمنِّـي جَمَعتْ عِفّة ووَجْهاً صَبيحا
كلّمتني وذاك مـا نِلتُ منها إنّ سُعْدى ترى الكلامَ رَبيحا[2]

الشعر لابن ميّادة . والغناء لحُنَين ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لدَحمان لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وأظنّه هذا ، وأنّ عَمْراً غَلِط في نسبته إلى دحمان .

1 تريغان : تريدان ، تحاولان .
2 ربيحا : جالباً للربح .

[15] ـ أخبار ابن ميّادة ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه الرَّمَّاح بن أَبرد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْمَلة ، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه . وقال ابن الكلبيّ : ثَوْبان بن سُراقة بن سلمى بن ظالمٍ ويقال سُراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن زيد بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر . وأُمُّه ميّادة أم ولَدٍ بربريّة ، ورُوِي أنّها كانت صقلبيّة[2] . ويكنى أبا شُرَحْبِيل ، وقيل بل يُكنى أبا شَراحيل .

[كان يزعم أنّ أمّه فارسيّة]

وكان ابن ميّادة يزعم أنّ أمّه فارسيّة ؛ وذكرَ ذلك في شعره فقال[3] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي سلمى وَجَـدِّيَ ظالمٌ ... وأُمِّي حَصانٌ أخلصتْها الأعاجمُ[4]

أليس غـلامٌ بـين كسرى وظالمٍ ... بأكرمِ مَـن نِيطتْ عليـه التمائمُ

[كذّبه موسى بن سيار في أنّ أمّه فارسية]

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير الفَزاريّ قال أخبرني موسى بن سيّار بن نَجِيح المُزَنيّ قال : أنشدني ابن ميّادة أبياته التي يقول فيها : [من الطويل]

أليسَ غلامٌ بين كِسرى وظالمٍ ... بأكرم من نِيطَتْ عليه التمائمُ

فقلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجعة ، فهلاَّ غَرَّبتَ (يريد أنّها صَقَلَبِيَّة ومحلها بناحية المغرب) فقال : إي بأبي أنتَ ، إنّه مَن جاع انتجع ، فدَعْها تَسِرْ في الناس فإنّه «مَن يَسْمَع يَخَلْ»[5] .

---

1 في ترجمة ابن ميّادة انظر : من نسب إلى أمّه لابن حبيب في نوادر المخطوطات 1 : 91 (رقم : 27) والشعر والشعراء وأنساب الأشراف للبلاذري (خ) . وطبقات ابن المعتزّ 106–109 وشرح أمالي القالي للبكري وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (خ) (مصوّرة 6 : 79) . ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 1309–1311.

2 صقلبية : من الأقوام السلافية واللفظة تعريب للأصل .

3 شعر ابن ميّادة : 227 وخزانة الأدب 1 : 77 .

4 أخلصتها في ل : حصنتها .

5 من يسمع يخل : هو مثل يعني أنّ من يسمع أخبار الناس قد يصدّقها .

[ردّ عليه الحَكَم الخضري فخره وهجاه]

قال الزبير قال ابن مسلمة : ولمّا قال ابن ميّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِيّ يرُدّ عليه : [من الطويل]

وما لكَ فيهم من أبٍ ذي دسِيعةٍ ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَناتُ الكرائمُ
وما أنتَ إلاّ عبدُهــم إن تُرِبْهُمُ مِنَ الدهرِ يومــاً تَسْتَرِبْكَ المقاسِمُ
رَمى نَهْبَلٌ في فَــرْجِ أُمِّــكَ رَمْيَةً بِحَوقاءَ تَسْقِيها العُـرُوق الثَّواجمُ

قال أبو مسلمة : ونَهْبَل عبدٌ لبني مُرّة كانت ميّادة تزوَّجتْه بعد سيِّدها ، وكانت صَقلبيَّة .

[شاعر مخضرم]

وابن ميّادة شاعرٌ فصيحٌ مقدَّمٌ مخضرم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة[1] ، وقَرَنَ به عُمَر بن لَجأ والقُحَيف العُقَيليّ والعُجَير السَّلُوليّ .

[يقول لأمّه اصبري على الهجو]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان ابنُ مَيّادة عِرِّيضاً للشرّ ، طالباً مُهاجاةَ الشعراء ومُسابَّةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنْب أمّه ويقول : [من الرجز]

اعْرَنْزِمِي مَيّـادَ للقوافي[2]

أي إنّي سأهجو الناس فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي هفّان بهذه الحكاية مِثله ، وزاد فيها : [من الرجز]

اعْرَنْزِمــي مَيَّـادَ للقوافِــي واسْتَسْمِعيهـنّ ولا تَخافِـي
سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ[3]

[استنشد امرأة أمام أمّه عمّا قيل في هجوها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا داود بن عُلَّفَة الأَسديّ قال : جاورتِ امرأةٌ من الخُضر : (رهط الحَكَم الخُضْريِّ) أبيات ابن ميّادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رحىً وثِفالاً لتَطحَن ، فأعاروها إيّاهما ؛ فقال لها ابن ميّادة : يا أختَ الخُضر ، أَتَروين شيئاً ممّا قاله الحَكَمُ الخُضْريّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أُمُّه ، فجعلتْ تأبى ، فلم يزل

---

1 كذا قال أبو الفرج ، ولم يرد ذكر لابن ميّادة في طبقات ابن سلام .
2 اعرنزمي : اشتدّي .
3 ذا قذافٍ : ذا مراماة .

بها حتى أنشدته : [من الطويل]

أَمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ ابن ظالم ... بِبَظْرِك حتى عـاد أَثْلَمَ باليا

قال : وميّادة جالسةٌ تسمع . فضحِك الرمَّاح ، وثارت ميّادة إليها بالعَمود تَضرِبها به وتقول : أَيْ زانية ؛ هَيا زانية ! أَإِيّايَ تَعْنِين ؟ وقام ابن ميّادة يخلِّصها ، فَبَعْد لأْيٍ ما أَنقذَها ، وقد انتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

[في صحبته شماطيط إيّاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو حَرملة منظور بن أبي عديّ الفزاريّ قال حدّثني شَماطِيط ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

أنا شَماطِيطُ الذي حُدِّثتَ بِهْ ... متـى أُنبَّـهْ للغَـداء أَنْتَبِهْ

حتى يُقال شَرِهٌ ولستُ بِهْ

قال : كنـتُ جالساً مـع ابن ميّـادة فـورَدَت عليـه أبيات للحَكَم الخُضريّ يقـول فيهـا : [من الطويل]

أَأَنتَ ابن أَشبانِيّةٍ أَدْلَجَتْ به ... إلى اللؤم مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها[1]

أشبانية : صَقْلَبِيّة ، قال : وأمّه ميّادة تسمع فضرب جَنبها وقال : [من الرجز]

اعْرَنْزِمِـي مَيَّـادَ للقوافِي

فقالت : هذه جنايتك يا ابن مَن خَبُثَ وشَرَّ ، وأهوتْ إلى عصاً تريد ضربه بها ؛ ففرَّ منها وهو يقول :

يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقا

فصِحْتُ به : أيـُّهما المعنيّ ؟ فقال : أَضْرَعُهما خَدَّين وأَلأَمُهما جَدَّين ؛ فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهي إذاً مَيّادة ، وخرجتُ أعدو في أثر الرَّمّاح ، وتبِعَتنا تَرمينا بالحجارة وتَفتَري علينا حتى فُتناها .

[أصل أمّه ميادة]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو داود الفزاريّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثَوْبان بن سُراقة فأقبلوا بها من الشام ، فلمّا قدِموا وصبَّحوا بها المُلَيحة (وهي ماءة لبني سلمى ورَحْلِ بن ظالم بن جَذِيمة) نَظَرَ رجلٌ من بني سلمى إليها وهي ناعسة تَمايَلُ على بعيرها ،

1 المقلات : المرأة ليس لها إلاّ ولد واحد .

فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثوبان ؛ فقال : وأبيكم إنّها لمَيّادة تميدُ وتميل على بعيرها ، فغلب عليها «ميّادة» . وكان أبردُ ضِلَّةً من الضلل[1] ورِثَّةً من الرِّثَث[2] جلفاً لا تَخلُص إحدى يديه من الأُخرى ، يَرعى على إخوته وأهله ، وكانت إخوتـه كلّهم ظُرفاء غيره . فأرسلوا ميّادة ترعى الإبل معه فوقع عليها ، فلم يشعروا بها إلاّ حُبْلى قد أَقعَسها بطنها[3] ، فقالوا لها : لَمن ما في بطنك ؟ قالت : لأَبرد ، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم ، حتى رمت بالرَّمَّاح فرأَوْا غلاماً فَدْغَماً نَجيباً ، فأقرّ به أَبرد . وقالت بنو سلمى : ويلكم يا بني ثوبان ! ابتطِنوه فلعلّه يُنجِب ؛ فقالوا : والله ما له غير ميّادة ، فبنَوا لها بيتاً وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرمّاح بثوبان وخليل وبَشير بني أبرد ، وكانت أوَّل نسائه وآخرهنّ ، وكانت امرأة صِدق ، ما رُميت بشيء ولا سُبّت إلاّ بنهبل .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

قال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ في هجائه ابن ميّادة : [من الطويل]

لعَمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ ... لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها

ولم تدرِ حمراءُ العِجان أنَهْبَلٌ ... أبـوه أمِ المُــرِّيّ تَبَّ تَبابُها

[هجا بني مازن فردّ عليه رجل منهم]

قال أبو داود : وكان ابن ميّادة هجا بني مازن وفَزارة بن ذُبيان ، وذلك أنّهم ظلموا بني الصارد ، والصارد من مُرّة ، فأخذوا مالَهم[4] وغلبوهم عليه حتّى الساعة ؛ فقال ابن ميّادة[5] : [من الكامل]

فلأُورِدَنّ عــلى جماعـةِ مـازنٍ ... خَيْـلا مُقلِّصـةَ الخُصى ورجالا

ظلّوا بــذي أُرُكٍ كأنّ رؤوسهم ... شجَـرٌ تخطّـــاه الربيـع فحالا[6]

فقال رجل من بني مازن يردّ عليه :

يا ابن الخبيثة يا ابن طَلّـةِ نَهْبَلٍ ... هلاّ جمَعـتَ كما زعمتَ رجـالا

---

1 ضلّة : امرؤ لا خير فيه ، وقد تقرأ «صلة» بالصاد المهملة .

2 الرثث : سفلة الناس .

3 أقعسها : جعلها قعساء وهي التي تكون ناتئة الصدر .

4 ل : فأخذوا ماءً لهم .

5 شعر ابن ميّادة : 198 (عن الأغاني) .

6 ذو أرك : واد باليمامة .

أبَظْرِ مَيْـدَة أم بخُصْيَيْ نَهْبَلٍ أم بالفُساةِ تُنـازِلُ الأبطـالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ تبغِـي القتـالَ لتَلْقَيَنّ قِتـالا

[يفتخر بأمّه وأبيه]

قال : وبنو مُرّة يُسمَّون الفُساة لكثرة امتيارهم التمر ، وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبر فلُقّبوا بذلك لأكلهم التمر . وقال يحيى بن عليّ في خبره ، ولم يذكره عن أحد : وقال ابن ميّادة يفتخر بأمّه[1] : [من الرجز]

أنا ابن مَيّـادةَ تَهْـوي نُجُبي صَلْتُ الجبـينِ حَسَنٌ مُرَكَّبي
ترفَعنـي أمّـي وينمينـي أبي فوق السحابِ ودُوَيْنَ الكوكبِ

[يفخر بأبيه في العرب وبأمّه في العجم]

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفَزاريّ : إنّ ابن ميّادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم[2] : [من الطويل]

أليس غلامٌ بين كِسرى وظالم بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ
لَوَ انّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعةٍ وجئتُ بجَدّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّتْ رقابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجماجمِ

[سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ابن ميّادة واقفاً في الموسم يُنشِد : [من الطويل]

لو انّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده . قال : والفرزدق واقفٌ عليه في جماعة وهو مُتلثّم ، فلمّا سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يا ابن أَبْرَد صاحب هذه الصفة ؟ كذَبتَ والله وكذَب مَن سمع ذلك منك فلم يُكذّبك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فِراس ؛ فقال : أنا والله أولى بهما منك ، ثم أقبل على راويته فقال : اضممهما إليك : [من الطويل]

لَوَ انّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ وجئتُ بجَدّي دارِمٍ وابن دارمِ
لَظلّتْ رِقابُ النّاسِ خاضِعَةً لنا سُجوداً على أَقدامِنا بالجَماجِمِ

---

1 شعر ابن ميّادة : 70 .
2 شعر ابن ميادة : 227 .

قال : فأطرق ابن ميّادة فما أجابه بحرف ، ومضى الفرزدق فانتحلهما .

[كان له أخوان شاعران]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي داود قال : أمُّ بني ثوبان ، وهم أبرد أبو ابن ميّادة والعوثبان وقريض وناعضة ، وكان العوثبان وقريض شاعرين ، أمّهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سُلمى .

[مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير]

ويقال : إنّ الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدِّهم زهير . قال إسحاق في خبره هذا : وحدّثني حُمَيد بن الحارث أنّ عُقبة بن كعب بن زهير نزل المُلَيحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيراً ، وبلغ ابن ميّادة أنّ عقبة قال في ذلك شعراً ، فقال ابن ميّادة يردّ عليه[1] : [من الكامل]

ولقد حلفتُ بربِّ مكّةَ صادقاً ... لــولا قرابــةُ نِسْوةٍ بالحاجرِ
لكسوتُ عُقْبةَ كُسْوةً مشهورةً ... تَرِدُ المَناهِلَ مــن كــلامٍ عائرِ

وهي قصيدة ؛ فقال له عُقبة : [من الوافر]

أَلَوْما أنّني أصبحتُ خــالاً ... وذكــرُ الخال ينقُص أو يزيدُ
لقــد قلَّدتُ من سَلْمى رجالا ... عليهم مَسْحَـةٌ وهُــمُ العبيدُ

فقال ابن ميّادة[2] : [من الوافر]

إن تَــكُ خالنا فقُبِحْتَ خالاً ... فأنت الخــالُ تنقُص لا تزيدُ[3]
فيومــاً في مُزَينة أنت حُرٌّ ... ويومــاً أنــت مَحْتِدُك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يَلْقــى هَوانــاً ... ويؤكلَ مالُــه العبــدُ الطَّرِيدُ[4]

[أوصاف ابن ميّادة]

قال إسحاق فحدّثني عجرمة[5] قال : كان ابن ميّادة أحمر سَبْطاً[6] عظيم الخَلْق طويلَ اللِّحية ، وكان لَبَّاساً عَطِراً ، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطيب عَرفاً منه .

---

1 شعر ابن ميّادة : 157 .
2 شعر ابن ميّادة : 108 .
3 فقبحت في ل : قبحت .
4 يلقى في ل : يلقوا .
5 ل : عكرمة .
6 سبطاً : طويلاً حسن الاستواء .

[مقارنة بينه وبين النابغة]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود قال : سمعت شيخاً عالماً من غَطَفان يقول : إن كان الرَّمَّاح لأشعر غطَفان في الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقَيْس ، وكان النابغة إنّما يَهْذِي باليمن مضلّلاً حتى مات .

[كثير السقط في شعره]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود أنّ بني ذُبيان تزعمُ أنّ الرَّمَّاح بن مَيَّادة كان آخرَ الشعراء . قال إسحاق : وحدّثني أبو صالح الفَزاريّ أنّ القاسم بن جُندَب الفَزاريّ ، وكان عالماً ، قال لابن ميّادة : والله لو أصلحت شعرَك لذُكِرتَ به ، فإنّي لأراه كثير السَّقَط ؛ فقال له ابن ميّادة : يا ابن جُندَب ، إنّما الشعر كنَبْلٍ في جَفيرِك[1] ترمي به الغرض ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ[2] وقاصد .

[كان في أيّام هشام وبقي إلى خلافة المنصور]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : كان ابن ميّادة حديث العهد لم يُدرك زمان قُتيبة بن مسلم ، ولا دخل فيمن عَناه حين قال : «أشعرُ قيسٍ الملقَّبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان» ، ولكنه شاعر مُجِيد كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور .

[مدح بني أمية وبني هاشم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : كان ابن ميّادة فصيحاً يُحتجُّ بشعره ، وقد مدح بني أميّة وبني هاشم : مدح من بني أميّة الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان .

[علم أنّه شاعر حين وافق الحطيئة في بيت قاله]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال أخبرني طمَّاح ابن أخي الرَّمَّاح بن ميّادة قال : قال لي عمّي الرَّمَّاح : ما علمتُ أنّي شاعرٌ حتى واطأت[3] الحطيئة ، فإنّه قال : [من الطويل]

عفا مُسْحُلان من سُلَيْمى فحامِرُهْ تَمَشَّى بـه ظِلْمانُـه وجـآذِرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويتُه فواطأته بطبعي فقلت : [من الطويل]

---

1 الجفير : جعبة السهام .

2 عاصد : حائد عن الهدف .

3 واطأ : وافق .

فذو العُشّ والممدورُ أصبحَ قاوِيـاً   تَمَشَّى بـــه ظُـلْمانُــهُ وجآذِرُهْ[1]

فلمّا أنشدتُها قيل لي : قد قال الحطيئة :

تَمَشَّى به ظلمانُــه وجآذرهْ

فعلمتُ أنّي شاعرٌ حينئذٍ .

[كان ينسب بأمّ جحدر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني موسى بن زهير بن مُضَرِّس قال : كان الرماح بن أَبرَد المعروف بابن ميّادة يَنْسُب بأم جحدر بنت حسّان المُرِّيّة إحدى نساء بني جذيمة ، فحلف أبوها ليُخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد ؛ فقَدِم عليه رجلٌ من الشام فزوّجه إيّاها ؛ فلقي عليها ابن ميّادة شدّة ، فرأيته وما لقي عليها ، فأتاها نساؤها يَنظُرْن إليها عند خروج الشاميّ بها . قال : فوالله ما ذَكرْنَ منها جمالاً بارعاً ولا حُسْناً مشهوراً ، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لعجب . فلمّا خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول[2] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمّ جَحْدَر   سبيلٌ فأمّا الصبرُ عنها فـلا صَبْرا

إذا نزلت بصْرى تراخى مَزارُها   وأغلَق بَوّابانِ مِــن دُونها قَصْرا[3]

فهل تأتيني الريحُ تَــدْرُجُ مَوْهِناً   بريّاكِ تَعْرَوْري بهــا جَرَعاً عُفْرا

قال الزبير : وزادني عمّي مُصعب فيها :

فلــو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمَّ جَحْدَرٍ   إليّ لقد أَوْجَبتُ في عُنُقي نَذْرا[4]

ألا لا تَلُطِّي السِّتْرَ يـا أمّ جَحْدَرٍ   كَفى بذُرا الأعلام مِنْ دُوننا سِتْرا[5]

لَعمري لئن أَمْسَيتِ يا أمّ جَحْدَرٍ   نأيتِ لقد أبليتُ في طلبٍ عُذْرا

فَبَهْراً لقومــي إذ يبيعون مُهْجتي   بغانيةٍ بَهْــراً لهــم بعدَهــا بَهْرا[6]

قال الزبير : بَهْراً هاهنا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهرهم ، كما تقول :

---

1 ذو العش : من أودية العقيق ؛ الممدور : اسم موضع في ديار غطفان . القاوي : المقفر .

2 شعر ابن ميادة : 134 (مع اختلاف في الترتيب) وانظر فرحة الأديب 67 ، 68– 70 .

3 الشطر الأول في شعر ابن ميادة : إذا جاوزت بصرى تقطّع وصلها .

4 أوجبت في شعر ابن ميادة : أوذمت .

5 لطّ الستر : أرخاه .

6 شعر ابن ميادة : تفاقد قومي . . .

جَذْعاً وعَقْرا . وفي أوّل هذه القصيدة ، على ما رواه يحيى بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث ، يقول : [من الطويل]

ألا لا تَعُدْ لِي لَوْعَــةٌ مثلُ لَوْعَتِي عليكِ بأَدْمى والهوى يَرجعُ الذِّكْرا
عَشِيَّةَ أَلْوِي بالـرِّداءِ على الحَشا كأنّ رِدائـي مُشْعَلٌ دونَـه جَمْرا

[تزوّج أمّ جحدر وشعر ابن ميادة في ذلك]

قال حُميد بن الحارث : وأُمّ جحدر امرأة من بني رَحل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرّة .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النّعاميّ : أنّ أمّ جحدر كانت امرأة من بني مرّة ثم من بني رحل ، وأنّ أباها بلغه مصير ابن ميّادة إليها ، فحلف ليزوّجنّها رجلاً من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلاً من أهل الشام فاهتداها[1] وخرج بها إلى الشام ، فتبعها ابن ميّادة حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً لا يتكلّم من الوجد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها : [من الطويل]

خَلِيـلِيَّ مـن أَبْناء عُـذْرَة بَلِّغـا رسائـلَ منّـا لا تَزيـدكما وِقْرا[2]
أَلِمّا عـلى تَيْمـاءَ نَسْأَلْ يَهُودَها فإنّ لدى تيماءَ مـن رَكْبها خُبْرا
وبالغَمْر قـد جازتْ وجازَ مَطِيُّها عليه فسَلْ عن ذاك نَيَّانَ فالغَمْرا[3]
ويا ليتَ شِعْرِي هـل يَحُلّنّ أَهلُها وأَهلُكَ رَوْضاتٍ ببَطْن اللِّوى خُضْرا

[قصّة عشقه لها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني أبو سعيد (يعني عبد الله بن شبيب) قال حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرِّياحِيّ العُذْريّ قال حدّثني عمر بن وَهْب العَبْسيّ قال حدّثني زياد بن عثمان الغَطَفانيّ من بني عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[4] من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابيّ يقول : يا معشر العرب ، أما منكم[5] رجلٌ يأتيني أعلِّله إذ غَرِضنا

1 اهتداها : تزوّجها .
2 أبناء في ل : أفناء .
3 الشطر الثاني في ل : فأسقى الغوادي بطن تبان فالغمرا .
4 غرضنا : سئمنا .
5 ل : أما فيكم .

من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جَحدر وعنّي ؟ فجئتُ إليه فقلت : مَن أنت ؟ فقال : أنا الرَّمَّاح بن أَبْرد ، قلت : فأخبرني ببدء أمركما ؛ قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني وبينها خُلّة ، ثم إنّي عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتها فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليكِ مردود ؛ فقالت : ما قضى الله فهو خير . فلبثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجعةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جحدر لآتينّها ولأَطلبنّ إليها أن تردَّ الوَصْلَ بيني وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبداً ؛ ولم يكن يومان حتى رجعوا ، فلمّا أصبحتُ غَدَوتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سند[1] أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كِساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلَّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأُخرى ؛ فقالت : ما جاء بك يا رمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلاّ أنّه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إنّي جعلتُ عليّ نَذْراً لئن دَنَتْ بأمّ جحدر دارٌ لآتينّها ولأَطلبنّ منها أن ترُدّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لا نَقَضْتُه أبداً ، وإذا التي تكلّمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أمّ جحدر ؛ فقالت امرأة أخيها : فادخُل مقدَّم البيت فدخلت ، وجاءت فدخَلَت من مؤخّره فدَنَت قليلاً ، ثم إذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غرابٌ فنَعَبَ على رأس الأبرق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيَّر وجهها ؛ فقلت : ما شأنكِ ؟ قالت : لا شيء ؛ قلت : بالله إلاّ أَخبرتني ؛ قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلاّ ببلد غيرِ هذا البلد ؛ فتقبَّضَت نفسي ، ثم قلت : جاريةٌ والله ما هي في بيت عِيافة ولا قِيافة ، فأقمتُ عندها ، ثم تروّحتُ إلى أهلي فمكثتُ عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها ، فقالت لي امرأة أخيها : ويحك يا رمّاح ؛ أين تذهب ؟ فقلت : إليكم ؛ فقالت : وما تريد ؟ قد والله زُوِّجَت أمُّ جحدر البارحة ، فقلت : بمَن ويحكِ ؟ قالت : برجل من أهل الشام من أهل بيتها ، جاءهم من الشام فخطبها فزُوِّجَها وقد حُمِلت إليه ، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرادقاتٍ ، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أيّاماً ، ثم إنّه احتملها فذهب بها فقلتُ[2] : [من الطويل]

أجارتَنــا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... علينــا وبعضَ الآمنين تُصيبُ
أُجارَتَنــا لَسْتُ الغَداةَ ببارحٍ ... ولكنْ مُقيمٌ مـا أقـامَ عَسيبُ
فإن تسأليني هل صَبَرْتَ فإنّني ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَليبُ

---

1 السند : ما ارتفع من قبل الوادي .

2 لعلّ هذا وهم ؛ إذ لم يكن ابن ميّادة يهتدم أشعار غيره .

قال عليّ بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابن ميّادة فأخذها بأعيانها ، أمّا البيتان الأوّلان فهما لامرىء القيس قالهما لَمّا احْتُضِر بأنْقِرَةَ في بيتٍ واحد وهو : [من الطويل]

أجارتنـــا إنّ الخطوبَ تَنُوبُ وإنّي مُقِيمٌ مـا أقـامَ عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر[1] من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميّادة نقلاً . ونرجع إلى باقي شعر ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

جَرَى بانْبتاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحدَرٍ ظبـاءٌ وطيرٌ بالفِـراق نَعُـوبُ
نظرتُ فلم أَعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ لهـا الطيرُ قبلِـي واللبيـبُ لبيبُ
فقالت حـــرامٌ أن نُرى بعـد هذه جميعَيْـــنِ إلاّ أن يُلِـمَّ غريبُ
أجارتَنـا صبراً فيـا رُبَّ هالكٍ تَقَطَّعُ مـن وَجْـدٍ عليـه قلوبُ

[رحل إلى الشام لرؤيتها فردّته]

قال : ثم انحدرتُ في طلبها ، وطَمِعتُ في كلمتها : «إلاّ أن نجتمع في بلد غير هذا البلد» . قال : فجئت فدُرْتُ الشام زماناً فتلقّاني زوجُها فقال : ما لك لا تغسِل ثيابك هذه ؟ أرسلْ بها إلى الدار تُغسَل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إنّي وقفت أنتظر خروجَ الجارية بالثياب ، فقالت أمُّ جحدر لجاريتها : إذا جاء فأعلِميني ؛ فلمّا جئتُ إذا أمُّ جحدر وراء الباب فقالت : ويحك يا رمّاح ؛ قد كنتُ أحسَب أنّ لك عقلاً ؛ أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسُنا عنه ؟ انصرف إلى عشيرتك فإنّي أستحيي لك من هذا المُقام ؛ فانصرفتُ وأنا أقول[3] : [من الطويل]

صوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ويجمعَنـا مـن نَخْلَتَيْن طَرِيـقُ
وتَصْطَـكَّ أعضـادُ المَطِيِّ وبينَنا حديـثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفِيـقِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشاميّ أنّه للحَجَبِيّ .

وقال حين خرج إلى الشام ، هذه رواية ابن شبيب[4] : [من الطويل]

---

1 ل : لرجلٍ .
2 لم ترد هذه الأبيات في ما جمع من شعره .
3 شعر ابن ميّادة : 175 .
4 ل : حبيب .

ألا حيِّيا رَسْماً بـذي العُشِّ مُقْفِرا وربعاً بذي المَمْدُورِ مستعجِماً قَفْرا
فأعجبُ دارٍ دارُهـا غيرَ أنّني إذا مـا أتيتُ الدار تَرْجِعُني صِفْرا
عشيةَ أُثْنِـي بـالرِّداء على الحَشى كأنّ الحَشى من دُونِه أُسْعِرَتْ جَمْرا
يَمِيلُ بنا شَحْطُ النَّوى ثـم نلتقي عِدادَ الثُّريَّـا صادفتْ ليلَـةً بَدْرا
وبالغَمْرِ قـد جازتْ وجاز مطيُّها فأسْقى الغَوادِي بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرا
خَلِيليّ مـن غَـيْظِ بن مُـرَّةَ بلِّغـا رسائـلَ منِّـي لا تَزِيدكُمـا وِقْرا
ألا ليت شعري هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ ، فأمّا الصبرُ عنها فلا صَبْرا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعـاً أمَّ جَحْدَرٍ عليّ لقـد أَوْذَمتُ في عُنُقي نَذْرا[1]
وإنّي لاستنشي الحديثَ من آجْلِها لأسمعَ منهـا وهـي نازِحةٌ ذِكْرا
وإنّي لأستحيي مـن اللهِ أن أُرى إذا غـدَر الخُلاَّنُ أنوِي لها غَدْرا

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمَّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميّادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ أنّ الصارِديَّـةَ جاورتْ ليـاليَ بالمَمْـدور غيرَ كَثِيرِ[2]
ثلاثـاً فلمّـا أن أصابتْ فـؤادَه بسَهْمَيْن من كُحْلٍ دعَتْ بهَجِيرِ
بأَصْهَبَ يَرْمِـي للزِّمـام برأسِه كأنّ على ذِفْـراه نَضْـخَ عَبِيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهلِ نجدٍ حميدةً جَـلاءَ غنـيٍّ لا جـلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ عَذِيرَكَ مـن ذي شَيْبَةٍ وعَذِيري
عَدِمتُ الهوى ما يَبْرَح الدهرَ مُقْصِداً لقلبـي بسَهْمٍ في اليديـن طَرِيرِ[3]
وقـد كان قلبي ماتَ للوَجْدِ مَوْتةً فقد هَـمَّ قلبـي بعدَهـا بنُشُورِ

قال : فقلت لأبي داود : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابن ميّادة ، والله ما جُليت إلاّ على حمار وهو يذكر بعيراً ويَصِفُه وأنّها جُليت جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ ، فأنطقه الشيطان بهذا كلِّه كما سمعت .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدّثني موسى بن زهير قال : مكثتْ أمُّ

1 أوذمت في ل : أوجبت .
2 الصارديّة : نسبة إلى بني صارد وهم حي من مرّة .
3 مقصد : مصيب . السهم الطرير : المحدّد .

جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجُها عنها ومات ولدُها منه ، فقدِمتْ نجداً على إخوتها وقد مات أبوها .

[قص على سيار خبره معها حتى تزوّجت]

أخبرني سَيَّار بن نجيح المُزَنيّ قال : لقيتُ ابن ميّادة وهو يبكي فقلت له : ويحك ؛ ما لك ؟ قال : أخرجتْني أمُّ جحدر وآلتْ يميناً ألاّ تكلّمني ، فانطلِقْ فاشفعْ لي عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشيتُ رِواقَ بيتها فوجدتُها وهي تَدمُك جريراً لها بين الصَّلايةِ والمُدُقّ تريد أن تَخْطِم به بعيراً تَحُجّ عليه ؛ فقالت : إن كنتَ جئتَ شَفِيعاً لابن مَيَّادة فبيتي حرامٌ عليك أن تُلْقِي فيه قدمَك . قال : فحجّتْ ، ولا والله ما كلّمته ولا رآها ولا رأته . قال موسى قال سَيَّار : فقلت له : اذكرْ لي يوماً رأيتَه منها ؛ فقال لي : أمَا والله لأخبرنّك يا سَيَّار بذلك : بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلت : هل تَرَيْنَ من رجالٍ ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيتُ من رجل ؛ فألقيتُ رَحلي على ناقتي ثم أرسلتُها حتى أنَخْتُها بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة ، فما كان إلاّ ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لي فراشاً مرقوماً مطموماً ، وطرحتْ لي وسادتين على عجُز الفِراش وأخريين على مقدّمه ؛ قال : ثم تحدّثنا ساعةً وكأنّما تُلْعِقُني بحديثها الرُّبَّ[1] من حلاوته ، ثم إذا هي تَصُبُّ في عُسٍّ مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح ، فأخذتُ منها ذلك العُسَّ وكأنّه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيْتُ أنّه معي حتى قالت لي عجوز : ألا تصلّي يا ابن ميّادة لا صلّى الله عليك فقد أظلّك صَدْر النهار[2] ! ولا أحسَب إلاّ أنّني في أوّل البُكرة ؛ قال : فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها ، وهو أظرف ما كان بيني وبينها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني حكيم بن طلحة الفزاريّ ثم المنظوريّ قال : قال ابن ميّادة : إنّي لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بي من الدهر ؛ قيل له : وأيُّ يوم هو يا أبا الشُّرَحْبِيل ؟ قال : يومٌ جئتُ فيه أمَّ جحدرٍ باكراً فجلستُ بفِناء بيتها فدعتْ لي بعُسٍّ من لبن فأُتيتُ به وهي تحدّثني ، فوضعتُه على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتَتْني صلاةُ الظهر وما سربت .

قال الزبير : وحدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره : وقال ابن ميّادة فيها أيضاً[3] :

---

1 ل : الزبد .

2 ل : الرجال .

3 شعره : 149-150 عن الأغاني .

أَلَمْ تَــرَ أنّ الصارِدِيَّــةَ جاورتْ ... ليــــاليَ بالمَمْــدُورِ غيــرَ كثيرِ
ثلاثــاً فلمّــا أن أصابتْ فؤادَه ... بسهمين من كُحل دعتْ بهَجيرِ
بأَحْمـرَ ذَيَّالِ العَسيبِ مفــرَّجٍ ... كأنّ على ذِفْــراه نَضْـخَ عَبيرِ[1]
حلفْتُ بــربٍّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... زَفيفَ القَطا يقطعْنَ بطــنَ هَبيرِ
لقــد كاد حبُّ الصارِدِيَّةِ بعدما ... عــلا في سَوادِ الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ
يكــون سَفاهاً أو يكونُ ضمانة ... على مــا مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً ... لقلبي بسهــمٍ في الفــؤادِ طَرِيرِ
وقد كان قلبي ماتَ للحبِّ موتةً ... فقد هَــمَّ قلبــي بعدهــا بنشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجْد حميدةً ... جــلاءَ غنــيٍّ لا جــلاءَ فقيرِ

ومّما يغنّى فيه من أشعار ابن ميّادة في النسيب بأمّ جحدرٍ [قوله][2] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا لَقَوْمِي لِلهوى والتذكُّرِ ... وعينٍ قَذى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ
فلَمْ تَـرَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ ... ولا كضلوعٍ فَوقَــه لم تُكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع شعره]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا حَكِيم بن طَلْحة الفَزاريّ عن رجل من كَلْب قال : جنيْتُ جنايةً فغرِمتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّة فاستعنتُهم فأعانُونِي ، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أحدَ بني سلمى بن ظالِم فأعانني ، ثم قال : انهضْ بنا إلى الرمَّاح بن أَبْرَدَ ، يعني ابن ميّادة ، حتى يُعِينَك ، فدَفعْنا إلى بيتين له ، فسألنا عنه فقيل : ذهبَ أمس ؛ فقال سَيَّار : ذهب إلى أَمَةٍ لبني سُهيل ، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قَرارةٍ[3] بيضاء بين حَرَّتين ، وفي القَرارة غَنَمٌ من الضأن سُودٌ وبيضٌ ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها ، فجلسْنا فإذا شابّة حلوة صفراء في دُرَّاعةٍ مُوَرَّسَةٍ ، فسلَّمْنا وجلسْنا ؛ فقال : أَنْشدِيهم ممّا قلتُ فيكِ شيئاً ؛ فأنشدتْنا[4] : [من الطويل]

1 تقدّم هذا البيت برواية أُخرى .
2 شعر ابن ميادة : 156 .
3 القرارة : المطمئن من الأرض .
4 شعر ابن ميادة : 204 .

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنّني ... لأعلَمُ لا ألقاكِ من دونِ قابلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجلتْ ... غَيايةُ حُبِّيكِ انجلاءَ المَخايلِ[1]
إذا حَلَّ أهلي بالجِناب وأهلُها ... بحيث التقى الغُلاَّنُ من ذي أرايلِ
أقلْ خُلَّةٌ بانت وأَدْبرَ وصلُها ... تقطَّعَ منها باقياتُ الحَبائلِ[2]
وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ... ورفعُ الأعادِي كلَّ حقٍّ وباطِلِ
أقول لعَذّاليَّ لما تقابَلا ... عليّ بلَوْمٍ مثلِ طعنِ المَعابِلِ
لا تُكثِرا عنها السؤالَ فإنّها ... مُصَلْصِلةٌ من بعض تلك الصَّلاصِلِ[3]
من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ سَمْجٌ دَلالُها ... وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائِلِ
ولكنّها ريحانةٌ طابَ نَشْرُها ... وردتْ عليها بالضُّحى والأَصائِلِ

ثم قال لها : قُومي فاطرَحي [عنكِ] دُرَّاعتكِ ، فقالت : لا حتى يقولَ لي سيَّار بن نجيح ذلك ، فأبى سيَّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتْها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له سَيَّار : فما لك يا أبا الشُّرَحْبِيل لا تشتريها ؟ فقال : إذاً يفسُد حبُّها .

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني مُغيرة بنت أبي عَدِيّ بن عبد الجَبَّار بن منظور بن زَبَّان بن سَيَّار الفَزاريّة قالت أخبرني أبي قال : جمعني وابن مَيَّادة وصخر بن الجعد الخُضريّ مجلسٌ ، فأنشدنا ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإنّني ... لأعلَمُ لا ألقاك من دون قابِلِ

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكِبُّ يرجو الفائتَ ويَغُمّ الطيرَ ، وأراك حسَنَ العَزاءِ يا أبا الشُّرَحْبيل ؛ فأعرض عنه ابن ميّادة . قال أبو عَدِيّ فقلت : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ سيلاً يَرْدَعُهْ ... بهَضْبةٍ تَرُدُّه وتدفَعُهْ

ويروى : دَرْءَ السيل سيلٌ ، فقال لي : يا أبا عديّ ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذرة :

---

1 الغياية : كلّ ما يظلّ من سحاب ونحوه .

2 بانت في ل : ناءت .

3 مصلصلة : مصوّتة كالحمام .

هـو العبـدُ أقصى همِّـه أن تسُبَّه وكان سِبابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغمّ الطير يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره .

قال : فلم يُجِرْ إليه صخر بن الجعد جواباً . يعني بقوله : «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهاجاته الحَكَم الخُضريّ ، وكانا تَهاجَيا زماناً ثم كفَّ ابن ميّادة وسأله الصلحَ فصالحه الحَكَمُ .

[ابن ميادة والحكم الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبيّ ثم الخولانيّ قال : كان أوّل ما بدأ الهجاءَ بين ابن ميّادة وحَكَم بن مَعْمر الخُضريّ أنّ ابن ميّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنشد في مصلَّى النبيّ ﷺ في جماعة من الناس قوله : [من الكامل]

لمـن الديـارُ كأنّهـا لم تُعْمَرِ بين الكِناسِ وبـين بُرْقِ مُحَجَّرِ[1]

حتى انتهى إلى قوله :

يـا صاحِبَـيَّ ألم تَشيمـا بارِقـاً نُضِحَ الصُّرادُ بِهِ فهَضْبُ المَنْحَرِ[2]

قـد بـتُّ أَرْقُبُـه وبات مصعِّداً نَهْضَ المقيَّـد في الدَّهـاسِ المُوقَرِ[3]

فقال [له] ابن ميادة : ارفعْ إليّ رأسَك أيّها المنشِد ، فرفع حَكَم إليه رأسَه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حكم بن مَعْمَر الخُضريّ ؛ قال : فوالله ما أنت في بيتِ حسب ، ولا في أُرومةِ شِعْر ؛ فقال له حَكَم : وماذا عِبْت من شعري ؟ قال : عِبْتُ أنّك أَدْهستَ وأَوْقرتَ ؛ قال له حكم : ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميّادة ؛ قال : ويحك ! فلم رَغِبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمّك ؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما ميّادة ، أمَا والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمّك راعيةِ الضأن . وأما إدْهاسي وإيقارِي فإنّي لم آتِ خَيْبَر إلاّ مُمتاراً لا مُتَحامِلاً[4] ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالكَ وحالَ قومِك ، فلو كنتَ سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا إلاّ عن هِجاء .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِي قال حدّثني عُمَير بن ضمرة الخُضريّ قال : أوّلُ ما هاج الهجاء بين ابن ميّادة وبين حَكَم بن معمر بن

1 الكناس والمحجر : موضعان .
2 الصراد وهضب المنحر : موضعان .
3 الدهاس : الأرض السهلة اللينة تغوص فيها الرِجل ؛ والموقر : الثقيل الحمل ، وهي نعت للمقيد .
4 متحامل : الذي يحمل بالأجرة .

قنْبَر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب ، قال : والخُضر ولد مالك بن طريف ، سُمُّوا بذلك لأنّ مالكاً كان شديد الأُدْمة ، وكذلك خرج ولده فسُمُّوا الخُضْرَ ، أنّ حَكَماً نزل بسُمَيرِ بن سَلَمة بن عوسجة بن أَنَس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمْرو وهو خُصَيلة بن مرّة ، فأقبل ابن ميّادة إلى حَكَم ليَعْرِض عليه شعرَه وليسمع من شعره ، وكان حَكَم أسنَّهما ، فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم ، ثم قال ابن ميّادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَم ؛ قال : أو ما أعجبك من شعري إلاّ بيتان ؟ فقال : والله لقد أعجباني ، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأيُّ بيتَيْن هما ؟ قال : حين تُساهِمُ بين ثوبيْها وتقول : [من الطويل]

فوالله مـا أدري أَزِيدتْ مَلاحَةً وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقْلُ

تَساهَم ثوباهـا ففِي الدِّرعِ غادَةٌ وفي المِـرْطِ لفَّاوانِ رِدْفهُما عَبْلُ[1]

فقال له حَكَم : أوَ ما أعجبَك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميّادة : قد أعجباني ، فقال : أوَ ما في شعري ما أعجبك غيرهُما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حَكَم : فإنّي سوف أُعيب عليك قولك :

ولا برِح المَمْدور رَيّان مُخصِباً وجيدَ أَعالِي شِعْبِـه وأسافلُهْ[2]

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال : وأيَّ شيء تريد ؟ تركتُه لا يزال رَيّان مُخصِباً : وتهاترا فغضِب حَكَم فارتحل ناقتَه وهدَر ثم قال :

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ

فقال رجل من بني مُرّة لابن ميّادة : اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح ، فقال : إنّما يَغِطّ البَكْر . ثم قال الرَّمّاح : [من الرجز]

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجَـزْ مَن كان منكم ناكِزاً فقد نَكَزْ

وبيَّن الطِّرْفُ النَّجيبُ فبَرَزْ

قال الزبير : يريد بقوله ناكزاً : غائضاً قد نزَف . قال الزبير : وسمعت رجلاً من أهل البادية يَنزِع على إبلٍ له كثيرة من قَلِيب ويرتجز : [من الرجز]

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسِيفا أو يكـنِ البحـرُ لهـا حَلِيفا

قال الزبير قال الجُمَحيّ قال عُمَيْر بن ضَمْرَة : فهذا أوّل ما هاج التهاجِيَ بينهما .

---

1 غادة في ل : رأدة .

2 جيد : سقي مطراً غزيراً .

[فضلت أمّ جحدر ابن ميادة على الحَكَم وعملس]

قال الزُّبير قال الجُمَحيّ : وحدّثني عبد الرحمن بن ضبعان المُحاربيّ قال : كان ابن ميّادة وحَكَم الخُضريّ وعَمَلَّس بن عقيل بن عُلَّفة مُتجاورين مُتَحالّين ، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أمّ جحدر بنت حَسّان المُرِّيَّة ، وكانت أمّها مَولاة ، ففضَّلت ابن ميّادة على الحكم وعملّس فغضبا . وكان ابن ميّادة قال في أمّ جَحْدر : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرا
ويا ليتَ شِعْرِي هل يَحُلَّنّ أهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطنِ اللِّوى خُضْرا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ركَدتْ شمسُ النهارِ ووضَّعَتْ طَنافِسَها ولَيَّنهــا الأَعيُنَ الخُزْرا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِيّ يهجُوانها ، وهي تُنسب إلى حَكَم : [من الطويل]

لا عُوفِيتْ في قبرِها أمّ جحدَرٍ ولا لَقِيَتْ إلاّ الكَلالِيبَ والجَمْرا
كما حادثتْ عبداً لئيماً وخِلْتُه مِن الزادِ إلاّ حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا
فيا ليتَ شِعرِي هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ أكُشَّكَ أو ذاقتْ مَغابِنَك القُشْرَا[1]
وهل أبصرتْ أَرْساغَ أَبْرَدَ أو رأت قفا أمّ رَمَّاح إذا ما استقت دَفْرا[2]
وبالغَمْرِ قد صَرّت لِقاحاً وحادثتْ عبيداً فسَلْ عن ذاك نَيّان فالغَمْرا

وقال عَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال : بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل : [من الطويل]

فلا تضَعــا عنهــا الطنافسَ إنّما يُقَصِّر بالمِرماة مَــن لم يكن صَقْرا

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن رَبّاط وأبي داود قال : يُعرِّض بقوله : «مَن لم يكن صَقْرا» بابن ميّادة أي إنّه هَجين ليس من أَبَوَيْن متشابهين كما الصقر . وبعدَه بيت آخر من رواية يحيى ولم يَرْوه الزُّبَيْر معه : [من الطويل]

مُنَعَّمــةٌ لم تَلْــقَ بؤساً وشِقْــوةً بنجدٍ ولم يَكْشِفْ هجينٌ لها سِترا

قالوا جميعاً : فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفة[3] : [من الطويل]

---

1 أكش : لعلّها جمع كشّة على غير قياس وهي الخصلة من الشعر .المغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والقشر : البرص أو الشديدة الحمرة .
2 دفراً : دفعاً .
3 شعر ابن ميادة : 143–144 .

أعُلَّفَ إنّ الصقـرَ ليس بمُدْلِـجٍ ولكنّـه بالليـل مُتَّخِـذٌ وَكْـرا
ومُفْتَرِشٌ بين الجَناحـين سَلْحَهُ إذا الليلُ ألقى فوقَ خُرْطومه كِسْرا
فإنْ يـكُ صقراً بعد ليلـة أمّه وليلـة جَحّافٍ فـأُفٌّ له صقرا
تَشُدّ بكفَّيْهـا على جِـذْل أَيْـرِه إذا هـي خافت مـن مَطِيَّتها نَفْرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفة من بني أَنمار ، وكان أبوه عَقِيل بن عُلَّفة ضربها ، فأرسلت إلى رجلٍ من بني أَنمار يقال له جَحّاف ، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها . وقال يحيى بن عليّ خاصّة في خبره عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي داود : إنّ جَحّاف بن إياد كان رجلاً من بني قِتال بن يَربوع بن غيظ بن مُرّة ، وكان يتحدّث إلى امرأة عَقِيل بن عُلَّفة ، وهي أمّ ابنه عُلَّفة بن عَقِيل ، ويُتّهم بها ، وهي امرأة من بني أَنْمار بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلافة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس ، فربَطها بين أربعة أوْتاد ودهنَها بإهالَة[1] ، وجعلها في قرية نَمْل ، فمرّ بها جحّاف بن إياد ليلاً فسمِع أنينَها ، فأتاها فاحتملها حتى طرَحها بفَدَكَ ، فاستعدت واليَها على عقيل . وقام عقيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة[2] ونظَرها فلم يجدها ووجد أثر جحّاف فعرَفه وتبعه حتى صَبّح القرية ، وخَنَس جَحّاف عنها ؛ فأتى الواليَ فقال : إنّ هذه رأتني قد كَبِرتْ [سِنّي] وذهب بصري فاجترأتْ عليّ ، وكان عقيل رجلاً مَهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صِهْر بني مروان . قال : فعَيّر ابن ميّادة عُلَّفَةَ بن عَقيل بأمر جَحّاف هذا في قوله : [من الطويل]

فإنْ يكُ صقراً بعدَ ليلـةِ أمّه وليلةِ جَحّافٍ فأُفٌّ له صقرا

قال : ولَجَّ الهِجاءُ بينهما . وقال فيه ابن مَيّادة وفي حَكَم الخُضْرِيّ وقد عاون عُلَّفَة : [من الطويل]

لقد ركِبَ الخُضْرِيُّ منّي وتربُه على مَرْكَبٍ من نابياتِ المَراكِبِ

وقال لعُلَّفَة[3] : [من الرجز]

يا ابـنَ عَقِيل لا تكـن كَذُوبا أأن شَرِبـتَ الحَـزْرَ والحَلِيبا
من شَوْل زيد وشَمَمْتَ الطِّيبا جَهْـلاً تَجَنّيـتَ لِـيَ الذنوبا

---

1 إهالة : شحم مذاب .
2 العشوة : النار يستضاء بها .
3 شعر ابن ميادة : 82–83 عن الأغاني .

قال : ثم لم يُلْبِثْه ابنُ مَيّادة أن غلبه ، وهاج التهاجيّ بينه وبين حَكَم الخُضريّ ، وانقطع عنه عُلَّفة مفضوحاً . قال : وماتت أُمّ جَحدر التي كان يَنسُب بها ابن ميّادة على تفئةِ[1] ما كان بينه وبين عُلَّفة من المُهاجاة ، ونُعِيتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عمّار فنعاها له ؛ فقال[2] :

ما كنتُ أحسَب أنّ القومَ قد صدقوا حتّى نعاها لِيَ الرَّحْلِيُّ عَمّارُ

وقال يرثيها[3] : [من الطويل]

خَلتْ شُعَبُ المَمْدُور لستَ بواجدٍ بـه غيرَ بالٍ من عِضاهٍ وحَرْمَلِ
تمنّيتَ أنْ تَلْقى بـه أمّ جَحْدَرٍ وماذا تَمَنَّى من صَدًى تحتَ جَنْدَلِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمةٍ ولَلْبخلُ خيرٌ من عَناء مُطوّلِ

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة بن مرميء ، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه : أنّ ابن ميّادة وحَكَماً الخُضريّ تواعدا المدينة ليتواقَفا بها ، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش ، أمهاتُهم من مُرَّة ، إلى ابن ميّادة فمنعوه من مواقفة حَكَم ، وقالوا : أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتُم أمّهاتِنا وأخوالنا وخالاتِنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ، قال : وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعاً كثيراً ، فقال : والله لئن واقفتُه لأسجَعَنّ به قبلَ المُقارضة سَجْعا أفضَحُه به فلم يَلْقَه . وذكر الزُّبير له سَجْعاً طويلاً غَثّاً لا فائدة فيه ، لأنّه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي ، إلاّ أنّ من أَسْلَمه قولَه : والله لئن ساجعْتَني سِجاعاً ، لتجدنّي شُجاعاً ، للجار منّاعاً ، ولأجدنّك هيَّاعاً ، للحَسَب مِضْياعاً ؛ ولئن باطشْتُك بِطاشاً ، لأُدْهِشنَّك به إدهاشاً ، ولأُدُقّنَّ منك مُشاشاً ، حتى يجيء بولُك رَشاشاً . وهذا من غَثِّ السَّجْع ورَذْله ، وإنّما ذكرتُه ليُسْتدلَّ به على ما هو دونه ممّا ألغيتُ ذكره . قال : ورجز به فقال[4] : [من الرجز]

يا معدِنَ اللؤم وأنتَ جَبَلُه وآخِرَ اللؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سَبَّاقاً بعيداً مَهَلُه كان إذا جارى أباك يُفْشِلُهْ
فكيفَ ترجوه وكيفَ تأمُلُهْ وأنتَ شرُّ رجلٍ وأنْذَلُهْ

---

1 على تفئة : على حين أو على إثر .

2 البيت مفرداً في مجموع شعره : 128 عن الأغاني .

3 شعر ابن ميادة : 212–213 .

4 شعر ابن ميادة : 217 .

ألأمُـه في مـأزِقٍ وأجهلُـهْ أدخلـه بيتَ المخازي مُدْخِلُهْ
فاللـؤم سِرْبالٌ لـه يُسَرْبَلُهْ ثوبـاً إذا أَنْهَجـه يُبَدِّلُـهْ[1]

فأجابه حَكَم : [من الرجز]

يا ابن التي جيرانَها كانت تَضُرّ وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانـت تَمْتَصِرْ
كيف إذا مارسْتَ حُرّاً تنتصِرْ

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جداً أسقطتُها لكثرتها وقلّة فائدتها .

[خرج الحكم إلى الرقم للقاء ابن ميّادة ولما لم يلقه تهاجيا]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن إبراهيم قال : أخبرني بعضُ من لقيت من الخُضْر : أنّ حكماً الخضريّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ ميّادة بالرَّقَم من غير مَوعد فلم يَلْقَه ، إمّا لأنّه تغيَّب عنه وإمّا لأنّه لم يصادفْه ، فقال حكم : [من البسيط]

فَـرّ ابنُ مَيَّادةَ الرَّقْطاءِ من حَكَمٍ بالصُّغْرِ مثلَ فِرار الأَعْقَدِ الدَّهِمِ[2]
أصبحتَ في أُقُرٍ تَعْلُـو أطاوِلَـه تَفِرُّ منّـي وقـد أصبحتُ بالرَّقَمِ[3]

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه : قال ابن مَيَّادة يهجو حَكَماً وينسبُ بأمّ جحدر : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِـي منـكِ اللقاءَ وإنّني لأعلمُ لا ألقاكِ من دونِ قابِلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدّماً ، فذكرتُ هاهنا منها ما لم يمضِ وهو قوله :

[من الطويل]

فيا ليتَ رَثَّ الوصلِ من أمّ جَحْدَرِ لنا بجديـدٍ مِـن أُولاكَ البَدائلِ
ولم يَبْقَ ممّـا كان بينـي وبينها من الوُدِّ إلاّ مُخْفَيـاتُ الرسائلِ
وإنّي إذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُمِيـتُ بحُبِّيهـا كَرَمْـي المُناضِلِ

صوت

[من الطويل]

فما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وأدمُعها يُـذْرِينَ حَشْوَ المَكاحلِ

---

1 أنهجه : أبلاه وأخلقه .
2 الصغر : الذلّ . الأعقد : التيس في قرنه التواء وكذلك الكلب والذئب لانعقاد ذنبيهما .
3 أقر : واد لبني مرّة .

تمتّعْ بـذا اليومِ القصيرِ فإنّـه رَهِـينٌ بأيّامِ الدهـورِ الأطاولِ

الغناء في هذين البيتين لعليّ بن يحيى المنجّم ، ولحنه من الثقيل الثاني .

وكنتُ امـرءاً أَرْمِي الزوائلَ مـرّةً فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائلِ

وعطّلتُ قوسَ اللهو مـن سَرَعانها وعادتْ سِهامِي بـين رَثٍّ وناصِلِ

السَّرَعان : وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ المتن ، وهو أطول العَقَبِ .

إذا حَلَّ بَيْتِي بين بَـدْرٍ ومازِنٍ ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشتدّ كاهِلِي

يعني بَدْرَ بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فزارة بن ذبيان ، ومُرَّةَ بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومُرَّة بن فزارة ، ومازن بن فزارة . وهي طويلة . قال أبو الفرج الأصبهانيّ : أخذ إسحاق الموصليّ معنى بيت ابن ميّادة في قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي» فقال : [من الطويل]

عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ يَدايَ الثريّا قاعـداً غيرَ قائِمِ

ولَعمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

فضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائِلِ

[سُرَّ به إبراهيم بن هشام لدعواه أنّه فضل قريشاً]

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب ، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير عن مُصعَب قال : قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميّادة : أنت فضَلْتَ قريشاً ؟ وجرّده فضربه أسواطاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لما قال ابن ميادة : [من الطويل]

فضَلنا قُرَيشاً غيرَ رَهْطِ محمد وغيرَ بني مَرْوانَ أهلِ الفضائِلِ

قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنُّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمّا أَفْضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفَد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجَّب .

[ابن ميادة والحكَم الخضريّ بعريجاء]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : حدّثني العباس بن سَمُرَة بن عَبّاد بن شَمَّاخ بن سَمُرة عن ريحان بن سُوَيد الخُضريّ ، وكان راوية

حَكَم بن معمر الخُضريّ ، قال : تواعد حَكَمٌ وابنُ ميّادة عُريجاء ، وهي ماءة ، يتواقفان عليها ، فخرج كلّ واحد منهما في نَفَرٍ[1] من قومه ؛ وأقبل صخر بن الجعد الخُضريّ يَوُمُّ حَكَماً ، وهو يومئذٍ عدوّ لحَكَم لِما كان فرط بينهما من الهجاء في أُرْكُوبٍ[2] من بني مازِن بن مالك بن طَريف بن خَلَف بن مُحارب ؛ فلمّا لقيه قال له : يا حَكَم ، أهؤلاء الذين عَرَضْتَ للموت ؟ وهم وجوه قومك ؛ فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلاّ كدماء جَداية ؛ فعرَف حَكَم أنّ قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه ، وقال لصخر : قد وعدني ابنُ ميّادة أن يُواقفني غداً بعُريجاء لأن أناشدَه ؛ فقال لـه صخر : أنا كثير الإبل ، وكان حَكَم مُقِلاً ، فإذا وردتْ إبلي فارتجز ، فإنّ القوم لا يشجُعُون عليك وأنت وحدَك ، فإن لقيتَ الرجل نَحَر وأطعم فانحَرْ وأطعِمْ وإن أتيتَ على مالي كلِّه . قال رَيحان راويتُه : فورد يومئذٍ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحاً ولم يوافِ لموعده ، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف[3] وجوهَ إبل صخرٍ وردّها . وبلغ الخبرُ ابنَ ميّادة ومُوافاة حَكَم لموعده[4] ، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول : [من الرجز]

أنا ابنُ مَيّادةَ عَقّارُ الجُزُرْ كلِّ صَفِيّ ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ

وظَلَّ على الماءِ فنَحَر وأَطْعَم . فلمّا بلغ حَكَماً ما صنعَ ابن ميّادة من نحره وإطعامه شقّ عليه مشقّةً شديدةً .

[توافيهما بحمى ضريّة وصلحهما]

ثم إنّهما بعدُ توافيا بحِمى ضَرِيّة . قال ريحان بن سُوَيد : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلاّ بقيـةَ كلاٍ بضريّة . قال : فسبقْنا ابن ميّادة يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان حَكَم كريماً على الوُلاةِ هناك يُتّقى لسانُه . قال ريحـان : فبَيْنا نحن عند المولاة وقد حطَطْنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا ، وإذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبان ، ولم يكن لثوبان ضَرِيبٌ في الشجاعة والجمال ، فأقبلا يتسايران ، فلمّا رآهما حَكَمٌ عرفهما ، فقال : يا رَيْحانُ ، هذان ابنا أَبْرَد ، فما رأيك ؟ أتَكفِيني ثوبانَ أم لا ؟ قال : فأقبلا نحونا ورَمّاح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال : مرحباً برجل سكتُّ عنه ولم يسكت عنّي ، وأصبحتُ الغداة أطلب سَلْمه يَسُوقني الذِّئبُ والسنةُ ، وأرجو أن أَرْعى

---

1 ل : جماعة .

2 أركوب : ركب .

3 ل : ضرب .

4 ل : لموضعه .

الحِمى بجاهِهِ وبركته ؛ ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثوبان فقعد إلى جَنْبي ؛ فقال له حَكَم : أما وربِّ المرسَلين يا رمّاح لولا أبياتٌ جعلتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ ؛ يعني أبياتَ ابنِ ظالم ، لاستوسقت كما استوسق مَنْ كان قَبْلَكَ . قال ريحان : وأخذا في حديثٍ أسمَع بعضَه ويخفى عليّ بعضُه ، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبح لنا وهما في ذلك يتحادثان ، مقبِلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَدَّنا ، حتى كان العِشاء فشدَدنا للرَّواح نومٌ أهلَنا ؛ فقال رَمَّاح لحكم : يا أبا مَنِيع ، وكانت كنيةَ حَكَم : قد قضيتَ حاجتَك وحاجَةَ مَنْ طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةً في أن يُرْعِيَنا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتي منه وإنّي لأكره الرجوع إليه ، وما من حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إنّ هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك[1] وبمَحْضَرِك . قال : فدعا به عاملُ ضَرِيّة[2] وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجةَ رَمّاح ، فأَذْكرتُه إيّاها ، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن ميّادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرْعِيني عُرَيجاء لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ ، فأَرعاه إيّاها . فأقبل رَمَّاح على حَكَم فقال : جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائي مِنْ قومي مَنْ يتمنّى أن يرعى عُرَيجاء بنصف ماله . قال فلمّا عزَما على الانصراف ودّع كلّ واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيَيْن .

[استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم]

وانصرف ابنُ ميّادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هِشام فاستغضبه على حكم في قوله : [من الطويل]

ومـا ولـدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلاّ زاد لؤماً جَنِينُها

فأَطْرده وأقسم : لئن ظفِر به لَيُسْرِجَنّه ولَيَحْمِلَنّ عليه أحدَهم . فقال رَمّاح ، وساءه ما صنعوا : عَمَدتُم إلى رجل قد صَلَح ما بيني وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتُم عليه وجئتُم بإطْراده ! وبلغ الحكَمَ الخبرُ فطار إلى الشام فلم يبرَحْها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرة : مات بالشام غرَقاً ، وكان لا يُحسِن العَوْمَ فمات في بعض أنهارها . قال : وهو وجْهُه الذي مدح فيه أَسْود بن بِلال المُحاربيّ ثم السُّوائيّ في قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

---

1 ل : يديك .

2 ل : الجهة .

واستيقنتْ أن لا بَراحَ من السُّرى ... حتـى تُنـاخَ بأَسْوَدَ بنِ بِلالِ
قَـرْمٌ إذا نـزلَ الوُفـودُ ببابـه ... سَمَـتِ العيونُ إلى أَشَمَّ طُوالِ

[مناقضات حكم وابن ميّادة]

ولحَكَم الخُضْريّ وابن ميّادة مُناقضات كثيرة وأراجيز طِوالٌ طَويتُ ذكرَ أكثرها وألغيتُه ، وذكرتُ منها لُمَعاً من جيّد ما قالاه لئلاّ يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعبَ سائرَه فيطولَ . فمما قاله حَكَمٌ في ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

خَلِيليّ عُوجا حَيِّيا الدارَ بالجَفْرِ ... وقُولا لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيِّـي مـن رسومٍ تلاعبتْ ... بها حَرْجَفٌ تَذْرِي بأذيالِها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها وهو يفتخر : [من الطويل]

إذا يبِسَت عِيدانُ قـومٍ وجدتَنا ... وعِيدانُنا تُغْشَى على الوَرَقِ الخُضْرِ
إذا الناسُ جـاؤوا بـالقُرُوم أتيتُهم ... بقَـرْمٍ يُساوي رأسُه غُـرَّةَ البدرِ[1]
لنا الغَـوْرُ والأَنجاد والخَيْلُ والقَنا ... عليكـم وأيّامُ المَكـارِمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قولُه : [من الطويل]

فيا مُـرَّ قد أخزاكِ في كلِّ موطنٍ ... من اللؤمِ خَلاَّتٌ يزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنّ أنّ العبـدَ حامِـي ذِمارِكم ... وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزةِ الثَّغْرِ
ومنهنّ أن لم تمسَحُوا وجهَ سابقٍ ... جَوادٍ ولم تأتوا حَصاناً على طُهْرِ
ومنهنّ أن المَيْتَ يُدْفَـن منكـمُ ... فَيَفْسُو على دُفَّانـه وهو في القبرِ
ومنهنّ أنّ الجارَ يسكُن وَسْطَكم ... بريئـاً فيُلْقـى بالخيانـةِ والغَدْرِ
ومنهنّ أن عُذْتُم بأَرْقَـطَ كَوْدَنٍ ... وبئس المحامي أنت يا ضَرْطةَ الجَفْرِ
ومنهنّ أنّ الشيخَ يوجَـدُ منكمُ ... يَدِبُّ إلى الجاراتِ مُحْدَوْدِبَ الظهرِ
تَبيت ضِبابُ الضِّغْنِ تَخْشى احتراشَها ... وإن هي أمسَتْ دونَها ساحلُ البحرِ[2]

فأجابه ابن ميّادة بقصيدةٍ طويلة ، منها قولُه مجيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم بها[3] : [من الطويل]

---

1 يساوي في ل : يسامي .
2 ضباب الضغن : الأحقاد .
3 شعر ابن ميادة : 152-154 .

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيـات مُحارِبٌ ... وفـازتْ بخَلاَّتٍ على قومِها عَشْرِ
فمنهنّ أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ ... لحـقٌّ إذا مـا احْتِيجَ يوماً إلى العَقْرِ
ومنهنّ أن لم تَمسَحُـوا عربيّــةً ... من الخَيْل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنّ أن لم تضربـوا بسيوفكـم ... جَماجِمَ إلاّ فَيْشَلَ القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنّ أن كانت شيوخُ محـارِب ... كما قـد علمتم لا تَريشُ ولا تَبْرِي
ومنهنّ أخزى سوءةٍ لـو ذكرتُهـا ... لكنتم عَبيداً تخدُمون بني وَبْرِ
ومنهنّ أنّ الضأنَ كانـت نساءَكم ... إذا اخضرّ أطرافُ الثُّمام من القَطْرِ
ومنهنّ أن كانت عجـوزُ مُحارِبٍ ... تُرِيغ الصِّبا تحت الصَّفيح من القَبْرِ
ومنهنّ أَنْ لو كان في البحرِ بعضُكُمْ ... لخبَّثَ ضاحِيَ جِلْدِهِ حَوْمةَ البحرِ

ومما قاله ابن ميّادة في حكم قولُه من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

ألا حَيِّيـا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها ... بحيثُ التقتْ رُبْدُ الجِناب وعِينُها

ويقول فيها :

فلمّا أتـاني مـا تقولُ مُحـارِبٌ ... تغنَّـتْ شياطيني وجُـنَّ جُنُونُها
ألَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ غَشَّى مُحارِبـاً ... إذا اجتمعَ الأَقـوامُ لَوْنـاً يَشِينُها[2]
ترى بوجوه الخُضْر خُضْرِ مُحارِبٍ ... طوابعَ لـؤم ليسَ ينْفَتُّ طِينُها
لقـد ساهَمَتْناكُـمْ سُليمٌ وعامرٌ ... فَضِمْناهُـمُ إنّـا كـذاك نَدِينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّيْن مُحارِبٌ ... وصارتْ لهـم جَشْرٌ وذاك ثَمِينُها
إذا أخذَتْ خُضْرِيَّةٌ قائِمَ الرحَى ... تَحَـرَّك قُنْباهـا فطـارَ طَحِينُها
وما حَمَلَـتْ خُضريَّـةٌ ذاتَ ليلةٍ ... من الدهـرِ إلاّ ازدادَ لؤمـاً جَنِينُها

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

لأنتَ ابـنُ أُشبانِيّةٍ أدلجتْ بـه ... إلى اللّـؤمِ مِقْـلاتٍ لئيمٍ جَنِينُها
فجـاءتْ بَـروّاثٍ كأنّ جَبِينَه ... إذا مـا صَغا في خِرقَتَيها جَبِينُها
فمـا حَمَلَـتْ مُرِّيَّة قـطُّ ليلـةً ... من الدهـرِ إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها
ومـا حَمَلَـتْ إلاّ لألأمِ مَنْ مَشى ... ولا ذُكِـرتْ إلاّ بأمـرٍ يَشِينها

1 شعر ابن ميادة : 230–231 عن الأغاني .
2 لوناً في ل : لؤماً .

تــزوّجُ عثــوانُ الضَّئِــينَ وتَبْتَغِي   بهـــا الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونها
أظنَّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتماً   بشَتْمِي وبعضُ القوم حَمْقى ظُنُونُها
مَــدانِيسُ أبــرامٌ كأنّ لِحاهُــمُ   لِحَــى مُسْتَهِبّاتٍ طِوالٍ قُرُونُها[1]

قال الزبير : فحدّثني مَوهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحدُ بني قَتّال بن مُرّة فقال : ما له أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ؟ قال : وهم أجفى قوم غَضَباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه في نساء بني مُرّة إذ يقول :

ومــا حَمَلتْ إلا لألأم مَنْ مَشى

فغَضِبَ ثم نَذَر[2] دَمَه ؛ فهَرَب من الحجاز إلى الشام فمات بها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن ضَبْعان الخُضْريّ قال : لقيَ ابن ميادة صخر بن الجعد الخُضْريّ فقال له : يا صخر ، أَعنْتَ عليّ ابنَ عَمِّك الحَكَم بنَ مَعْمَر ؛ فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتهُ عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل[3] إليّ ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَرَ الوادِي يُعِينه عليّ .

ومن جَيِّد قَوْل ابنِ ميّادة في حَكَم قصيدتُهُ التي أوّلها : [من الطويل]

صوت

لقــد سَبَقَتْك اليــومَ عَيْناك سَبْقَةً   وأبكاكَ من عهــد الشباب ملاعبُهْ
فواللهِ مــا أَدري أيَغلِبُني الهَــوى   إذا جَــدَّ جِــدُّ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِب الهَوى   فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

في هذه الأبيات غِناءٌ يُنسَبُ ، يقول فيها في هجاء حَكَم :

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ   عن المجدِ لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُهْ
وقــال لهــم كُــرُّوا فلستُ بآذنٍ   لكم أبداً أو يُحْصِيَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

وهي قصيدة طويلة .

[فضله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال[4] بن عبد العزيز المُرِّيّ ثم الصارِدِيّ عن

---

1 أبرام : جمع برم وهو الثقيل الجافي . المستهبات : التيوس الهائجة للسفاد .
2 نذر في ل : هدر .
3 ل : خُيِّل .
4 ل : حلال ، بالحاء .

أبيه : قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميّادة في بيت أبي ، قال : قال لي ابن ميّادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مولىً من مَوالي خَرَشَةَ يقال له شُقْران يَعِيب ابن ميادة ويَحسدُه على مكانه من الوليد ، فلمّا اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شُقْران ، ما عِلمُكَ في ابن ميّادة ؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنّه : [من الطويل]

لئيمٌ يُبارِي فيـــه أَبْرَدُ نَهْبَلاً … لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يا ابن ميّادة ، ما عِلمُك في شُقْران ؟ قال : عِلمِي يا أمير المؤمنين أنّه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتبَتْه على أربعين دِرهماً ووعدها ، أو قال : وعدَتْهُ ، أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبَّضَتْه[1] إيّاها ، فأغنِه عنّي يا أميرَ المؤمنين ، فليس له أَصْلٌ فأحتفِره ، ولا فَرعٌ فأهتصِرَه ؛ فقال له الوليد : اجتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشَّتيمة ، فقَصَر شُقْران صاغراً ، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لِقْحةٍ وفَحْلها وراعيها وجاريةٍ بِكْرٍ[2] وفَرَسٍ عتيق ، فاختْلتُ ذلك اليومَ وقلتُ[3] : [من البسيط]

أعطيْتَني مائةً صُفْرا مَدامِعُهـا … كالنخل زَيَّنَ أعلى نَبْتِهِ الشَّرَبُ[4]

ويُروى : كأنّـها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ

يَسُوقُها يافـــع جَعْـــدٌ مفارقُهُ … مثْلُ الغُراب غَذاه الصَّرُّ والحَلَبُ

وذا سَبِيبٍ صُهَيْبِيّاً لـه عُرُفٌ … وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِبُ[5]

لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة ، وهي من قصيدة للرّمّاح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ، وقد أجاد فيها وأحسن ؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طرَفاً ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تَعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها … سافي الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ[6]

دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٍّ مسائحُهـا … كأنّها ظَبْيَةٌ تَرْعى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبة تتوجَّسُ .

---

1 ل : فنقصته .

2 ل : عذراء .

3 شعر ابن ميادة : 57–59 .

4 في اللسان «شرب» : «مثل النخيل يروي فرعه الشرب» . والشرب الحفر التي تُحفر حول النخيل وتملأ بالماء ليروى .

5 السبيب : شعر الناصية والذنب .

6 بالعلياء غيرها في ل : بالربع غيره .

تحنُو لأكْحَلَ أَلقَتْهُ بمَضْيَعَةٍ فقَلْبُها شَفَقاً من حَوْلِه يَجِبُ

يقول فيها : [من البسيط]

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجْعَتِها وأملَحِ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألها ولستُ عندَ خَلاءِ اللّهوِ أُغتصبُ
في مرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ على الضَّجيعِ وفي أنيابها شَنَبُ
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ
قد جُبْتُها جَوْبَ ذي المِقْراض مِمْطَرَةً إذا استوى مُغْفَلاتُ البيدِ والحَدَبُ[1]
بِعَنْتَرِيس كأنّ الدَّبْرَ يَلْسَعُها إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ[2]
إلى الوليد أبي العَبّاس ما عجلتْ ودونَه المُعْطُ من لُبْنانَ والكُثُبُ[3]
لمّا أتيتُك مِن نَجْدٍ وساكنِه نفَحتَ لي نَفْحةً طارتْ بها العَرَبُ

وبعد هذا البيت قوله :

أعطيتَنِي مائةً صُفْراً مَدامعُها

إنّي امرُؤٌ أعتفِي الحاجاتِ أطْلُبُها كما اعتَفى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ

السَّنِق : الذي قد شَبع حتى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَبٍ ، كما يَعْتَفي هذا البعير البَشِمُ من غير شَرَهٍ ولا شدّة طَلَب .

ولا أُلِحُّ على الخُلاّن أسألُهم كما يُلِحُّ بعظْم الغارب القَتَبُ
ولا أُخادع نَدْمانِي لأخدَعَه عن ماله حين يَسْتَرْخِي به اللَّبَبُ
وأنتَ وابناك لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثة كلّهم بالتاج مُعْتَصِبُ
الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهمُ شُوسُ الحواجب والأبصار إنْ غَضِبُوا[4]
قِسنِي إلى شُعراء الناسِ كلّهمِ وادعُ الرُّواة إذا ما غَبّ ما اجتلَبوا[5]
إنّي وإن قال أقوام مَديحَهمُ فأحسنوه وما حابوا وما كَذَبوا

1 المِمطرة : ثوب من صوف يلبس في المطر . الحدب : الأرض الغليظة المرتفعة .
2 العنتريس : الناقة الضخمة القوية .
3 المعط : الأراضي التي لا نبات فيها .
4 شوس : جمع أشوس . والشوس هو النظر بمؤخّر العين غيظاً أو تكبّراً .
5 غب : فسد .

أُجرِي أمامَهُمُ جَرْيَ امرىء فَلَج　　عِنانُه حين يَجْرِي ليس يَضْطرِبُ

[سبب الهجاء بينه وبين شقران]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن ، أظنّه[1] المَدائنيّ ، قال أخبرني أبو صالح الفَزاريّ قال : أقبل شُقْران مولى بني سَلامان بن سعد هُذَيْم أخي عُذْرة بن سعد بن هُذَيْم ، قال : وهُذَيْم عبدٌ حَبَشِيّ كان حَضَنَ سعداً فغلَب عليه ، وهو ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره ، فلَقِيَه ابنُ مَيّادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمرٌ امترتُه لأهلي يقال له : زُبُّ رُبّاح ، فقال له ابن ميّادة يُمازِحه[2] : [من الطويل]

كأنّك لم تَقْفُل لأهلك تَمْرةً　　إذا أنت لم تَقْفُل بزُبِّ رُبَاحِ[3]

فقال له شقران : [من الطويل]

فإنْ كان هذا زُبَّه فانطلق به　　إلى نِسْوةٍ سُودِ الوجوه قِباحِ

فغضِب ابن ميّادة وأَمَضه وأَنحى عليه بالسوط فضربه ضَرَبات وانصرفَ مُغضَباً ؛ فكان ذلك سبب الهِجاء بينهما .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو عليّ الكلبيّ قال : اجتمع ابن ميّادة وشُقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين ، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمِثْلِي في حَسَبِي ولا نَسَبِي ولا لِساني ولا مَنْصِبِي ! فقال شُقران : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتَ ابن شَيْخَيْ عشيرتي　　هِرَقْلٍ وكِسْرى ما أُرانِي مُقَصِّرا
وما أتمنّى أنْ أكونَ ابن نزوةٍ　　نَزاها ابنُ أرْضٍ لم تجِدْ مُتَمَهّرا[4]
على حائلٍ تَلْوِي الصِّرارَ بكَفِّها　　فجاءتْ بخَوّارٍ إذا عُضّ جَرْجرا

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خَلاَّد عن أبي أيّوب بن عبد العزيز قال : استأذن ابن ميّادة على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلى قُضاعة فأدخله في صُندوق وأَذِن لابن ميّادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هِجاء شُقران فجعل يُنشِده ، ثم أمر

---

1 ل : أحسبه .
2 شعره : 107 . وفسر جامع الشعر «زبّ ربّاح» بأنّه نوع من تمور البصرة ، ولم يفهمه شقران كذلك .
3 لأهلك في ل : لأمّك .
4 ابن أرض : غريب أو مسافر أو ضيف .

بفتح الصندوق فخرج عليه شُقران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحلُ ويقول : [من الوافر]

سأَكْعَمُ عن قُضاعة كلْبَ قيسٍ   على حَجَـرٍ فيُنْصِتُ للكِعامِ[1]
أسيرُ أمـامَ قيْسٍ كلَّ يـومٍ   ومـا قيسٌ بسائـرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع : [من الكامل]

إنّي إذا الشعراءُ لاقى بعضُهُمْ   بعضاً ببَلْقعـةٍ يريـد نِضالَها
وقَفوا لمُرْتَجِزِ الهدير إذا دنتْ   منـه البِكارة قَطَّعـتْ أبوالَها[2]
فتركتُهمْ زُمَراً تَرَمَّـزُ باللِّحَـى   منها عَنافِقُ قـد حَلقتْ سِبالَها

فقال له ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين اكفُف عنّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفِرَه ، ولا فرعٌ فأهصِرَه ؛ فقال الوليد : أشهد أنّك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضّ جرجرا

[تفاخره مع عقال بالشعر]

قال يحيى في خبره : واجتمع ابن ميّادة وعِقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عِقالٌ شديد الرأي في اليمن ، فغمزَ عِقالٌ ابن ميّادة واعتلاه ؛ فقال ابن مَيّادة[3] : [من الطويل]

فجَرْنـا ينابيـعَ الكلامِ وبَحْـرَهُ   فأصبحَ فيـه ذو الرِّوايـة يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيسٍ وخِندِفٍ   وقـولُ سِواهـم كُلْفَـةٌ وتملُّحُ

فقال عِقالٌ يُجيبه : [من الطويل]

ألا أبْلِغ الرَّمَّـاح نَقْضَ مَقالـةٍ   بهـا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أو كان يَمْزَحُ[4]
لئن كان في قيسٍ وخِنْدِفَ ألْسُنٌ   طِـوالٌ وشِعرٌ سائـرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرَق الحـيُّ اليمانون قبلَهمْ   بحورَ الكلام تُستَقى وهي تَطْفَحُ[5]
وهُمْ عَلَّموا مَنْ بعدَهـم فتعلّموا   وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقـين الفضلُ لا يُجْحَدُونـه   وليس لَمخْلـوقٍ عليهـم تَبجُّـحُ

1 كعم : شدّ فمّ الحيوان فلا يؤكل أو يصوّت .
2 البكارة : الفتية من الإبل .
3 شعر ابن ميادة : 97 .
4 نقض في ل : بعض .
5 تطفحُ في ل : طُفَح .

[شعره في حنينه إلى وطنه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز[1] عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال : قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأبابين ، وهو موضع كان الوليد ينزله في الربيع : [من الطويل]

لعَمْــرُك إنّي نــازلٌ بأَبــاينٍ لصَوْأرَ مشتاقٌ وإنْ كنتُ مُكْرَما[2]
أبيتُ كأنّي أرمَـدُ العـين ساهـرٌ إذا بات أصحابي مـن الليل نُوَّما

قال : فقال لي الوليد : يا ابن ميّادة كأنّك غَرِضْتَ[3] من قُربنا ؛ فقلت : ما مِثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه ، ولكن[4] : [من الطويل]

ألا لَيتَ شِعرِي هـل أَبيتنّ ليلةً بحرّةِ ليـلى حيث رَبَّتَنِي أهلِي
وهل أَسمَعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تَطالعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ[5]
بـلادٌ بهـا نِيطَتْ عـليَّ تَمائمِي وقُطِّعنَ عنّي حينَ أدركني عَقْلِي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابِسي فأَيْسِرْ عليَّ الرزق واجمَع إذاً شَمْلِي

فقال : كم الهَجْمَة ؟ قلت : مائة ناقة ؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء . قال ابن ميّادة : فذكرتُ وِلْداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استَسْقَوْه سقاهم اللهُ وأنا ، وإذا استكْسَوْه كساهم اللهُ وأنا ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، وكم وِلْدانك ؟ فقلت : سبعة عشَر ، منهم عشرة نَفَرٍ وسبع نسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين ، وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السِّقْي فلا أرى مائة لِقْحة إلاّ سترُوِيهم ، فإن لم تُروِهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكُلنا بها البعوض ، وتأخذُنا بها الحُمَّياتُ ؛ قال : فقد أخلفها اللهُ عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتُك العامَ : مائة لِقْحة وفَحْلها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيق .

---

1 ل : عبد الرحمن .
2 صوأر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة ممّا يلي الشام .
3 غرضت : ضجرت ومللت .
4 شعر ابن ميادة : 199–200 .
5 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . الهجل : المطمئن من الأرض .

[عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شَدّاد بن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتَّال قال : عارضني ابن ميّادة فقال : أنشدني يا ابن القَتّال ، فأنشدته : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بصحراءَ ما بين التَّنوفة والرَّمْلِ
وهل أزجُرنَّ العِيسَ شاكيَة الوَجى ... كما عَسَلَ السِّرحانُ بالبلدِ المَحْلِ[1]
وهل أسْمَعنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ ... تُغنّي حماماتٍ على فَنَنٍ جَثْلِ[2]
وهل أشرَبنّ الدهرَ مُزْنَ سحابةٍ ... على ثَمَدِ الأفعاة حاضرُه أهلِي[3]
بلادٌ بها نيطتْ عليّ تمائمي ... وقُطِّعنَ عنّي حين أدركني عقلِي

قال : فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميّادة وحدَه .

[أجازه الوليد إبلاً فأرادوا ابدالها]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني رجل من كَلْب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال : أمر الوليد بن يزيد لابن ميّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بني كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يُمسِكوا التِّلاد ؛ فقال ابن ميّادة[4] : [من الوافر]

ألَمْ يَبْلُغْكَ أنّ الحيّ كلباً ... أرادوا في عطيّتكَ ارتِدادا
وقالوا إنّها صُهْب ووُرْقٌ ... وقد أُعطيتَها دُهْماً جِعادا

فعلِموا أنّ الشعرَ سيبلُغ الوليد فيُغْضِبُه ؛ فقالوا له : انطلِق فخذها صُفْراً جِعاداً .

[شعره في رثاء الوليد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لمّا قتِل الوليد بن يزيد قال ابن ميّادة يرثيه[5] : [من الوافر]

ألا يا لَهْفَتَيّ على وليدٍ ... غداةَ أصابه القَدرُ المُتاحُ

---

1 الوجى : الحفا .
2 الجثل : الكثير الورق .
3 مُزن في ل : صوب . الثمد : الماء القليل . والأفعاة : هضبة لبني كلاب .
4 شعر ابن ميادة : 109–110 والبيتان في الشعر والشعراء ص 657 . ورواية البيت الثاني فيه :
أرادوا لي بها لدنين شتّى ... وقد أعطيتها دهماً جعادا
5 شعر ابن ميادة : 95 والشطر الأوّل من البيت الأول فيه : «ألا لهفي على الملك المرجى» .

ألا بكّي الوليد فتى قُرَيْشٍ وأسمحَها إذا عُدّ السِّماحُ
وأجبرَها لذي عَظْمٍ مَهِيضٍ إذا ضَنَّتْ بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلاً وأمراً ما يسوغ به القَراحُ

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذكُر طريقَةَ غِنائه .

[ابن ميادة وعثمان بن عمرو بن عثمان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن زهير بن مُضَرِّس الفَزاريّ عن أبيه قال : أخصب جَنابُ الحجاز الشاميّ فمالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزارة وبنو مُرّة ، فتحالُّوا جميعاً به . قال : فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاءَ إذا راكبان يُوجِفان راحلتين حتّى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر الريح[1] وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفّان معه مَوْلًى له ، فنَسَبْنا وانتسب لنا ، وقد كان ابن ميّادة يُعلِّلني بشعره ، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له يقول فيه[2] : [من الكامل]

وعلى المُلَيْحة من جَذِيمةَ فِتْيةٌ يتمارضُون تمارضَ الأُسْدِ
وتَرى الملوكَ الغُرّ تحت قِبابهم يمشُون في الحلَقاتِ والقِدِّ[3]

قال : فقال له القُرشيّ : كذبتَ ؛ قال ابن ميّادة : أفي هذا وحدَه ؟ أنا والله في غيره أكذَبُ ؛ فقال له القرشيّ : إنْ كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهض هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما ؛ فلمّا فاتا أبصارنا قال ابن ميّادة[4] : [من الطويل]

سمِينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ وغَثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

[ابن ميّادة وسنان بن جابر وهجاؤه بني حميس]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرِّيّ قال : كان ابن ميّادة قد هاجى سِنان بن جابر أحد بني حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسْلَم ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هِجائه[5] : [من الطويل]

---

1 ل : بخر الزنج .
2 شعره : 117 .
3 قبابهم في الديوان : «حول بيوتنا» .
4 شعر ابن ميادة : 258 وينسب أيضاً إلى عروة بن أذينة وسلمة بن عبّاس .
5 شعر ابن ميادة : 160 عن الأغاني .

لقد طالما عَلّلتَ حُجْراً وأهلَه — بأعراضِ قيسٍ يا سنانُ بنَ جابرِ
أأهجُو قُرَيشاً ثم تكرَه رِيبتي — ويَسرِقُني عِرْضي حُمَيسُ بنُ عامرِ

قال : وقال فيهم أيضاً[1] : [من الطويل]

قِصار الخُطى فُرْق الخُصى زُمْرُ اللِّحى — كأنّهُمُ ظِرْبَى اهتَرشْنَ على لَحْمِ
ذكرتُ حَمام القَيْظ لما رأيتُهم — يُمَشُّون حَوْلِي في ثيابهم الدُّسْمِ
وتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كلِّ زينةٍ — فروجاً كآثارِ الصِّغار من البَهْمِ

قال : ثم إنّ ابنَ مَيَّادة خرَج يبغي[2] إبلاً له حتى ورَد جُباراً ، وهو ماءٌ لحُمَيس بن عامر ، فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسَنَّتْ ، فنَشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممّن أنت ؟ قال : رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور ؛ فأَذِنَتْ له وقالت : ادخل حتى نَقْرِيَكَ وقد عَرَفَتْه وهو لا يدري ؛ فلمّا قَرَتْه قال ابن ميّادة : وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح عليّ من البيت ، فإذا بنْتٌ لها قد هَتَكَت السِّتْرَ ، ثم استقبلَتْني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتزرةٌ به ، فأطلقتْه وقالت : انظر يا ابن ميّادة الزانية ؛ أهذا كما نَعَتَّ ؟ فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلتَ ؟ : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسِيّاتُ في كلِّ زينةٍ — فُرُوجاً كآثارِ الصِّغارِ من البَهْمِ[3]

قال : قلتُ : لا والله يا سيّدتي ، ما هكذا قلتُ ولكن قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسِيَّاتُ في كلِّ زينةٍ — فروجاً كآثارِ المُقَيْسِرةِ الدُّهْمِ[4]

وانصرف يتشبَّب[5] بها ، فذلك حين يقول : [من الطويل]

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشّوْق والهَوى — لزينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بجُبارِ
كأنّ سَناها لاحَ لي من خَصاصةٍ — على غير قَصْدٍ والمَطِيُّ سَوارِي
حُمَيسِيَّةٌ بالرملتين مَحَلُّها — تَمُدّ بخِلْفٍ بيننا وجِوارِ

قال أبو داود : وكانت بنو حُمَيس حُلفاء لبني سَهْم بن مُرَّة ، ثم للحُصَيْن بن الحُمام . وتمدّ وتَمُتّ واحد .

---

1 شعر ابن ميادة : 229 عن الأغاني .
2 يبغي في ل : يبتغي .
3 الصغار من البهم في ل : المقيصرة الدهم .
4 المقيسرة : الإبل المسانّ .
5 يتشبب في ل : ينسب .

رجعٌ إلى الشعر

[من الطويل]

تُجاوِر من سهْم بن مُـرّة نِسوةٌ ... بمُجْتَمَـع النقبين غيرَ عواري[1]
نواعِـمَ أبكـاراً كأنّ عيونَهـا ... عيـونُ ظِبـاء أو عيـونُ صُوارِ[2]
كأنّا نراهـا وهـي منّا قريبةٌ ... على متْن عصْماءِ اليَدَيْن نَوارِ[3]
تَتَبّعُ مـن حِجـر ذُرا مُتَمَنّع ... لها مَعقِلٌ في رأس كلّ طَمارِ[4]
يَدُور بهـا ذو أسهُـم لا ينالها ... وذو كَلَبـات كالقِسيّ ضَوارِي
كأنّ على المَتْنَيْـنِ منهـا وَدِيّةً ... سقَتْها السواقِي من وَدِيّ دَوارِ[5]
يَظَلّ سحيقُ المِسْك يقطُرُ حَوْلَها ... إذا الماشِطاتُ احتفنـه بمَـداري
وما رَوْضةٌ خضراءُ يضرِبها الندى ... بها قُـنّـةٌ مـن حَنْـوَةٍ وعَـرارِ[6]
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُـل ساطعاً ... بما التفّ مِن دِرْعٍ لهـا وخمارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً ... على غفلـةٍ فاستسمعت لخُوارِ[7]
بأحسنَ منها يـومَ قامتْ فأتْلعتْ ... على شَرَكٍ مـن رَوْعـةٍ ونِفارِ[8]
فليتَكِ يـا حسناءُ يا ابنةَ مالكٍ ... يَبيعُ لنا منـكِ المَـوَدّةَ شارِي[9]

[ابن ميّادة وزينب بنت مالك]

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أبو حرملة منظور بن أبي عَدِيّ الفَزاريّ ثم المَنْظورِيّ عن أبيه قال حدّثني رَمّاح بن أبرَد قال: خرجتُ قافلاً من السَّلْع[10] إلى نَجْد حتى إذا كنتُ ببعض أهْضام[11] الحَرّة (هكذا في نُسختي، وأظنّه هِضاب

1 النقبين في ل: الصفين.
2 الصوار هنا قطيع البقر.
3 عصماء اليدين: في يديها بياض. وتوصف به الخيل والظباء والوعول. ونوار: نفور.
4 حجر في ل: حجن. الطمار: المكان المرتفع.
5 الودية: فسيلة النخل وهي هنا كناية عن ضفيرة من الشعر. السواقي في ل: السواني.
6 الحنوة نبات طيب الرائحة وكذا العرار.
7 نغمة في ل: فغمة.
8 أتلعت: مدّت عنقها.
9 شاري: بائع.
10 سلع: جبل قرب المدينة.
11 أهضام: جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض.

الحَرّة)[1] رُفِع لي بيتٌ كالطِّراف العظيم ، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيتٌ مَنْ بيوت بني مُرّةَ وبِي من العَيْمة[2] إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشْرَب من لبنهم ، فلمّا كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ عليّ امرأةٌ بَرْزَة بفِناء البيت ، وحَيّت ورحّبت واستنزلتني فنزَلتُ ، فدعَتْ بلبن ولِبَأ ورِسْل من رِسْل[3] تلك الغنم ، ثم قالت : هَيا فلانةُ البَسي شَفّاً واخرُجي ، فخرجتْ عليّ جاريةٌ كأنّها شَمعة ما رأيتُ في الخَلْق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُوارِي منها شيئاً وقد نَبا عن رَكَبِها ما وقع عليه من الثوب فكأنّه قَعْبٌ مُكْفَأ ، ثم قالت : يا ابن ميّادة الخبيثة ، أأنت القائل : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسيَّات في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِّغارِ مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله ، جعلني الله فِداك يا سيّدتي ، ما قلت هذا قطّ ، وإنّما قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسيَّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيسيّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن ميّادة قصيدته :

أَلِمّا فَزُورا اليومَ خيْرَ مَزارِ

[أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني مَوهُوب بن رَشيد الكِلابيّ قال : أعطى الوليد بن يزيد ٱبن ميّادة جاريةً طَبَرِيّة أعجميَّة لا تُفْصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجمة ، فعشِقها وقال فيها[4] : [من الوافر]

جَزاكَ الله خيراً من أمير ... فقد أَعطيتَ مِبْراداً سَخُونا
بأَهلِي ما أُلَذِّك عندَ نفسي ... لَوَ ٱنّك بالكلام تُعَرِّبينا[5]

---

1 الظاهر أنّ ما بين قوسين ليس من صلب الكتاب ولعلّها حاشية على بعض النسخ فأدخلها ناسخ لاحق في المتن ، لأنّ أبا الفرج يروي رواية عن الحرميّ بن أبي العلاء . وعندما يقتبس من كتابه يقول «نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء» .

2 العيمة : شهوة اللبن .

3 الرسل : اللبن .

4 شعر ابن ميادة : 231 .

5 بأهلي في ل : بنفسي .

كأنّكِ ظبيــةٌ مَضَغَتْ أراكاً بوادِي الجِزْعِ حــين تُبَغِّمِينا[1]

[ملاحاته مع رجل من بني جعفر]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إسحاق بن شُعَيْب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : ورَدتُ على بني فَزارة ساعياً[2] ، فأتاني ابنُ ميّادة مُسَلِّماً عليّ ، وجاءتْني بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً مَوسوماً بجمال ، فلمّا رأيُته أعجبني ، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم : أي أخوالي هذا ؟ فوالله إنّه ليَسُرّني أنْ أرى فيكم مثلَه ؛ فقالوا : هذا ، أمْتعَ الله بك ، رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إليّ ابن ميّادة ، وكان قريباً منّي ، وقال : لا يغرنّك ، بأبي أنت ، ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقلَ لـه ؛ فسمعه الجعفريُّ فقال : أفيّ تقَع يا ابن ميّادة وأنت لا تَقْرِي ضيفك ؟ فقال له ابن ميّادة : إن لم أقره قراه ابن عمّي وأنت لا تَقْرِي ولا ابن عمّك . قال ابن عمران : فضحِكت ممّا شَهِد[3] به ابن ميادة على نفسه .

[بخيل لا يكرم أضيافه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن المُعَلَّى بن نوح[4] الفَزاريّ قال حدّثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فَزارة قال : ضِفتُ ابن ميّادة فأكرمني وتحفَّى بي وفَرّغ لي بيتاً فكنتُ فيه ليس معي أحد ، ثم جاءني بقَدَح ضخْم من لبن إبله فشربته ثم ولَّى ، فلم يَنْشَب أن جاءني بآخرَ فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتّى عاد بآخرَ فقلتُ : حَسْبُك يا رَمّاح فلا حاجةَ لي بشيء ؛ فقال : اشرَب بأبي أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مَدْحُورا[5] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمِّي مُصْعَب عن جَدِّي عبدِ الله بن مُصْعب قال : أتينا ابن ميّادة نتلقّى منه الشعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شَنَّةٍ ؟ فظنّنّاها تمراً ، فقلنا له : هاتِ ، لنَبْسُطَه بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فَضلةٌ من خَمْر قد شُرِب بعضُها وبقِي بعضٌ ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

[دعي في وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيريّ قال حدّثني نعمة

---

1 التبغيم : ترخيم الصوت .

2 ساعياً : جابياً للصدقات .

3 ل : باء .

4 ل : برج .

5 مدحوراً : مطروداً .

الغِفاريّ قال : قدِم ابن ميّادة المدينة فدُعِي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمةُ حَرَساً يضرِبون الزَّلاَّلين[1] بالسِّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجَعَ وهو يقول[2] : [من الطويل]

ولّما رأيتُ الأُصْبَحِيّة قنّعتْ ... مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوى العمائمُ

تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءه ... وقلتُ صحيحٌ مَن نجا وهو سالمُ

[رقيباه على نسائه]

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال : قال الوليد بن يزيد لابن ميّادة في بعض وِفاداته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ قال : رَقيبين لا يُخالفاني طَرْفة عين : الجُوع والعُرْي . وهذا القول والجواب يُرْوى أنّ عمرَ بن عبد العزيز وعَقِيلَ بن عُلّفَة تراجعاهما ، وقد ذُكِرا في أخبار عَقِيل .

[مدحه لأبي جعفر المنصور]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب وأخبرني محمّد بن مَزْيَد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب : أنّ ابن ميّادة مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها[3] : [من الكامل]

طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقة من إبله ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشرِبَه ثم مَسَح على بطْنِه ثم قال : سبحان الله ؛ إنّ هذا لهو الشَّرَه ؛ يكفيني لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج وأغتربُ في طلب المال ! ثم رجَعَ فلم يخرُج . وهذه القصيدةُ من جَيّد شعر ابن ميّادة ، أوّلها : [من الكامل]

وكواعبٍ قد قلن يَوم تَواعُدٍ ... قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزّاحِ

يا ليتَنا في غير أمرٍ فادِحٍ ... طَلَعتْ عَلَيْنا العِيسُ بالرَّمّاحِ

بَيْنا كذاكَ رأينَني مُتَعَصِّباً ... بالخَزِّ فوق جُلالة سِرْداحِ[4]

---

1 الزلالين : الطفيليين .

2 شعر ابن ميادة : 228–229 عن الأغاني وأنساب الأشراف 12 : 50 .

3 شعر ابن ميادة : 99–100 وفي الروايات اختلاف في اللفظ باختلاف المصادر .

4 الجلالة : الناقة العظيمة . وسرداح : أي طويلة أو كثيرة اللحم .

فيهنّ صفراءُ المَعاصِمِ طَفْلَةٌ ... بيْضاءُ مثلُ غَريضةِ التُّفّاحِ[1]
فنظَرنَ من خَلَلِ الحِجال بأعينٍ ... مَرْضى مُخالِطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتشن حين أَرَدْنَ أنْ يرمِينَني ... نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقِدَاحِ

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم :

فلئِنْ بَقِيتُ لأَلحقَنّ بأَبْحُرٍ ... يَنْمينَ لا قُطْعٍ ولا أنْزاحِ[2]
ولآتِيَنّ بَنِي عليٍّ إنّهمْ ... مَن يأتهم يُتَلقّ بالإفلاحِ[3]
قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهمُ ... بيعَ الثناء هَناك بالأرباحِ
ولأجْلِسَنّ إلى الخليفة إنّه ... رَحْبُ الفِناء بواسع بَحْباحِ

وهي قصيدة طويلة .

[قوله عندما أصاب الحاج بمكّة مطر شديد وصواعق]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سلمة قال : اعتمرتُ في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابن ميادة بمكّة وقدِمها مُعتمراً ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق ، فجلس إليّ ابن ميادة الغَدَ من ذلك اليوم ، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث فيقولون : صَعِق فلان وانهدم منزل[4] فلان ؛ فقال ابن ميادة : هذا العَيْث[5] لا الغَيْث ؛ فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال : [من الطويل]

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ ... ولا مُحْرِقاتٍ ماؤهُنّ حَمِيمُ[6]
إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها ... بكيْنَ بها حتّى يَعيش هَشِيمُ

[استحسان الناس لشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير عن أبيه قال : جلستُ أنا وعيسى بن عُمَيْلة وابن ميّادة ذات يوم ، فأنشدنا ابن ميّادة شعره مَلِيّاً ، ثم أنشدنا

---

1 الطفلة : اللينة . غريضة : رقيقة البشرة ناعمة .
2 قطع : ناضبات . وأنزاح : نزح أكثر مائها .
3 الإشارة هنا إلى علي بن عبد الله بن العبّاس جدّ المنصور .
4 ل : دار .
5 العيث : الفساد .
6 صيب في ل : صيّف .

قوله[1] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هـل أبيتنَّ ليلـةً ... بحـرَّة ليـلى حيـث ربَّتنـي أهـلي

بـلادٌ بهـا نِيطـتْ عـليّ تمائمي ... وقُطِّعـن عنِّـي حـين أدركني عَقلي

وهل أسمعنّ الدهـرَ أصوات هَجْمَةٍ ... تَطالَع من هَجْـل خَصِيبٍ إلى هَجْلِ

صُهَيْبِيّةٍ صفـراءَ تُلْقِـي رِباعهـا ... بمُنْعَرِج الصَّمّان والجَـرَع السهلِ[2]

تلقي رباعها : تطرح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهـل أجمعنّ الدهـرَ كفَّـيَّ جَمْعةً ... بمَهْضومَةِ الكَشْحَيْنِ ذاتِ شَوًى عَبْلِ

مُحلَّلـةٍ لي لا حَرامـاً أتيتُهـا ... من الطيباتِ حين تَرْكُضُ في الحِجْلِ

تميـلُ إذا مـالَ الضجيـع بعِطْفِها ... كما مال دِعْصٌ من ذُرا عَقِـد الرملِ

فقال له عيسى بن عُمَيلة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحبيل[3] : [من الطويل]

لقد حَرَّمت أُمِّي عليّ عَدِمْتُها ... كَرائمَ قومي ثمّ قِلّةُ ماليا

فقلت له : فاعطِف إذاً على أَمَة بني سُهيلٍ فهي أعنَدُ وأنكد ، وقد كنت أظنّ أنّ ميادة قد ضربت جأشك[4] على اليأس من الحرائر ، وأنا أداعبه وأُضاحكه ؛ فضحِك وقال[5] : [من الطويل]

أَلم تَرَ قومـاً يَنكِحون بمالِهِمْ ... ولو خَطَبتْ أنسابُهم لم تُزَوّجِ[6]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره : أنّ حُسَيْنة اليساريّة كانت جميلة ، وآلُ يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تَيْماء ، ولهم هناك عدد وجَلَد ، وقد انتسبوا في كَلْب إلى يسار بن أبي هند فقبِلهم[7] بنو كلب ، قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يَسار ، وكان ابن ميّادة يزورها ؛ وفيها يقول : [من الوافر]

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيـث شِئْنـا ... وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ[8]

1 شعره : 199–200 .

2 بمنعرج الصمّان في ل : بمعتلج الصمان ؛ والصمان موضع .

3 شعر ابن ميادة : 239 .

4 ضرب جأشاً : اطمأن قلبه . والمعنى هنا أنّ أمّه جعلته ييأس من الاقتران بالحرائر لضعف نسبها .

5 شعر ابن ميادة : 94 عن الأغاني .

6 أنسابهم في ل : أماتهم .

7 ل : وقبيلتهم .

8 شعر ابن ميادة : 159 عن الأغاني وأنساب الأشراف .

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميّادة عندها ، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنة حتى أفلت ابن ميّادة ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد ظلّتْ تُعاونُني عليهــمْ صَمُوتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ[1]
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ يُقطِّــع سَلْحَه خَلْفَ الجِدارِ

[ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدّثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغْلِبيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُميرة العَدَويّ عن أبي العلاء ابن وثّاب قال : قَدِمَ ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمُر عنده في الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّي أَهُمّ أن أتزوّج ، فابغوني أيِّماً ؛ فقال له ابن ميّادة : أنا أَدُلُّك ، أصلحك الله أيّها الأمير ؛ قال : على مَن يا أبا الشَّرَحْبيل ؟ قال : قدِمتُ عليك أيّها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمَن فيه الجنّةُ وأهلُها ، فوالله لبَيْنا أنا أمشي فيه إذْ قادتني رائحة عطْر رجل حتى وَقَفَت بي عليه ، فلمّا وقع بصري عليه استلهاني حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتّى تكلّم ، فخِلْته لمّا تكلّم يتلو زبوراً أو يدْرُس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتّى سكَت ، فلولا معرفتي بالأمير لشككتُ أنّه هو ، ثم خرج من مُصلاّه إلى داره ، فسألت : مَن هو ؟ فأُخبِرت أنّه للْحَيَّيْن وبين الخليفتين ، وأنْ قد نالته ولادةٌ من رسول الله ﷺ لها نور ساطع من غُرّته وذؤابته ، فنعم المُنكِحُ ونعم حَشْو الرحْل وابنُ العَشِيرة ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكرُه البلاد . فلمّا قضى ابن ميّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

لهم نَبْوَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّمُ[3]

قال يحيى بن عليّ : وممّا مدَح به عبد الواحد لمّا قَدِم عليه قوله[4] : [من الكامل]

مَــن كان أخطأه الربيعُ فإنّمــا نُصِرَ الحجاز بغَيْثِ عبدِ الواحدِ[5]
إنّ المدينــةَ أصبحــتْ معمورةً بمُتَوَّجٍ حُلْـوِ الشمائـلِ مــاجدِ

---

1 كاظمة السوار : لا يسمح لسوارها أو حجلها صوت لامتلاء معصمها وساقها . وفي ل : كاظمة السرار .
2 شعر ابن ميادة : 223 .
3 فهو في ل : فضل .
4 شعر ابن ميادة : 112 .
5 الحجاز في ل : الربيع .

ولقد بَلَغتَ بغير أمرِ تَكَلُّفٍ أعلى الحظوظِ برَغْم أَنْفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراق ويَثْرِبٍ مُلْكاً أجارَ لمسلم ومُعاهِدِ
مالَيْهِما ودَميْهِما من بعد ما غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

[التقاؤه في طريق مكّة بجماعة يرتجزون بشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن زيد السُّلَميّ قال : إنّا لَنزولٌ أنا وأصحابٌ لي قبل الفِطْر بثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا ، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتفٌ بثوب والسماء تغسِله حتى أناخ إلى أَجَمٍ عَرَفته ، فلمّا رأيناه لَثِقاً[1] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقَيَّدنا جَمَلَه ، فلمّا أقلعتِ السماء عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منّا يرتجزون والرَّجُلُ لم ينتسب لنا ولا عرفناه ، فارتجز أحدهم فقال[2] : [من الرجز]

أنا ابنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ أَمَرُّ من مُرٍّ وأَحْلى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يا ابن أخي ، أَتَدْري من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم ، ابن ميّادة قال : فأنا هو ابن ميادة الرَّمّاح بن أَبْرَدَ ، وبات يُعلِّلنا من شعره ، ويقطع عنّا الليل بنشيده ، وسرينا راحلين فصَبَّحنا مكّة فقضينا نُسُكَنا ، ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بني مُرّة فعرفهما وعرفاه وأفطرنا بمكّة ، فلمّا انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارسين مُسَوّدين وراجِلين[3] مع المرِّيَّين يقولون : أين ابن ميّادة ؟ فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كنّا فيها ، فقلنا لابن ميّادة : ابرُز ؛ فلمّا نظَر إلى المرِّيَّين قال : [من الرجز]

إحدى عَشيّاتِك يا شميرجْ

[محاورته مع عبد الصمد بن علي]

قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سُلَيم يقوله لفرسه : [من الرجز]

أقولُ والرّكبة فوقَ المِنْسَجْ إحدى عَشيَّاتِك يا شميرجْ[4]

ويروى : مشمرج ، فقالوا لابن ميّادة : أجب الأمير عبد الصمد بن عليّ ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدوة ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شجرة ، فدخَلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدتُه جالساً متوشِّحاً بمِلحفةٍ مُوَرَّدة ؛ فقال لي : مَن أنت ؟

---

1 لثقاً : مبتلاً .
2 شعر ابن ميادة : 218 .
3 ل : وراحلتين .
4 منسج الفرس : ما بين العرف وموضع اللبد .

قلتُ : رجلٌ من بني سُلَيم ؛ فقال : ما لك تُصاحب المُرِّيّ وقد قتلوا معاوية بن عمرو ؛ وقالت الخنساء[1] : [من المتقارب]

أَلا مــا لِعَيْنِـي أَلا مـا لَها لقـد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها

فَآلَيْـتُ آسَى على هالـكٍ وأَسأَلُ نائحـةً مـا لَها

أَبعدَ ابنِ عمرو مِنَ الِ الشَّريد حَلّـتْ بـه الأرضُ أَثقالَها

فإنْ تَـكُ مُـرّةُ أَوْدَتْ بـه فقــد كان يُكثِـر تَقْتالَها

أَتَرويها ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ، وما زال من المعركة حتى قَتَل به خُفاف بن عمرو المعروف بابن نُدبة كبش القوم مالك بن حِمارٍ الفزاريّ ثم الشَّمخيّ[2] ، أمَا سمِع الأميرُ قولَ خُفاف بن ندبة في ذلك[3] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيْلِي قد أُصيب صَميمُها فعَمْداً على عينٍ تَيمّمْتُ مالِكا[4]

تيمّمتُ كَبْشَ القوم حين رأيتُه وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالِكا[5]

أقــولُ لــه والرمحُ يأْطِرُ مَتْنَه تَأمّــل خُفافــاً إنّني أنا ذَلِكا[6]

وقد توسَّط معاوية بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتل كبش القوم الذي أُصيب بأيديهم ؛ فقال : لله دَرُّكَ ! إذا ولدتِ النساءُ فلْيَلدن مثلَك ؛ وأمر لي بألف درهم ، فدُفِعت إليَّ وخلع عليّ .

وأُدخل ابن ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة ؛ فقال له : لا سلّم اللهُ عليك يا ماصّ كذا من أمه ؛ فقال ابن ميادة : ما أكثر الماصِّين ! فضحِك عبد الصّمد ، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميّادة التي يقول فيها : [من الطويل]

لنا المُلــكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ رِقابُها[7]

---

1 الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر) : 120–123 وسترد مرّة أُخرى في الأغاني في ترجمة الخنساء .

2 الشمخيّ : نسبة شمخ وهم بطن من فزارة .

3 الأبيات في مجموع شعر خفاف بن ندبة (جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي) . وسترد مرّة أُخرى في ترجمة خفاف في الأغاني وفي ترجمة الخنساء . وانظر العقد الفريد 5 : 163–166 والخزانة 5 : 438 وما بعدها .

4 على عين : بجد ويقين . يقال فعلت كذا عمداً على عين وفعلته عمد عين . وفي ل : على عيني .

5 حين في ل : لما . وجانبت في ل : جنّبت .

6 يأطر : يثني ، يعطف .

7 داخت : ذلّت وخضعت .

ثم قال لابن ميّادة : أُعتِق ما أَمْلِك إن غادرتَ منها شيئاً إن لم أُبلُغ غيظَك ، فقال ابن ميّادة : أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه ؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا ؟ قال نعم ؛ قال : أفكنتَ أمِنْتَ يا ابن ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ من قريش فيَضرِب رأسك ؟ فقال : ما أكثر البازين ! أفكان ذلك البازيّ آمِناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُول رِجلاه ! فضحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم .

[تمثّل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الصمد[1] بن شبيب قال قال أبو حُذافة السَّهْميّ : سَبّ رجلٌ من قريش في أيّام بني أميّة بعض ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناس يَعجبون من صبره عليه ، فلمّا أطال أقبل الحَسنيّ[2] عليه متمثّلاً بقول ابن ميّادة[3] : [من الطويل]

أظنَّتْ سَفاهاً من سَفاهة رأيِها ... أنَ اهْجُوَها لّما هَجَتْنِي مُحارِبُ

فلا وأبيها إنّني بعَشِيرتي ... ونَفْسِيَ عن ذاك المَقامِ لراغِبُ

فقام القُرشيّ خَجِلاً وما ردَّ عليه جواباً .

[مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة]

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاّم قال : مدح ابن ميّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرني مِسمَع بن عبد الملك أنّه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه . قال فقال له : جزاكَ اللهُ خيراً . ممّن أنتَ رحمك الله ؟ قلتُ : أحدُ بني مِسمع ؛ قال : ممّن ؟ قلتُ : من قَيس بن ثعلبة ؛ قال : ممّن ؟ عافاك الله ! قلتُ : من بكر بن وائل ؛ قال : والله لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قطّ أو عرفتُهم لمدحتُك ، ولكنّي ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عرفتهم ، ثم مدح جعفراً فقال[4] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بني عليٍّ ... بنابِيَةِ الظُّباةِ ولا كِلالِ

هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثوا أباهُمْ ... تُراثَ محمّدٍ غيرَ انتحالِ

---

1 ل : عبد الله .

2 ل : الحسيني .

3 شعر ابن ميادة : 243 ورواية البيت الثاني فيه : «معاذ الإله إنّني . . .» .

4 شعر ابن ميادة : 214 عن الأغاني .

وهـــم تَرَكوا المقال لهم رفيعاً   وما تَرَكـوا عليهم مـن مَقالِ[1]
حَذَوْتُمْ قومَكم ما قـد حَذَوْتُمْ   كما يُحْذى المثـالُ على المِثالِ
فَــرُدُّوا في جِراحِكُـمُ أساكم   فقـــد أبْلَغتـمُ مُـرَّ النَّكالِ[2]

يُشير عليه بالعفو عن بني أميّة ويُذَكِّره بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المَدِينيّ عن محمد بن سلاّم ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرِّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره : قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبُّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاك ابنُ عَمِّك رِياح[3] بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيُّها الأمير ، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عَمِّك الوليد بن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذي تقول[4] : [من الطويل]

بَنِي أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبوا   وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

قال : لا والله ، ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ .

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثـمّ تَغْضَبوا   وتَعْدلْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

[هجا بني أسد وبني تميم]

قال : صَدَقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميّادة بني أسد وبني تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان : [من الطويل]

وأحقـرُ محقـورٍ تَميمٌ أخوكُـمُ   وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُها ورِبابُـها
ألا ما أبالي أن تُخَندِفَ خِندِفٌ   ولستُ أُبـالي أن يَطِـنَّ ذُبابُـها[5]
ولو أنّ قَيْساً قَيسَ عَيْلانَ أقسمتْ   على الشمسِ لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها
ولـو حاربتْنا الجنُّ لم نَرفعْ القَنا   عن الجنّ حتى لا تَهِـرَّ كِلابُـها
لنـا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئـاً تَعُدُّه   قُرَيشٌ ولـو شِئنا لَذَلَّتْ رِقابُـها

---

1 المقال في ل : المقام .
2 الأسى : المداواة والعلاج .
3 ل : رماح .
4 شعر ابن ميادة : 77–78 .
5 تخندف : تهرول .

وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها ... مَعاذَ الإلهِ أن أكونَ أهابُها
وإنّي لقوّالُ الجوابِ وإنّني ... لَمفتجرٌ أشياءَ يُعيِي جوابُها[1]
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ ... يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابُها

[ابن ميادة وسماعة بن أشول]

قال إسحاق في خبره فحدّثني جَبْر بن رباط بن عامر بن نصر قال : فقال سَماعة بن أَشْوَل النعاميّ يعارض ابن ميّادة : [من الطويل]

لعلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ به ... رِعاءَ الشَّوِيّ من مُريحٍ وعازِبِ[2]
يُسامي فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ ... عليه ثنايا المجدِ من كلّ جانبِ

فقال ابن ميّادة : مَن هذا ؟ لقد أغلقَ عليّ أغلق اللهُ عليه ! قالوا : سَماعة بن أَشْوَل ؛ فقال : سماعةُ يُسَمِّع بي[3] ، وأَشْوَلُ يَشُول بي ، والله لا أُهاجيهِ أبداً ، وسكت عنه .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ أحدُ بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد يردُّ على ابن ميّادة ، وهي قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتاً : [من الطويل]

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذي ... رَبا وهي وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثة الأطرافِ لم يَقْنَ كَفَّها ... خِضابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها[4]
أرمّاحٌ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِندِفٍ ... يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها واعتيابُها[5]

ويروى «اغتيابها» من الغِيبة . و«اعتيابها» من العَيْب .

ولو أَغْضَبَتْ قَيْسٌ قُرَيشاً لجَدَّعَتْ ... مَسامعَ قَيسٍ وهي خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رَمّاحُ ابن واهصة الخُصى ... على قومه حَرْباً عظيماً عَذابُها
وقد عَلِمَ المملوحُ بالشوْم رأسُهُ ... قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيْساً غِضابُها[6]
ولم تَحْمِها أيّامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ ... وأيّامَ قَتْلى كان خزياً مُصابُها

---

1 يقال افتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه . وفي ل : لمفتخر .
2 الشوي : اسم جمع للشاة .
3 يسمّع بي : يشهرني ويفضحني وكذلك يشول بي .
4 شرنبثة الأطراف : غليظتها . لم يقن : لم يقنأ أي يصبغ .
5 قصبها : عيبها .
6 بالشوْم في ل : بالشأم .

ولا يَـوْمَ لاقينا نُميراً فَقُتِّلَتْ نُمَيرٌ وفَـرَّتْ كَعْبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجبْكَ وحَوْلَها خُيُـولُ تميـم سَعْدُهـا ورِبابُها
ولو أنّ قيساً قيسَ عَيْلان أَصْحرتْ لأنـواء غَنْـمٍ غَرَّقتهـا شِعابُها
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ لكان لنـا إشراقُهـا واحتجابُها
ولكنّهـا للهِ يَمْلِـكُ أمرَهـا بقُدْرتـه إصعادهـا وانصبابُها
لَعَمْري لئن شابتْ حَلِيلةُ نَـهْبَلٍ لبئسَ شبابُ المـرءِ كان شبابُها
ولم تـدرِ حَمْراءُ العِجانِ أَنَـهْبَلٌ أبـوهُ أم المُـرِّيّ تَـبَّ تبابُها
فإن يـكُ رَمَّـاحُ بنُ ميّادةَ التي يُصِنّ إذا باتَـتْ بأرضٍ ترابُها
جَرَى جَرْيَ موهونِ القُوى قَصَّرتْ به لئيمةُ أعـراقٍ إليـه انتسابُها
فلن تَسْبق المضمار في كلّ مَوْطنٍ من الخيلِ عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها[1]
وواللهِ لـولا أنّ قَيْساً أذِلّـةٌ لئامٌ فـلا يُرْضـى لحُـرٍّ سِبابُها
لألْحقتُها بالزَّنْـج ثـم رَمَيْتُها بشنعاءَ يُعيـي القائلـين جَوابُها

[ابن ميّادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشيبانيّ فعرضتُه على أبي داود فعرَفه أو عامّتَه ، قال : إنّا لجلوسٌ على الهَجْم[2] في ظلّ القَصْر عَشيَّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو في جماعة من بني عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بَنِيه : اذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابن ميّادة : هذه يـا أبـا جعفر السِّعْلاة ، أفلا أُنشِدُك ما قلتُ فيها ؟ قال : بَلى فهات ؛ فقال[3] : [من الطويل]

قَعَدْتُ على السِّعلاة تَنْفَضُ مِسْحَها وتُجْذَبُ مِثلَ الأَيْمِ في بُرَة الصُّفْرِ[4]
تُيَمِّـمُ خيرَ الناسِ مـاءً وحاضراً وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدري[5]

1 تسبق في ل : الصمات .
2 الهجم : ماء لبني فزارة .
3 شعر ابن ميادة : 152–153 عن الأغاني .
4 الأيم : الحية .
5 الحاضر : الحي العظيم .

فإنّـي على رَغْـمِ الأعادِي لقائلٌ وَجَدْتُ خِيارَ الناسِ حَيَّ بني بدرِ
لهـم حاضرٌ بالهَجْم لم أرَ مثلهم من الناسِ حيّاً أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهـم يَفيءُ عليه الظلُّ من جانبِ القَصْرِ
أخُصُّ بهـا رَوْقَـيْ عُيَينة إنّه كذاك ضحاحُ الماء يأوِي إلى الغَمْرِ
فأنتم أحقُّ الناسِ أن تتخيَّروا الـ ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلدِ القَفْرِ

قال : فكان أوّل قائم من القوم ركضةُ بن عليّ بن عُيَينة ، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان ، وكانت إبلُه في العَطَن[1] وهي أكرمُ نَعَمِ بني عُيَينة وأكثرُه ، فقال : ما سمعتُ كاليوم مَدِيحَ قَوْمٍ قطّ ، حُكْمُك ماضٍ في هذه الإبل ؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، وقام آخر وآخر ؛ فقال ابن ميّادة : يا بني عُيينة ، إنّي لم آتكم لتتبارى لي شياطينكم في أموالكم ، إنّما كان عليّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعْطوني أبْكُراً أبيعها في دَيْنِي . فأقامَ عندَ أبان بن سعيد خمسةَ عشرَ يوماً ، ثم راح بتسع عشرة ناقة ، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشراءُ أو رَباعيّةٌ . قال يحيى في خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة : إنّي على الهَجْم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّف راحلتَه في الحِياض فيردّه الرجل بعد الرجل ، فدعوته فقلت : اشْرَعْ في هذا الحوض ؛ فلمّا شَرع فسَقى قال : مَن هذا الفتى ؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة ؛ فقال[2] : [من الطويل]

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن لآبـاء سَوْءٍ يَلْقَهـم حيثُ سَيَّرا
فما العـودُ إلاّ نابـتٌ في أُرُومه أبى شَجَـرُ العِيـدان أن يتغيّرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله : [من الطويل]

كذاك ضحاحُ الماء يَجْرِي إلى الغَمْرِ

فقال : أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه ، كما يصير الماءُ إلى الغَمْرة حيث كانت .

[ابن ميّادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ قال أخبرني مُصعَب بن الزبير قال : ضافَ ابنُ ميّادة أيّوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه ، وابن ميّادة من أخوال أيوب بن سلمة ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

---

1 العطن : مبرك الإبل .

2 شعر ابن ميادة : 272 وقد وضعهما جامع الشعر في ما ينسب إلى ابن ميادة وليس له . وهما ينسبان أيضاً لجميل بثينة ونهشل بن حري أو يردان دون نسبة .

3 شعر ابن ميادة : 216 عن الأغاني .

ظَلِلْنا وُقُوفاً عند باب ابن أختنا وظلَّ عن المعروفِ والمجدِ في شُغْلِ
صَفاً صَلَدٌ عند النـدَى ونَعامَـةٌ إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذِها العُصْلِ

[ابن ميّادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيّوب وأخبرني مصعب قال : قدم ابن ميّادة على رِياح بن عثمان ، وقد وَلِيَ المدينة وهو جادٌّ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذْ حَرَساً وجُنْداً من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك ، وحَذارِ من قريش ؛ فاستخفَّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلمّا قُتِلَ رِياح قال ابن ميّادة[1] : [من الوافر]

أمرتكَ يـا رِياحُ بأمرِ حَزْمٍ فقلتَ هَشِيمةٌ من أهل نجدِ
وقلتُ لـه تحفَّظ من قُريشٍ ورَقِّـع كلَّ حاشيـةٍ وبُردِ
فوجداً ما وَجَدْتُ على رِياحٍ وما أغنيتُ شيئاً غيرَ وَجْدِي

[تشبيبه بالنساء]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدّثني أكثم بن صَيفِيّ المُرِّيّ ثم الصارديّ عن أبيه قال : كان ابنُ ميّادة رأى امرأة من بني جُشَم بن معاوية ثم من بني حَرام يقال لها أمّ الوليد ، وكانوا سارُوا عليه ، فأُعجبَ بها وقال فيها[2] : [من الطويل]

ألا حَبّـذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَـعٌ لنا ولهـا نَشْتُو بـه ونَصِيفُ

ويروى :

. . . . ومَرْبع لنا ولهـا بالمشتوى ومصيفُ
حَرامِيَّةٌ أمّا مَـلاثُ إزارِها فَوَعْـثٌ وأمّا خَصرُها فلطيفُ
كأنّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها إذا زالَ عنها بُرْقُـعٌ ونَصِيفُ
بهـا زَرَجُوناتٌ بقَفْرٍ تَنَسَّمت لهـا الريحُ حتى بينهنّ رَفِيفُ[3]

قال : فلمّا سمع زَوجها هذه الأبيات أتاها فحلَف بطلاقها لئن وَجَدَ ابن ميّادة عندها لَيَدُقّنَّ فَخِذَها ، ثم أعرض عنها واغترّها[4] ، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقّ فخذها ، واحتمل فرحل

1 شعر ابن ميادة : 114 .
2 شعر ابن ميادة : 171 .
3 الزرجونة : شجرة العنب .
4 اغترها : راقبها وطلب غرتها .

ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميّادة[1] : [من الوافر]

أتانا عـــامَ سار بنو كلابٍ حَراميّــون ليسَ لهـم حَرامُ
كأنّ بيوتهـــم شجرٌ صِغارٌ بقِيعانٍ تَقِيـلُ بهـــا النَّعامُ
حَراميّــون لا يَقْرُون ضَيْفاً ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها : أمّ البَخْتَرِيّ ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها[2] : [من الطويل]

أرِقــتُ لِبَرْقٍ لا يُفَتِّــر لامعُــهْ بشُهْب الرُّبى والليلُ قد نام هاجعُهْ[3]
أرِقتُ له من بعد مـا نام صُحْبَتِي وأعجبنــي إيماضُــه وتتابعُـــهْ
يُضيءُ صَبِيراً من سَحابٍ كأنّه هِجانٌ أرنّـــتْ للحنــين نوازعُهْ[4]
هَنيئاً لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوى بـــه وإن أَنْهَجَ الحبلُ الذي النأْيُ قاطعُهْ[5]
لقد جَعَـلَ المُسْتَبْضِعُ الغشّ بيننا ليَصْرِمَ حَبْلينـــا تَجُـوز بضائعُهْ
فما سَرْحةٌ تَجْرِي الجداولُ تحتها بمطَّرِدِ القِيعـــانِ عَـذْبٍ ينابعُهْ[6]
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضا أَتَرْعَـى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

[خطب امرأة من بني سلمى بن مالك فلم يزوّجوه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأَشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة مـن بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثَة ، وهم بطن يقال لهم البهثاء ، فأبوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك ؛ فقال[7] : [من الطويل]

فلو طاوعَتْنِي آلُ سَلْمَى بن مالكٍ لأعطيتُ مَهْــراً مـن مَسَرّةَ غالِيا
وسِرْبٍ كسِرْب العِين من آل جَعْفَرٍ يُغادِينَ بالكُحْل العُيُونَ السواجِيا

---

1 شعر ابن ميادة : 223 عن الأغاني .
2 شعر ابن ميادة : 167 عن الأغاني .
3 يفترّ : يضعف ويخبو .
4 الصبير : السحاب الأبيض الكثيف . هجان الإبل : البيض .
5 أنهج الحبل : أخلق وبلي .
6 القيعان في ل : القريان .
7 شعر ابن ميادة : 239 عن الأغاني .

إذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ أو كُنَّ دونـه ... بسَرْوِ الحِمَى أَلْقَيْنَ ثَـمَّ المَراسِيا[1]

[مات في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابن ميّادة في صَدْر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ[2] إليه ولا مدحه ، لِما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة[3] ثوابه لهم .

1 النيل : بليدة في سواد الكوفة (ياقوت) أو موضع في بلاد بني كلاب . وفي ل : النير . السرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .

2 ل : يعد .

3 ل : نزارة .

[16] ـ أخبار حُنَين الحِيريّ ونسبه

[نسبه]

حنين بن بَلْوَعَ الحِيريّ مختلف في نسبه ، فقيل : إنّه من العِباديّين من تَميم ، وقيل : إنّه مِنْ بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنّه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم ، ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعراً مُغنِّياً فَحْلاً من فُحول المُغَنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحِيرةَ ويُكْرِي الجمالَ إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانيّاً . وهو القائل يصفُ الحِيرَة ومنزلَهُ بها : [من المنسرح]

صوت

أنـا حُنَينٌ ومَنْزِلي النَّجَفُ ... وما نَدِيمي إلاّ الفتى القَصِفُ
أَقْـرَعُ بالكأسِ ثَغْـرَ باطيةٍ ... مُتْرَعَـةٍ ، تـارةً وأَغترفُ
مـن قهوة باكَـرَ التِّجارُ بها ... بيتَ يَهُودٍ قرارُها الخزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغْذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

الغناء والشعر لحنين ، ولحنُه خفيف رمل بالبنصر . وفيه لابن المكّيّ خفيف ثقيل قديم . ولعَريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ .

[غنّى هشام بن عبد الملك في الحجّ]

أخبرنا وَكِيع قال قال حمّاد حدّثني أبي عن أبي الخطَّاب قال وحدّثني ابن كُناسة عن سليمان بن داود : مولًى ليحيى ، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْهْ عن قَعْنَب بن المحرز الباهليّ عن المدائنيّ قالوا جميعاً : حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه الأبرشُ الكلبيّ ، فوقفَ له حُنين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِيَة طويلة ، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنَين ، فأمر به فحُمل في مَحملٍ على جمل وعَدِيلُه زامرُه ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِنْ سَلْمى بِظَهْرِ الكو ... فَـةِ الآيـاتُ والطَّلَلُ
يلـوحُ كما تلـوحُ على ... جفون الصَّيقلِ الخِلَلُ[1]

---

1 الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويجلوها . والخلل : جمع خلّة وهي بطانة تجعل على السيف وينقش عليها بالذهب أو غيره .

الصنعة في هذا الصوت لحُنَين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره ، قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطّاب أنّه غنّى هشاماً : [من مجزوء الرمل]

صوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْـ ـتيْن مـن أسمـاءَ نارا
مَوْهِنـاً شُبَّـت لعينيـ ـكَ ولم تُوقَـدْ نهارا
كَتَلالي البَرْقِ في المُـزْ نِ إذا البَرْقُ اسْتَطارا
أذكَرَتني الوصلَ من سُعْـ ـدى وأيّامـاً قِصارا

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق . ونسبه ابن المكّيّ إلى الغَرِيض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهِشاميّ : فيه لمالك خفيف رملٍ ، قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزَلَ من النجف ، فأمر له بمائتي دينار .

[كان يغلي ثمن غنائه]

وقال إسحاق : قيل لحُنَين : أنتَ تُغنّي منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلاّ أتيتَ عليه ! فقال : بأبي أنتم ، إنّما هي أنفاسي أَقْسِمها بين الناس ، أَفَتَلُومونَني أن أُغْلِيَ بها الثمن !

[غنّى في الموسم في ظلّ بيت أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكّيّين ، وأخبرني به الحرميّ بن أبي العَلاء وحبيب بن نصر قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمِّي مُصْعب قال حدّثني شيخ من المكّيّين يقال له شَرِيس[1] قال : إنّا لبالأبطَح أيّامَ الموسم نَشْتَرِي ونَبِيع إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بغلة شَهباء ما ندري أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أين بيتُ أبي موسى ؟ فأشرنا له إلى الحائط ؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبي موسى ، ثم استقبلنا ببغلته ووجهِه ثم اندفع يُغَنِّي : [من الخفيف]

صوت

أَسْعِدِينـي بدمعـةٍ أَسْرابِ مـن دمـوعٍ كثيرة التَّسْكابِ[2]

---

1 ل : شويس .
2 أسعديني في ل : أسعداني .

إنّ أهــلَ الحِصاب قــد تركوني مُغْرَمــاً مولَعــاً بأهــلِ الحِصابِ
فارقــوني وقــد علمــتُ يقينــاً مــا لِمَنْ ذاق مِيتــةً من إيابِ
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْت أبي مُو سَى إلى النخلِ من صُفَيِّ السِّبابِ[1]
كَم بذاكَ الحَجُون من حَيّ صِدْق وكهــولٍ أعفَّــــةٍ وشبابِ
أهــــلُ بيتٍ تتايعــوا للمنايــا مــا على الموتِ بعدَهُم من عتابِ
فــليَ الوَيــلُ بعدَهــم وعليهم صِرتُ فــرداً ومَلّنــي أصحابي

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن أبي دُباكِل الخُزاعيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْداذْبهْ ، قال : ثم صَرَف[2] الرجل بغلتَه وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو ؛ فقال : أنا حُنَين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكري الإبل ، ثم مضى .

[خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ ، قال : كان حُنَين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحِيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيّات[3] ، فكان إذا حَمَلَ الرياحين إلى بيوت الفِتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَه وحُسن قَدِّه وحلاوته وخفّة روحه استحلَوه ، وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويَشتهيه ويُصغي إليه ويستمعه ويُطِيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد يُنتَفَع به في شيء إذا سمِعَه ، حتى شَدا منه أصواتاً فأسمعها الناس ، وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت ، واشتهوا غناءه والاستماع منه وعِشرته ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه ، وبَلَغ منه مَبلغاً كبيراً ، ثم رَحَلَ إلى عُمَر بن داود الواديّ وإلى حَكَم الواديّ ، وأخذ منهما ، وغَنَّى لنفسه في أشعار الناس ، فأجاد الصنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولى عليه في عصره . وقَدِم ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حُنيناً ، وقد كان يعرفه ، فخَشِيَ أن يعرفه الناس فيَسْتَحلوه ويَستولي على البلد فيسقُط هو ، فقال له : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذها وانصرف واحلف لي أنّك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف .

أخبرني عمِّي وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المدائنيّ عن أحمد بن

---

1 صفي السباب : موضع بمكّة .
2 ل : ضرب .
3 التحيات : ما يحيا به القادم من باقات الريحان ونحوه .

إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن مُحرز قَدِم الكوفة وبها بِشْر بن مروان ، وقد بلغه أنّه يشربُ الشراب ويسمعُ الغِناء ، فصادفه وقد خرج إلى البصرة ؛ وبلغ خبره حُنين بن بَلْوَع فتلطَّف له حتى دعاه ؛ فغنّاه ابن محرز لحنه ، قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جَيِّد الأغاني : [من المتقارب]

صوت

وَحُــرُّ الزَّبَرْجَــدِ في نَظْمِهِ ... على واضِحِ اللِّيتِ زانَ العُقُودا[1]
يُفَصِّــلُ ياقوتُــــهُ دُرَّهُ ... وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيهِ الفَرِيدا

قال : فسمع شيئاً هاله وحيّره ، فقال له حنين : كم مَنّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَودتك وبدْأتِك ودَعِ العراق لي وامضِ مُصاحباً حيث شئت ، قال : وكان ابن محرز صغير الهِمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثِرُ على الخَلْوة شيئاً ، فأخذها وانصرف .

[خرج إلى حمص وغنّى بها فلم يستطعم أهلها غناءه]

وقال حمّاد في خبره قال ابي حدّثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال : خرجت إلى حِمْص ألتمِس الكَسْب بها وأرتاد مَن أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفِتيان بها وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحَمَّامات فإنّهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأَنِسْتُ وانبسطت ، وأخبرتهم أنّي غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلمّا قعدنا أُتينا بالطَّعام فأكلنا ، وأُتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مُغَنٍّ يُغنّيكم ؟ قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عُوداً فأُتيتُ به ، فابتدأت في هُنيّات[2] أبي عَبّاد معبد ، فكأنّما غَنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا بـه ، فقلت : ثَقُلَ عليهم غناءُ معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيءٍ ، وغنّيتُ خفائف ابن سريج ، وأهزاج حَكَم ، والأغاني التي لي ، واجتهدتُ في أن يفهموا ، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا ؛ فقلت في نفسي : أرى أنّي سأفتضح اليوم بأبي مُنَبِّه فضيحةً لم يَفتضح أحدٌ قطُّ مثلها . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنبِّه ، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنّه جَمّال ، فوثبوا جميعاً إليه وسَلّموا عليه وقالوا : يا أبا مُنبّه أبطأتَ علينا ،

---

1 الليت : صفحة العنق .

2 الهنيات : الأراجيز .

وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً ، وخَنَسْتُ أنا حتى صرتُ كَلا شيءٍ خوفاً منه ، فأخذ العود ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

طَرِبَ البحر فاعبُرِي يا سفينهْ لا تَشُقِّي على رجـالِ المدينهْ

فأقبل القوم يصفِّقون ويَطرَبون ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ، فقلت في نفسي : أنتم هاهنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا أصبحتُ شددتُ رَحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً[1] من شراب ورَحَلت متوجِّهاً إلى الحِيرة ، وقلت : [من الخفيف]

ليتَ شِعري متى تَخُبّ بيَ النا قـةُ بـين السَّديـرِ والصيَّبونِ
مُحْقِباً ركـوةً وخُبْزَ رُقـاقٍ وبُقُـولاً وقطعـةً من نُونِ[2]
لستُ أبغِي زاداً سواها من الشا مِ وحسبـي عُلالـةٌ تكْفيني
فإذا أُبْتُ سالماً قلـت سُحْقاً وبِعـاداً لمعشرٍ فـارقوني

[غنّى خالداً القسريّ بعد ما حرم الغناء]

أخبرني محمد بن مَزيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أأدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرسَلاً ، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة : أنّ خالدَ بن عبد الله القَسْرِيّ حرّم الغناءَ بالعراق في أيّامه ، ثم أَذِنَ للناس يوماً في الدخول عليه عامّة ، فدخل إليه حُنين ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ ذلك بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ؛ فقال له خالد : غَنِّ ؛ فحرّك أوتاره وغنّى : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الشامـتُ المُعَيِّر بالدهـ ـرِ أأنـت المُبَرَّأُ الموفـورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـ ـامِ بـل أنـت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ ذا عليـه مـن أن يُضامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدَك خاصَّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . فكان إذا دُعي قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعرْبِد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

---

1 ل : زكرة وهي زق صغير .
2 ركوة في ل : زكرة .

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد ، والغناء لحُنين رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرأ ، يعني المبرأ من المصائب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

[غنّى بشر بن مروان بحضور الشعبيّ]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحَّاف الكوفيّ قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبِيّ جميعاً ، وأخبرني محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال : لمّا وليَ بِشْرُ بن مروان الكوفة كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عشيَّةً وحاجبُه أعْيَن (صاحب حمّام أعْيَن) جالس ، فقلت له : استأذنْ لي على الأمير ، فقال لي : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعلِمْه ، وخَلاك ذَمٌّ ، فقد حدث أمر لا بدّ لي من إنهائه إليه ، وكان لا يجلس بالعَشيّ ، فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصِّلَها إليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممّن يُحتَشَم منه فَأْذَنْ له ، فأذن لي فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غِلالةٌ رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيحان ، وعلى يمينه عِكْرمة بن رِبْعي ، وعلى يساره خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء ، وإذا بين يديه حُنين بن بَلْوَع معه عُوده ، فسلّمت فردّ عليّ السلام ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك السترُ لكلِّ ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمُل ، والشكرُ على ما تُولِيني ؛ فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه في حِجْره وعليه قباء خُشْك شوِي ، وقال إسحاق : خشكون ، ومُسْتُقَةَ[1] حمراء وخُفّان مُكعَّبان ، فسلَّم عليّ ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب ؛ فقال : بخير أبا عمرو ؛ فقلت : احْزِق الزِّير وأرْخِ البَمّ ففعل ؛ وضرب فأجاد ؛ فقال بشرٌ لأصحابه : تلومونني على أن آذنَ له في كلّ حال ! ثم أقبل عليّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْقُ الزير ؟ فقلت : ظننت أنّ الأمر هناك ؛ فقال : فإنّ الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنَيناً ؟ فقلت : هذا بطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ؟ فضحك ، وغنّى حُنين فأجاد ، فطرِبَ وأمَر له بجائزة ، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ؛ فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبر

1 خشك شوي : قميص خشن . خشكون : زاهي اللون . مستقة : فرو طويل الكمّ أو جبّة واسعة . وجميعها كلمات معرّبة عن الفارسية .

بخطّ أبي سعيد السُّكَّريّ يأْثُره[1] عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جدّه : أنّه كان عند بِشْر بن مروان يوم دخل عليه الشّعبيّ هذا المَدخل وأنّ حنين بن بَلْوَع غنَّاه: [من الطويل]

هُمُ كتموني سَيْرَهمْ حين أزمَعُوا وقالوا اتّعدنا للرَّواحِ وبَكَّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأنّ هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى ، وغُنِّي للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبي الفضل أعزّه الله .

[شيء من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي ، وقال أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال : وكان بعض وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرة في أيّام بني أميّة ، فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المثل في الجاهليّة والإسلام ؟ قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطِيب مائها ، ونُزهة ظاهرها ، تَصلُح للخُفِّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُسْتان ، وبَرٌّ وبَحْرٌ ، مَحَلُّ الملوك ومَزارُهم ، ومسكنُهم ومَثواهم ، وقد قَدِمْتَها ، أصلحك الله ، مُخِفّاً فرجَعْتَ مُثقِلاً ووردَتها[2] مُقِلاًّ فأصارتك مُكثِراً ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وصفتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذّات العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صنيعاً واخرُج من قولك ؛ قال : أفعلُ ؛ فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكها وما صِيدَ من وَحشها : من ظِباءٍ ونَعامٍ وأرانبَ وحُبارى ، وسقاهم ماءَها في قِلالها ، وخَمْرَها في آنِيَتها ، وأجلسهم على رَقمها[3] ، وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة ، ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عَبْداً إلاّ من مُوَلَّديها ومولَّداتها من خَدَمٍ ووصائف ووُصَفاء كأنّهم اللؤلؤ ، لُغَتُهم لُغة أهلها ، ثم غنّاهم حُنين وأصحابه في شِعر عَدِيّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما ، وحَيَّاهم برَياحِينها ، ونَقَّلهم على خَمرها ، وقد شربوا بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيتني استعنتُ على شيء ممّا رأيت وأكلتَ وشَرِبتَ وافترشتَ وشَمَمْت وسَمِعتَ بغير ما في الحِيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفة بلدك ونَصَرْتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروج ممّا تَضَمَّنته ، فبارك الله لكم في بلدكم .

1 يأثره : يرويه .

2 ل : وزرتها .

3 الرقم : ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ .

[المغنّون المشهورون بالحيرة غير حنين]

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغِناء سوى حُنين إلاّ نَفَراً من السِّدرِيِّين يقال لهم : عَباديس ، وزَيد بن الطُّلَيس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن حُمَمَة ، وكانوا يغنّون غناء الحِيرة بين الهَزَج والنَّصْب[1] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوّن[2] منه شيءٌ لسقوطه وأنّه ليس من أغاني الفحول . وما سمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلاّ لمالك بن حُمَمة ، أخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سَعْد .

[عمره ونسبه]

وقال وَكِيع في خبره عن إسحاق حدّثني أبو بِشْر الفَزاريّ قال حدّثني بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال : عاش حُنين بن بَلْوَع مائة سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنّه من جَدِيس ؛ قال وقيل أيضاً : إنّه من لَخْم ؛ وكان هو يزعم أنّه عِباديّ وأخواله من بني الحارث بن كعب .

[غنّى حفيده إبراهيم بن المهديّ وقصّ عليه خبر جدّه مع ابن سريج]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عونٍ العِباديّ ، فأتاني عَوْن بابن ابن حُنين بن بَلْوَع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّةَ أصوات لجَدِّه ، فما استحسنتها ، لأنّ الشيخ كان مشوّه الخَلْق[3] ، طَنَّ الغِناء[4] ، قليلَ الحلاوة ، إلاّ أنّه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه ، فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج : [من الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ... ما بينَ قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكر أنّي سمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ ممّا سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنت في هذا الصوت ، وما هو من أغاني جَدّك ولا من أغاني بلدك ، وإنّي لأعجبُ من ذلك ! فقال لي الشيخ : والصليب والقُربان ما صُنِع هذا الصوت إلاّ في منزلنا وفي سِرْداب لجَدّي ، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمّتي ؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال :

[ضافه ابن سريج متنكّراً فأكرمه]

حدّثني أبي أنّ عُبيد بن سُريج قدم الحِيرة ومعه ثلثمائة دينار . فأتى بها منزلنا في ولاية

1 النصب : غناء يشبه الحداء إلاّ أنّه أرقّ .

2 ل : يذروا .

3 ل : مشتد الخلق .

4 ل : كزّ الغناء .

بِشْر بن مروان الكوفة ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّة ، بلغني طِيبُ الحِيرة وجَودة خَمرها وحُسْن غِنائك في هذا الشعر : [من الوافر]

حَنَتْنِي حانيـاتُ الدهر حتّى | كأنِّي خاتـلٌ يَدْنُـو لصَيْـدِ
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني | ولستُ مُقَيَّـداً أنِّي بقَيْـدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ، ونتعاشر حتى تَنْفَدَ وأَنصرف إلى منزلي . فسأله جَدِّي عن اسمه ونسبه فغيَّرهما وانتمى إلى بني مخزوم ، فأخذ جدّي المال منه وقال : موَفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهَّزناك إليه وردَدنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتَنا ، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها ؛ فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدِّي ولا أحدٌ من أهلنا أنّه يُغنِّي ، حتى انصرف جَدِّي من دار بِشْر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مُغْلَقاً فارتاب بذلك ، ودقَّ الباب فلم يُفتح له ولم يُجبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه ، ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَم ودار ابن سُريج مفتوحاً ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتُل ابنته ؛ فلمّا دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِمَا تداخلَه ، إلى أن سَمِع تَرنُّمَ ابن سريج بهذا الصوت ، فألقى السيف من يده وصاح به ، وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذْق : أبا يحيى ، جُعِلتُ فداءك ، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفِقَها عندنا في حِيرتنا ! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلاّ ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك ، ثم دخل إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَه بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنّه صاغه في ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها ؛ فلمّا أراد الخروج ردّ عليه جدّي مالَه وجَهَّزه ووصلَه بمقدار نفقته التي أنفقها من مكّة إلى الحِيرة ، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع مَن كان في دارنا منه هذا الصوت .

[استقدامه إلى الحجاز ووفاته]

أخبرني عمِّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسَّان بن محمد الحارثيّ قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عبيد بن حُنَين الحِيرِيّ قال : كان المغنُّون في عصر جدِّي أربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابن سريج والغَريض ومعبد ، فكان يبلغُهم أنّ جدِّي حُنَيناً قد غنّى في هذا الشعر : [من الكامل]

هَلاَّ بَكَيْتَ على الشبابِ الذاهبِ وكَفَفْتَ عـن ذَمِّ المَشيبِ الآئبِ
هـذا وربَّ مُسَوِّفِـينَ سَقَيْتُهُمْ من خمـر بابـلَ لـذَّةً للشارِبِ
بَكَـرُوا عَلَـيَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم من ذات كُوب مثل قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجـة مـلءِ اليَدَيْـن كأنّها قِنْدِيـلُ فِصْح في كَنيسة راهِبِ[1]

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منَّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نـزوره ولا نستزيره . فكتبـوا إليـه ووجَّهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثةٌ وأنت وَحدَك فأنت أَولى بزيارتنا ، فشخَص إليهم ، فلمّا كان على مرحلة من المدينة بَلَغَهُم خبره فخرجوا يتلقَّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر حَشْراً ولا جمعاً من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صِيرُوا إليَّ ؛ فقال له ابن سريج : إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لِمولاتي سكينة بنت الحسين عطَفْنا إليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدَلوا إلى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذناً عامّاً فغَصَّت الدار بهم وصعِدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنّهم سألوا جَدّي حُنيناً أن يغنِّيهم صوته الذي أوّله : [من الكامل]

هلاَّ بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ

فغنَّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنّا لنتقدَّمَك ، ولا نُغنِّي قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغنّاهم إيّاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس على السطح وكَثرُوا ليسمعوه ، فسقط الرِّواق على مَن تحته فسَلِموا جميعاً وأُخرِجوا أَصِحَّاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حُنين سرورنا ، انتظرناه مدّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقه إلى مَنِيّته .

[الغناء في الأصوات المتقدّمة]

نسبة ما في الخبر الأوّل[2] من الغناء

صوت

[من الكامل]

وَتَركْتُهُ جَـزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ مـا بينَ قُلَّـة رأسِهِ والمِعْصَمِ

1 فصح في ل : صبح .
2 سقطت من ل .

إن تُغْدِفِي دُونِـي القِناعَ فإنّني ... طَبٌّ بأخـذ الفارسِ المُسْتَلْئِمِ[1]

الشعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيلٍ . ومنها :

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانِياتُ الدهـر حتّى ... كأنّي خاتِـلٌ يَدْنُـو لِصَيْـدِ

قَرِيبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولَسْتُ مُقَيَّداً أنّي بقَيْـدِ

الغناء لِحُنين الحِيريّ ثقيل أوّل . وفيه لإبراهيم المَوْصِلِيّ ماخُوريّ جميعاً عن ابن المَكّيّ ، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصليّ . ونسبة الشعر الذي غَنّاه حُنَينٌ في منزل سُكَينة ، عليها السلام ، يقال : إنّه لعَدِيّ بن زيد ، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنّون إليه . ولَحنُه خفيف ثقيل مُطلق في مجرى البِنصر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

[من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَـرُّقُ الأحبابِ ... يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أَطْرابي

فَظَلِلتُ مكتئباً أُكَفْكِفُ عَبْرةً ... سَحّاً تَفِيضُ كواشِلِ الأسرابِ

لمّا تَنـادَوْا للرحيـلِ وقَرَّبـوا ... بُـزْلَ الجِمال لِطِيَّـةٍ وذَهابِ

كاد الأَسى يَقضي عليك صبابةً ... والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كابي

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . [وقال حَبَشٌ : وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى] . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى . ولمالك ثقيل أوّل بالوسطى . وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حَجَّت في خلافته .

[قصّة ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك بن مروان]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سَلاّم والمُسَيَّبيّ : أنّ بنتاً لعبد الملك بن مروان حجَّت ، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعّده إن ذكرها في شعره بكلّ مكروه ؛ وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرَّض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجّاج . فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت

1 أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع .

له : مِن أين أنت ؟ قال : من أهل مكّة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قالت : حَجَجتُ فدخلتُ مكّة ومعي من الجواري ما لم تَرَ الأعين مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسقُ ابن أبي ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتاً نَلْهو بها في الطريق في سَفَرنا ! قال : فإنّي لا أراه إلاّ قد فعل ؛ قالت : فأْتِنا بشيء إن كان قاله ولك بكلّ بيتٍ عشرةُ دنانير ؛ فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أُحبُّ أن تَكْتُمَ عليّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده : [من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أَطْرابي

وهي طويلة . وأنشده : [من الخفيف]

هاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ واعترتْني نوائبُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً ، يقول فيها : [من الخفيف]

اقْتُلِيني قَتْلاً سريعاً مُريحاً لا تكوني عليّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنها مُحَقَّق جَنَدِيٌّ فهي كالشمس من خلال سَحابِ[1]

ذكر حبشٌ : أنّ في هذه الثلاثة الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيل بالبنصر ، قال : فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفَعتْ إليه ما وعدتْه به .

1 محقق في ل : مرفق .

[17] ـ ذكر الغريض وأخباره

[اسمه وكنيته وسبب لقبه]

الغريض لقبٌ لُقِّب به ، لأنّه كان طَرِيَّ الوجه نَضِراً غَضّ الشباب حَسَنَ المنظر ، فلُقِّب بذلك . والغريض : الطريّ من كلّ شيء . وقال ابن الكلبيّ : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار فسُمِّي به ، وثَقُلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو يزيد[1] .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكِّيِّين : أنّه كان يكنى أبا مروان . وهو مولى العَبلات ، وكان مُوَلَّداً من مُوَلَّدِي البربر . وولاؤُه وولاءُ يحيى قَيْل وسُمَيَّة للثريَّا (صاحبة عُمر بن أبي ربيعة) وأخواتها : الرُّضَيَّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب .

[أخذ الغناء عن ابن سريج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني محمد بن نصر الضُّبَعيّ قال حدّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مسكين . وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سلاّم ، وقد جمعت رواياتهم في قصّة الغريض ، قالوا : كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدفّ ويُوقع بالقضيب ، وكان جميلاً وَضِيئاً ، وكان يُصنِّع نفسه ويُبرِّقها[2] ، وكان قبل أن يُغنّيَ خيّاطاً . وأخذ الغناء في أوّل أمره عن ابن سريج ، لأنّه كان يخدمُه . فلمّا رأى ابن سريج طَبْعَه وظَرفه وحَلاوة مَنطِقه خَشِيَ أن يأخذ غناءه فيغلبَه عليه عند الناس ويفوقه بحسنِ وجهه وجسده ؛ فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى مَوْلياته ، وهنّ كنّ دَفَعنه إليه ليعلّمه الغناء ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده ؛ فشكا ذلك إلى مَولياتـه وعرّفهـنّ غرضَ ابن سريج في تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنّـه حسده على تقدّمه ؛ فقلن له : هل لك في أن تسمع نَوحنا على قَتلانا فتأخذه وتُغنِّي عليه ؟ قال : نعم فافعلنَ ، فأسمَعنه المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي .

---

1 ل : زيد .

2 ل : يترفها .

[كان ينوح للنساء في المآتم]

وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلَّ من سمعه . ولمّا كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا . فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه الغريض فغنّى فيه لحناً آخر . فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدّ عليه وحسده ، فغنّى الأَرمال والأَهزاج فاشتهاها الناس ؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصَّرتَ الغناء وحذفته ؛ قال : نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك .

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة قال : لما غضِب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجَره لحِق بحَوراء وبَغُوم ، جاريتين نائحتين كانتا في شعْب ابن عامر بمكّة ، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما ، فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي ؛ فقالتا له : ما لك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج ؛ فقالتا له : لا أَرقأَ الله دمعك ؛ الزَزْ رأسك بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا ، فإن ضِعْتَ بعدها فأبعدك الله .

[عدّه جرير ضمن الأربعة المشهورين في الغناء]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال : رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول : كان المغنُّون بمكّة أربعة ، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد ؛ فسألناه عن ذاك ، فقال : كان السيِّد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض[1] .

[كان الناس لا يفرّقون بينه وبين ابن سريج]

وكان هناك رجل عالِم بالصناعة فقال : كان الغريض أحْذَق أهلِ زمانه بمكّة بالغناء بعد ابن سريج ، وما زال أصحابنا لا يُفرّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء . قال الزبيريّ وقال بعض أهلي : لو حُكِّمتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرّقت بينهما ، وإنّما تَفضيلي أبا يحيى بالسَّبق ، فأمّا غير ذلك فلا ، لأنّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى ، فكان كأنّه هو ؛ ولذلك قالت سُكينة لما غنّى الغريض وابن سريج : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبّة الهودَجِ

والله ما أُفرِّق بينكما ، وما مَثَلُكما عندي إلاّ كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّ ذلك أحسن .

[كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج]

قال إسحاق : وسمعتُ جماعةً من البُصَراء عند أبي يتذاكرونهما ، فأجمعوا على أنّ الغريض أشجى غِناءً ، وأنّ ابن سريج أَحكمُ صنعةً .

---

1 لم يذكر غير اثنين .

[غنّى الناس بجمع فحسبوه من الجنّ]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال حدّثني بعض أهلي قال : حجَجنا فلمّا كنّا بِجَمْع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أَشْجَى ، فأصغى الناس كلّهم إليه تعجُّباً من حسنه[1] ، فسألت : مَن هذا الرجل ؟ فقيل لي : الغريض ، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّة فقالوا : ما نعرِف اليومَ أحداً أحسنَ غناءً من الغريض ، ويدلّك على ذلك أنّه يعترض بصوته الحاجّ وهم في حجّهم فيُصغون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغنّيَهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يُرى ، ويُسمع صوتُه فترنّم ورجّع صوتَه وغنّى في شعر عمر بن أبي ربيعة : [من الخفيف]

أيّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ ، وتكلّم الناس فقالوا : طائفةٌ من الجنّ حُجّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتِكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَلِيّاً ففؤادي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا[2]
ليت ذا الحجّ كان حَتْماً علينا كلَّ شهرين حِجَّةً واعتِمارا

عَروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن محرز ، ولحنُه من القَدْر الأَوسط من الثقيل الثاني[3] بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريض من رواية حمّاد عن أبيه .

[غنّى هو ومعبد وابن سريج على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أنّ معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكّة ذات ليلة فقالوا : هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّاً عن يونس الكاتب : أنّ أميراً من أمراء مكّة أمر بإخراج المُغنّين من الحَرَم ، فلمّا كان في الليلة التي عزم بهم على

1 ل : واستحساناً .
2 معارا في ل : مطارا .
3 ل : الأوّل .

النَّفي في غَدِها اجتمعوا على أبي قُبَيْس ، وكان مَعبد قد زارهم ، فبدأ معبد فغنّى ، كذا رُوي عن يونس ولم يذكره الباقون : [من الطويل]

صوت

أَترْبَيَّ مِـن أَعْلى مَعَدّ هُدِيتُما أَجِدّا البُكا إنّ التفرُّقَ باكِرُ[1]

فما مُكْثُنا دام الجَمِيلُ عليكما بِثَهْـلان إلاّ أنْ تُـزَمّ الأباعِرُ

عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنّسه ، قال : فتأوّه أهل مكّة وأنُّوا وتمخَّطُوا . واندفع الغريض يُغنّي : [من الخفيف]

أيُّها الرائـحُ المُجِـدُّ ابتِكارا قـد قضى مِن تِهامَةَ الأَوطارا[2]

فارتفع البكاء والنحيب . واندفع ابن سريج يغنّي : [من الخفيف]

جَدِّدِي الوصلَ يا قُريبُ وجُودِي لُمحِـبٍّ فِراقُـه قـد أَلَمّا

ليس بـين الحيـاةِ والمـوتِ إلاّ أن يَـرُدُّوا جِمالَهُـمْ فتُزَمّـا

فارتفع الصراخ من الدُّور بالوَيْلِ والحرب . قال يونس في خبره : واجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعفاهم . وذكر الباقون أنّ الغريض ابتدأ بلَحْنه :

أيُّها الراكب المُجِـدّ ابتِكارا

وتلاه ابن سريجٍ في «جَدِّدِي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يُسْمَع من معبد شيء ولم يقدِر على أن يُغَنِّي .

[غنّت شطباء المغنية على بن جعفر فطرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعديّ قال : حضَرتُ شَطْباء المغنِّية جارية عليّ بن جعفر ذات يوم تُغنِّي : [من الخفيف]

ليس بين الرَّحِيل والبَيْنِ إلاّ أنْ يَرُدُّوا جِمالَهـم فتُزَمّا[3]

فطرِب عليّ بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يُوكُونَ[4] قِرْبة ! ألا يَشُدُّون مَحْمِلا ؟ ألا يُعَلِّقون سُفْرة ؟ ألا يُسَلِّمون على جارٍ ؟ هذه والله العجلةُ .

[لمّا ماتت الثريّا ناح عليها الغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن

---

1 أعلى في ل : عليا .

2 الرائح في ل : الراكب .

3 البين في ل : والموت .

4 أوكى القربة : ربط رأسها .

يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال : قال لي كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ : لمّا ماتتِ الثريّا أتاني الغَريض فقال لي : قل لي شعراً أَبْكِ به عليها ؛ فقلت :

صوت

[من الوافر]

أَلا يــا عينُ مالَكِ تَدْمَعِينا ... أَمِنْ رَمَـدٍ بكِيتِ فتُكْحَلِينا

أَمَ انتِ مريضةٌ تَبْكِين شَجْواً ... فَشَجْوُكِ مثلُهُ أبكـى العيونا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَن رآه بين عمودَيْ سَريرها يَنوح به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكّيّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول .

[ساوت سكينة بينه وبين ابن سُرَيج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن سلام وأخبرنا وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم عن جرير ، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليه السلام حجّت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حُلّةً لامرأة من قريش فلَبِسَها ؛ فقال لها ابن سريج : يا سيّدتي ، إنّي كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسَّنْتُه وتَنَوَّقْتُ[1] فيه ، وخبأته لك في حريرةٍ في دُرج مملوءٍ مِسكاً فنازَعَنِيه هذا الفاسق ؛ يعني الغريض ، فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ، فأيُّنا قَدَّمْتِهِ فيه تقدَّم ؛ قالت : هاته ؛ فغنّاها : [من السريع]

عُوجِي علينــا رَبَّـةَ الهَوْدَجِ ... إنّكِ إلاّ تَفْعَلِــي تَحْرَجِــي

فقالت : هاتِه أنتَ يا غريض ؛ فغنّاها إيّاه ؛ فقالت لابن سريج : أعِدْه ، فأعاده ، وقالت : يا غريض ، أعِده ، فأعاده ؛ فقالت : ما أُشَبِّهُكُما إلاّ بالجَدْيَيْن[2] : الحارّ والبارد لا يُدرى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق في خبره : ما أَشَبِّهُكُما إلاّ باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي علينــا رَبَّــةَ الهَوْدَجِ ... إنّــكِ إلاّ تَفْعَلِـي تَحْرَجِـي

إنِّي أُتِيحــتْ لي يَمانِيَّــةٌ ... إحدى بني الحارثِ من مَذحِجِ

---

1 تنوق في الشيء : جوده .

2 ل : بالجد بين .

نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّه لا نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى بَيْنٍ حبيبٍ قولُهُ عَرِّجِ

عَروضه من السريع ، والشعرُ للعَرْجيّ ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ولإسحاق في الأوّل والثالث ثقيل أوّلٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثاني ثقيل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن ابن المكيّ . ولِعلّويَهْ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . ولحكَم خفيفُ رملٍ عنه أيضاً .

[غنّى عطاء بشعر العرجيّ فردّه عليه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن بِشْر قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عتبة اللّهبيّ عن عبد الوهّاب بن مُجاهد أو غيره قال : كنت مع عَطاء بن أبي رَباح فجاءه رجل فأنشده قولَ العرجيّ :

إنّي أُتيحَتْ لي يمانِيّةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله : [من السريع]

في الحجّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء : بمنًى والله وأهلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيّبها الله وإيّاه عن مشاعره .

[قصّة الأوقص المخزوميّ مع سكران يغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : وَلِيَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزوميّ فما رأى الناس مثلَه في عفافه ونُبْلِه ، فإنّه لنائم ليلة في جَناح له إذ مرّ به سكران يتغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبَّة الهَوْدَجِ

فأشرف عليه فقال : يا هذا شرِبتَ حراماً ؛ وأيقظتَ نِياماً ؛ وغنّيتَ خطأ ؛ خُذْه عنّي . فأصلحَه له وانصرف .

[عطاء بن رباح والأبجر المغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق عن حمزة بن عُتبة اللهبيّ قال : مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فعذَله وقال : شهّرتَ نفسَك بالغِناء وٱطّرَحْتَها وأنت ذو مُروءة ، فقال : امرأته طالقٌ ثلاثاً إنْ برِحْتَ أو أُغنّيَك صوتاً ، فإن قلتَ لي : هو قبيحٌ تركتُه ؛ فقال له عطاء : هات ويحك ! فقد أضررتَ بي ، فغنّاه : [من السريع]

في الحجّ إنْ حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُــه إنْ هــي لم تَحْجُـجِ

فقال له عطاء : الخيرُ والله كلُّه هناك حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشداً فقد برّتْ يمينُكَ .

[ابن أبي عتيق والغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثني المُغِيرة بن محمد قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْويّ قال حدّثني بعضُ المَدَنِيِّين قال : خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه من طُرَف المدينة المَشارِبَ[1] وغير ذلك ، فَلَقِيَ فتًى من بني مَخزُوم مُقبِلاً من بعض ضياعِه ، فقال : يا ابن أخي ، أتَصْحَبُني ؟ قال : نعم ؛ قال المخزوميّ : فمضَينا حتى إذا قرُبْنا من مكّة جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأُذِن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عجوزٌ بربريّة مُختضبة ، لا أَشكّ في ذلك ، وإذا هو الغريض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبي عتيق : تشوّقْنا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : نُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال : ادْع فُلانةَ ، جاريةً له ، فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلَّ خضابَه وغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينــا رَبَّةَ الهَوْدَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأَقمنا عنده أيّاماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير . ثم قال له ابن أبي عتيق : إنّي أريد الشُّخُوص ، فلَم يَبْقَ بمكّة تُحفةُ عَدَنِيّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلاّ أَوقَر به راحلته . فلمّا ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغريض : هيَا هيَا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : ألم تَرْوُوا عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلةَ البدر» ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى ؛ فقال : هذه سِنٌّ لي انتَزَعَتْ فأُحِبّ أن تَدْفِنَها بالبقيع ، فخرجنا والله أخْسَرَ اثنين لم نعتَمِر ولم ندخُل مكّة ، حاملين سِنّ الغريض حتّى دفنّاها بالبقيع .

[غنّى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريض مع قوم فغنّاهم هذا الصوت : [من الطويل]

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقَرّبَني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي

فاشتدّ سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يُكلّموا الغلامَ في الخَلْوة معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارى بصخرة ، فلمّا قضى حاجته أقبل الغلام إلى

---

1 المشارب : جمع مشربة وهي إناء للشرب .

القوم ، وأقبل الغريض يتناول حَجَراً حَجَراً يَقرَع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له : ما هذا يا غريض ؟ قال : كأنّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تَشْهد علينا بما كان منّا إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها عليّ ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

جَرى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبينَها فقرَّبني يــومَ الحِصاب إلى قَتْلِي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما معي فتحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلِي
فقلتُ لهـا ما بـي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يَحمِلُــهُ مِثْلِي

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لعُمَر بن أَبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنصَر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أنّ فيه لَحْناً لمالك ، وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ والهشاميّ وعليّ بن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش . ولابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى عنه .

[كان عمر وجميل يتعارضان في قول الشعر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبيّ والمدائنيّ وابن سلاّم : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارض جميلاً ، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها ، فيقال : إنّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل ، وإنّ جميلاً أشعرُ منه في اللاميّة . وقال الزبير فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَمِيل اللاميّة على قصيدة عمر ، وأنا لا أقول هذا ، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد ، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة مَلْساء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخِذٌ بعضُها بأذناب بعض ، ولو أنّ جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ عليه وعَثَر كلامُهُ به .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مَولى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبـا الحارثِ قَلْبي طائـرٌ فاستمِعْ قَوْلَ رشيدٍ مُؤْتَـمَنْ

قال : شَهِدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأَبْطَح ، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً ؟ قال : نعم ؛ فأنشده قوله: [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبَيْنَها

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ الليالي ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ ؛ وقام مُشَمِّراً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : رأيتُ علماءنا جميعاً[1] لا يشكُّون في أنّ أحسن ما يُرْوى في تعظيم[2] السرّ قولُ عمر : [من الطويل]

ولكــنَّ سِرِّي ليس يَحْمِله مِثْلِي

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن إسماعيل قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال : إنّما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجِناب .

[سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه]

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلاَّس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ : أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

فقُمْنَ وقــد أَفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنّما فَعَلْنَ الذي يَفعَلْنَ مِن ذاك مِن أَجْلِي

صاحَ الفرزدق وقـال : هذا واللهِ الشعرُ الذي أرادتْهُ الشعراء فأخطأَتْهُ وبَكَتِ الديارَ .

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني سِوى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أوّلها : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبينها

صوت

[من الطويل]

قِفِــي البغلــةَ الشهباءَ باللهِ سَلِّمِي عُزَيزة ذاتَ الدَّلِّ والخُلُق الجَزْلِ
فَلَمَّــا تَواقَفْنا عَرَفْــتُ الذي بها كمِثْل الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

1 جميعاً في ل : كلهم .
2 ل : حفظ .

فقُلنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانَة وعليّ بن يحيى ، وقيل إنّه لمالك . ولابن مُحرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنصَر عن الهشاميّ . ولابن سريج في الأوّل ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال . ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبِنصَر . ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

يا أبا الحارثِ قَلْبِي طائرٌ فاستمعْ قولَ رشيدٍ مؤتَمَنْ[1]

ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم غيرَ أن أقتُلَ نفسي أو أُجَنّ

حَسَنُ الوجهِ نقيٌّ لونُهُ طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

عروضه من الرمل ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه لابن عائشة ، وذكر ابن المكيّ أنّه للغريض في الثاني والثالث ، وفيهما رمل يقال إنّه لأهل مكّة ، ويقال : إنّه لعبد الله بن يونس صاحب أَيلَة . وفيه ثقيل أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنّه لابن سريج ، وذكر غيره أنّه لمحمد ابن السِّنْديّ المكّيّ ، وأنّه غَنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان ابن عائشة يُغنّي الهَزَج والخفيف ؛ فقيل له : إنّك لا تستطيع أن تُغنّي غناءً شجيّاً[2] ثقيلاً ؛ فغنّى : [من الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

[قيل إنّه كان يتلقّى غناءه عن الجنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عباية عن مولًى لآل الغريض قال : حدّثني بعض مَوْلياتي وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحَّمْنَ عليه وقُلْنَ : جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقته ، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكنّا نَلْقى من

---

1 قول في ل : أمر . وقد ورد البيت في ترجمة عمر برواية «فائتمر أمر رشيد مؤتمن» وكذلك هو في الديوان .

2 ل : نقيّاً .

الناس عَنَتاً بسببه ، وكان ابن سريج في جِوارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففتَن أهلَ مكّةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته ، فلمّا رأى ذلك ابن سريج نَحّاه عنه ، وكانت بعض مَوْلَياته تُعَلِّمه النِّياحة فَبَرَّز فيها ، فجاءني يوماً فقال : نَهَتْنِي الجنُّ أن أنُوح وأسمعتْني صَوتاً عجيباً فقد ابتنيتُ عليه لحناً فاسمعيه منّي ، واندفع فغنّى بصوت عجيب في شعر المَرَّار الأسديّ : [من الطويل]

حَلَفْتُ لها باللهِ ما بَيْنَ ذي الغَضا وهضْبِ القَنانِ من عَوانٍ ولا بِكْرِ[1]

أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ ومـا نَرى بـه عند لَيْلى من ثوابٍ ولا أجرِ

فكذَّبناه وقلنا : شيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن[2] ، فكان في كلّ يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه ؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكّة في جَمْع لنا سَهِرْنا فيه ليلتنا والغريض يُغنِّينا بشعر عمر بن أبي ربيعة : [من المتقارب]

أمِـنْ آلِ زينبَ جـدَّ البُكُورُ نَعَـمْ فـلأيِّ هواهـا تَصِيرُ

إذ سَمعنا في بعض الليل عَزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفة ذَعَرَتْنا وأَفزَعَتْنا ، فقال لنا الغريض : إنّ في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سمعتُه ، وأُصبح فأَبْنِي عليه غنائي ؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نغمة الغريض بعينها فصدَّقناه تلك الليلة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها . . . . البيتان

عَروضه من الطويل . غنّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال : ولعلُّويَهْ فيه ثقيل أوّل آخر بالبنصر .

ومنها[3] : [من المتقارب]

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ البُكُورُ نَعَمْ فـلأيِّ هواهـا تَصِيرُ

---

1 القنان : جبل لبني أسد .

2 ل : الحسن .

3 الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبعة دار صادر) : 154 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

أبالغَوْر أم أَنْجدَتْ دارُها ... وكانتْ حَديثاً بعهدي تَغُورُ
نَظَرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً ... إليها فكاد فؤادي يَطِيرُ
هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ ... وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسيرُ
ألَمْ تَرَ أنّكَ مستشرفٌ ... وأنّ عدوّك حَوْلِي حضورُ

عروضه من المتقارب . الشعر للنُّميريّ ، وقيل : إنّه ليزيد بن معاوية . والغناء لسِياط خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ؛ أوّله :

هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنّه لابن جامع . وذكر حبش أن فيها لابن محرز ثقيلاً أوّل بالبنصر .

[أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة فغنّاها بشعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصعب الزُّبيريّ : اجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه وحُسن مجلسه وحديثه وتشوّقنَ إليه وتمنّينه ؛ فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ، فبعثَت إليه رسولاً ووعدته الصَّوْرَين[1] لليلة سَمَّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغريض ، فحدّثهنّ حتى وافى[2] الفجر وحان انصرافهنّ ، فقال لهنّ : إنّي والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أَخلِط بزيارتكنّ شيئاً ، ثم انصرف إلى مكّة وقال : [من البسيط]

ألْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا ... قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدا

قال : وانصرف عمر بالغريض معه ، فلمّا كان بمكّة قال عمر : يا غَريض ، إنّي أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهلُه ؛ قال : إنّي قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فامضِ به إلى النِّسوة فأَنشِدْهُنّ ذلك وأخبِرهنَّ أنّي وَجَّهتُ بك فيه قاصداً[3] ؛ قال : نعم . فحمَل الغريض الشعر ورجَع إلى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيِّدتي ومولاتي ، إنّ أبا الخطّاب ، أبقاه الله ، وجَّهني إليك قاصداً ، قالت : أَوَلَيْس في خيرٍ وسرور تركتَه ؟ قال : نعم ؛ قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حَفِظه الله ؟ قال : جُعلت فداك ، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعراً

---

1 الصوران : موضع بالمدينة .
2 ل : رأى .
3 ل : عامداً .

وأمرني أن أُنشِدَكِ إيّاه ؛ قالت : فهاته ، قال فأنشدها : [من البسيط]

أَلْـمِمْ بزينبَ إن البَيْن قد أَفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لئِن كان الرحيلُ غدا

الشعر كلّه ؛ قالت : فيا وَيْحَه ! فما كان عليه ألاّ يرحَل في غده ؛ فوجّهتْ إلى النِّسوة فجمعتْهنّ وأنشدتهنّ الشعر ، وقالت للغريض : هل عَمِلْتَ فيه شيئاً ؟ قال : قد غنّيتُهُ ابن أبي ربيعة ؛ قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ؛ فقالت سكينة : أحسنتَ والله وأحسنَ ابن أبي ربيعة ، لولا أنّك سبقتَ فغنَّيته عمر قبلنا لأَحْسَنَّا جائزتك ، يا بُنانة ، أعطِيهِ بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجت إليه بُنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه ؛ وقالت سكينة : لو زادَنا عُمَر لَزِدناك .

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحِيلُ غَدا

قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً ... وما على الحُرِّ إلاّ الصَّبْرُ مُجتَهِدا

لأختها ولأُخرى من مَناصِفِها ... لقد وَجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[1]

لَعَمْرُها ما أراني إن نَوًى نَزَحتْ ... وهكذا الحبُّ إلاّ مَيِّتاً كَمَدا

عَروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، والآخر خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثقيلٍ بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر عمرو : أنّه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَن يَنْسِبُ هذا إلى مَعبد ؛ وأوّله : [من البسيط]

يـا أمّ طَلْحَةَ إن البَيْنَ قد أَفِدا

وذلك خطأ ، اللحن الذي عَمِله معبد غير هذا وهو :

صوت

[من البسيط]

يـا أمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غَدا

أَمْسَى العِراقيُّ لا يدرِي إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أَو سَجَدا

عروضه من البسيط . الشعر للأحوص ، ويقال : إنّه لعمر أيضاً . والغناء لمعبد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

---

1 مناصف : جمع مِنصف وهو الخادم .

[غنّى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال : حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريّا وأخواتها ونساء أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النسوة عليها فأمَرت لهنّ بكُسوة وألطاف كانت قد أعدّتها لَمن يَجيئها ، فجعلتْ تَخرج كلّ واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مَولَياتُه مع جَواريهنّ الخِلَعُ والألطاف ؛ فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّي منها فإنّها كريمةٌ بنت كرام ، واندفع يغنّي بشعر جميل : [من الطويل]

تذكّرتُ لَيْلى فالفؤادُ عَمِيدُ وشَطّتْ نواهـا فالمَزارُ بعيدُ

فقالت : ويلكم ؛ هذا مولى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلمّا رأته ضحِكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دَعَت له بأشياء أمَرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غَنّيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيءٍ سَمّتْه له ذهب عن ابن سلاّم) قال : فغنّاها في شعر كُثيّر : [من الطويل]

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُن طَرّ شاربي إلى اليوم أُخْفِـي حبَّهـا وأُداجِنُ
وأَحمِـل في لَيْـلى لقـومٍ ضَغِينةً وتُحمَـل في لَيْـلى عَـليّ الضغائنُ

فقالت له : ما عَدَوْتَ ما في نفسي ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلت لأبي عبد الله : وهل عِلمتَ حديث هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريض ذلك ؟ قال : نعم .

[الشعبيّ عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة]

حدّثني أبي قال قال الشعبيّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصعب بن الزبير على سرير جالسٌ والناس عنده ، فسلّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدي على مَرافقه ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعني ، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طلحة فتبعتُه ، فلمّا طعَن في الدار التفتَ إليّ فقال : ادخُل ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجرته وتبِعتُه ، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فإذا حَجَلة ، وإنّها لأوّل حَجَلة رأيتها لأمير ، فقمتُ ودخلَ الحجلة فسمعتُ حركة ، فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجت فقالت لي : يا شَعْبيّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس ، فجلستُ على وسادة ورُفع سَجْف الحجلة ، فإذا أنا بمُصعب بن الزبير ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أرَ زوجاً قطُّ كان أجمل منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شَعْبيّ ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ قال : ومَنْ هي ؟ قلت : سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ؛

قال : لا ، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُنْ طَرَّ شاربي

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فَقُمْ ، فقمتُ . فلمّا كان العَشِيُّ رُحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلّمتُ ، فلمّا رآني قال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مَرافقه ، فأصغى إليّ فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسان قطّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أفتدري لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لتُحدِّث بما رأيت . ثم التفتَ إلى عبد الله بن أبي فَرْوة فقال : أَعطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة[1] القَصّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عُذْرتها ثم هَلك ، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها ، ثم تزوّجها عمر بن عبيد الله بن مَعمر فبَنى بها بالحِيرة ، ومُهِّدت له يوم عُرسه فُرُش لم يُرَ مثلها : سبع أذرع في عرض أربع ، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات ؛ فلَقِيَته مَولاة لها حين أصبح فقالت : يا أبا حَفص ، كَملْتَ في كلّ شيء حتى في هذا . فلمّا مات ناحت عليه وهي قائمةٌ ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً ، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمةً على زوجها عُلم أنّها لا تريد أن تتزوّج بعده ؛ فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك ؛ قالت : إنّه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن في أحد منهم : كان سيِّد بني تَيْم ، وكان أقربَ القوم بي قَرابة ، وأردتُ ألاّ أتزوّجَ بعده ! .

وأخبرني بخبر مصعب والشَّعبيّ وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوانَة قال : خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة ، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبيّ . ثم ذكر باقي الحديث مثله ، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغنِّين . قال ابن عمّار : وأخبرني به داود بن جميل عن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابيّ : قال ابن عمّار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ أنّ الشّعبيّ قال : دخلتُ المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدَنَوت حتى وضعت يدي على مرافقه ، فأصغى إليّ وقال : إذا قمتُ فاتّبعني . ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثلَ الذي تقدّمه .

1 كارة : صرّة الثياب . وقال كارة القصار كناية عن كبرها .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي ... إلى اليوم أُخفِي حُبّها وأُداجِنُ
وأحمِل في ليلى ضغائنَ مَعْشَرٍ ... وتُحْمَل في ليلى عليّ الضغائنُ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغِناء لمعبد ثقيل أوّل بالبِنصر عن حبش . وفيه لحن للغريض .

[كان الغريض إذا غنّى بشعر لكثير قال أنا سريجيّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الغريض إذا غنّى بيتين لكثيّر قال : أنا السُّرَيجيّ حقّاً ، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيّد غنائه .

[قدم يزيد بن عبد الملك مكّة فغنّاه الغريض]

وقَدِمَ يزيد بن عبد الملك مكّة فبعث إلى الغريض سِرّاً فأتاه فغنّاه بهذا اللحن وهو فيهما : [من الطويل]

وإنّي لأَرعى قومَها من جَلالها ... وإن أظهروا غِشّاً نصَحت لهم جَهْدِي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها ... صديقاً ولم أَحمِلْ على قومها حِقْدِي

فأُشير إلى الغريض أن اسكُتْ ؛ وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنِّيني بما يريد ، فأعاد عليه الصوت مراراً ، ثمّ قال : زِدني ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو[2] بن شَأْس الأَسدِيّ : [من الطويل]

فوَانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ... ندِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ
أرادتْ عرارا بالهَوانِ ومن يُرِدْ ... عراراً[3] لعَمْرِي بالهوانِ فقد ظَلَمْ

قال : فطرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديث ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكّة وبِعثَته إلى الغريض سِرّاً قبل أن يُستَخلف ؛ فقلت له : فلِم أُشير إلى الغريض أن يسكت

1 ورد البيت فيما تقدّم برواية مختلفة وتلك هي رواية الديوان .
2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد . وله ترجمة في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة) 338–339 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .
3 ضبط هذا الاسم في المصادر بالقلم بفتح العين وكسرها . انظر اللسان (عرر ، عمم) والشعر والشعراء : 338 والحماسة بشرح المرزوقي : 280 .

حين غنّاه بشعر كثيّر :

وإنّي لأَرْعى قومَها من جَلالها

وما السبب في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثُكَه :

[عمر بن بلال يصلح بين عبد الملك وزوجته عاتكة]

حدّثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبّاً لعاتكة امرأته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأُمّها أمّ كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك ، فغَضِبَت مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب ، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له عمر بن بِلال الأسديّ ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيَتْ ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتباكى . وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتْ إليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلن : ما لك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علِمتْ مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعدَه ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرهما فقَتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به ، فقلت : أنا الوليّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أُعوِّد الناس هذه العادة ، فرجوتُ أن يُنْجِيَ الله ابني هذا على يدها ؛ فدخَلْن عليها فذكَرْنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن إذاً والله يُقْتَل ، فلم يزَلْن حتى دعت بثيابها فأجْمَرَتها[1] ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حُدَيْج الخَصيّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أَقبلت ؛ قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : قد واللهِ طلعتْ ، فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدّ عليها ، فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ ، إنّ أحد ابنيه تعدّى على الآخر فقتَله فأردتَ قَتل الآخر وهو الوليّ وقد عفا ؛ قال : إنّي أكره أن أُعوِّد الناس هذه العادة ؛ قالت : أَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو ببابي ؛ فلم تزل به حتى أخذت برِجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبْرَحا حتى اصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أثَرك ، فهاتِ حاجَتَك ؛ قال : مَزرعة بعُدَّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر :

وإنّي لأرعى قومها من جَلالها

البيتين ؛ فعلِمتْ عاتكة ما أراد . فلمّا غُنِّيَ يزيد بهذا الشعر كَرِهتْه مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أُمّه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنِّيَ به لما كان عَيْباً ،

---

1 أجمر الثياب : بخرها .

فكيف وإنّما هو مثلٌ تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالَمين !

[حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك]

قال أبو عبد الله : وأمّا خبره لما غنّى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس ، فلمّا ورد به وأوصل كتاب الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلّما شكّ في شيء سأل عراراً عنه فأخبره ، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عـراراً إن يكن غيرَ واضِح فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ[1]

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكت ويلَك ! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحِك عبد الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة ، ثم أحسن جائزته وسرّحه .

قال أبو عبد الله : وإنّما أراد الغريض أن يغنّي يزيدَ بمُتَمثَّلات عبد الملك في الأمور العِظام ، فلمّا تبيّن كراهة مواليه غناءه فيما تمثَّل به في عاتكة أراد أن يُعقِبه ما تمثَّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنَّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

وإنّي لأرعَـى قومَهـا مِـن جَلالها وإن أظهروا غِشّاً نصَحتُ لهم جُهدي

ولـو حاربـوا قومـي لكنتُ لِقومها صديقاً ولم أَحمِلْ على قومِهـا حِقدي

عروضه من الطويل . الشعر لكُثيِّر ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لقفا النّجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيه لعَلُّويَهْ ثقيل أوّل .

[خرج إليه معبد بمكّة وسمع غناءه]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدّثني معبد قال : خرجت إلى مكّة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غِنائه في لَحنه : [من الطويل]

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ شادِناً بمكّـةَ مَكْحـولاً أَسِيلاً مَدامعُهْ

---

1 المنكب العمم : الطويل .

وقد كان بلغني أنّه أوّل لحن صنعه وأنّ الجنّ نهته أن يُغنّيه لأنّه فَتَن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسنه ، فلمّا قدمتُ مكّة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله ، فأتيته فقرعتُ الباب فما كلّمني أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أَحَدٌ ؟ قالوا لي : نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إنّي قد أكثرتُ دَقَّ الباب ، فما أجابني أَحَدٌ ؛ قالوا : إنّ الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجِبني أحد ، فقلت : إن نفعني غِنائي يوماً نفعني اليوم ، فاندفعت فغنّيت لحني في شعر جميل : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنْمِـي حبُّهـا ويزيـدُ

فوالله ما سمعتُ حركة الباب ، فقلت : بطَل سِحري وضاع سَفَري وجئتُ أطلب ما هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهّمني[1] لضَعف غِنائي عنده ، فما شعرتُ إلاّ بصائح يصيح : يا معبد المغنّي ، افهَم وتَلَقّ عنّي شعر جميل الذي تُغنّي فيه يا شقيّ البخت ، وغنّى :

صوت
للغريض ولم تُذكر طريقتُه

[من الطويل]

وما أَنْس مِ الأشياء لا أَنْس قولَها وقـد قُرّبَتْ نِضْوي أَمِصْرَ تريدُ[2]
ولا قولها لولا العيونُ التي تَرى أَتيتُـك فاعذِرني فدَتْـك جُدودُ
خَليليّ مـا أُخفي من الوجدِ باطن ودمعي بمـا قلتُ الغداةَ شَهيدُ[3]
يقولون جاهِـدَ يا جميلُ بغزوةٍ وأيّ جِهـادٍ غيرهـنّ أُريـدُ
لكلّ حديـثٍ عندهـنّ بشاشةٌ وكلّ قتيـلٍ بينهـنّ شَهيدُ[4]

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقَصّر إليّ نفسي وعلِمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنّه لَحَرِيّ بالاستتار من الناس تَنْزِيهاً لنفسه وتعظيماً لقَدْره ، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلمّا كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بي : يا معبد ، انتظر أكلّمْك ،

---

1 لم يتوهّمني : لم يعرفني .
2 النضو : المهزول من الإبل .
3 باطن في رواية ظاهر .
4 عندهن في ل : بينهنّ .

فرجعتُ ، فقال لي : إنّ الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي : أتُحِبّ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرع الباب فَفُتِح ، فقال لي : ادخل ولا تُطِلِ الجلوس ؛ فدخلت فإذا شمس طالعةٌ في بيت ، فسلّمتُ فَرَدّ السلام ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً ، فقال : يا معبد ، كيف طرأتَ إلى مكّة ؟ فقلت : جُعِلت فداءك ! وكيف عرفتني ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه قطّ ؟ قال : لَمّا غنّيت عرفتُك به وقلت : إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَني بقولك : [من الطويل]

وما أَنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ قولَها وقد قُرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنّك تريد أن أُسْمِعَك صوتي : [من الطويل]

وما أَنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ شادِناً بمكّة مكحولاً أسِيلاً مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنّه صوتٌ قد نهيتُ أن أُغنّيَه فغنّيتُك هذا الصوتَ جواباً لِما سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدَوتَ ما أردتُ ، فهلْ لك حاجةٌ ؟ فقال لي : يا أبا عَبّاد ، لولا ملالة الحديث وثِقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعْذِر ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنّه لأجلُّ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطنته وقِيافته ، فما رأيتُ إنساناً إلاّ وهو أجلّ[1] منه في عيني .

[خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها]

وذكرتُ جميلاً وبُثينة فقلت : ليتني عرفت[2] إنساناً يُحدّثني بقصّة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمرِ كلِّه في الغناء والشعر . فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهور ، وقيل لي : إن أردتَ أن تُخَبَّرَ بمشاهدته فأتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبرك الخبر ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على رَحله كأنّه جانٌّ فسلّم عليّ ثم قال : مِمّن أنت يا عبد الله ؟ فقلت : أحدُ بني حنظلة ؛ قال : فانتسِب ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخذي الذي أنا منه ؛ ثم سألني عن بني عُذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنّهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ، هل لك في خير[3] تصطنعه إليّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّي لك

1 ل : أعظم .
2 ل : أصبت .
3 ل : معروف .

عليه ؛ فقلت نعم ، ومن أنت أوّلاً ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أُخبرك غير أنّي رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تجد القوم في مجلسهم فتَنشدُهم بَكْرَةً أَدماء[1] تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلاّ استأذنتَهم في البيوت وقلتَ : إنّ المرأة والصبيَّ قد يَرَيان ما لا يَرى الرجال ، فتنشُدهم ولا تَدَع أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلاّ نشَدتها فيه ؛ فأتيتُ القوم فإذا هم على جَزُور يقتسمونها ، فسلَّمت وانتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ الصبيّ والمرأة يَريان ما لا ترى الرجال ، فأذِنوا ؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدُهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حَرّ الشمس وعَطِشْت وفَرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّي التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلاّ ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسي : سوءَةً ، وَثِقَ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تَعدِل مالي ثم آتيه فأقول : عَجَزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخِيَ مؤخّرُه ومقدّمُه ، فسلّمت فرُدّ عليّ السلام ، وذكرتُ ضالّتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلاّ قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجَلْ ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمرٌ من تمر هَجَر ، وقدحٍ فيه لبن ، والصحفة مصريّة مُفَضّضة والقدح مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ؛ فقالت : دونَك ؛ فتجَمَّعْتُ وشربت من اللبن حتى رَوِيتُ ، ثم قلتُ : يا أَمَة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منكِ ولا أَحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشَّرَف[2] ؟ قلت نعم ؛ قالت : فإنّ الشمس غَرَبتْ أمسِ وهي تُطِيف حولَها ثم حال الليل بيني وبينها ؛ فقمتُ وجَزَيتُها الخير وقلت : والله لقد تغدّيتُ ورَوِيتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرة فأطفت بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ ، فأتيت[3] صاحبي فإذا هو متَّشِحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرتَه[4] يُغنّي ، قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلت : ما ورائي من شيء ؛ قال : لا عليك ! فأخبرْني بما فعلتَ ، فاقتصصتُ عليه القصّة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذي صنعتْ ؛ فقال : قد أصبت طَلِبَتك ؛ فعجِبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألني عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح فوصفتُهما له ، فتنفّس الصُّعداء وقال : قد أصبتَ طلبتك ويحك ؛ ثم ذكرتُ له الشجرة وأنّها رأتها تُطيف

---

1 تنشدهم : تسألهم . البكرة : الفتية من الإبل . أدماء : بيضاء .

2 الشرف : المكان العالي .

3 ل : وانصرفت إلى .

4 عقيرة الرجل : صوته .

بها ؛ فقال : حسبُك ! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلي إلى مباركها دعوتُه إلى العشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منّي بِمَزْجَر الكلب ، فلمّا ظنّ أنّي قد نِمتُ رمَقَتُه فقام إلى عَيبة[1] له فاستخرج منها بُرديَن فأتَزَر بأحدهما وتردَّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي فجعلتُ أُخفي نفسي حتى إذا خِفت أن يراني انبطحت ، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجراتٍ قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أَسمع كلامهما فاستترت بهنّ ، وإذا صاحبته عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ ، فقالت : اجلس ؛ فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمِعتُ به قطّ وأبعده من كلّ ريبة ، وسألَتْه مثل مسألته ، ثم أمرتْ جارية معها فقرّبت إليه طعاماً ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت أنشدني ما قلتَ ؛ فأنشدها : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَل ... إلى اليوم يَنْمِـي حبُّهـا ويَزِيدُ

فلم يـزالا يتحدّثـان ، ما يقولان فُحشاً ولا هُجْراً ، حتى التفتت التفاتة فنظرتْ إلى الصبح ، فودَّع كلٌّ واحد منهما صاحبَه أحسن وداع ما سمعتُ به قطّ ثم انصرفا ، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه ؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بني تَميم ، حتى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضأت وصلّيت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثمّ دعوتُه إلى الغداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيبته فافتتحها[2] فإذا فيها سلاح وبُردان ممّا كستْه الملوك ، فأعطاني أحدَهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ذخَرْتُه عنك ، وحدّثني حديثه وانتسب لي ، فإذا هو جميل بن معمَر والمرأة بُثينة ، وقال لي : إنّي قد قلتُ أبياتاً في مُنْصَرَفي من عندها ، فهل لك إنْ رأيتها أن تُنشدها[3] ؟ قلت : نعم ! فأنشدني : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أَنسَ قولَها ... وقد قُرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تُريدُ

الأبيات ، ثم ودّعني وانصرف ، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها ، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم ٱرتديت بالبُردْ وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إنّي جئت أمس طالباً واليوم زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم ، فسمِعتُ جُوَيْرِيَة تقول لها : يا بثينة ، عليه والله بُرْد جميلٍ ؛ فجعلت اثْني على ضيفي وأذكر فضله ، وقلت : إنّه ذكرك فأحسن[4]

1 العيبة : وعاء من الجلد توضع فيه الثياب .
2 ل : مال إلى عيبته فأشخصها .
3 ل : هل لك أن تأتيها فتنشدها .
4 ل : بأحسن .

الذكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لي حتّى أنظر إليك ؟ قالت : نعم ، فلبستْ ثيابها ثم برزت ودعت لي بطُرَفٍ ، ثم قالت : يا أخا بني تميم ، والله ما ثَوْباك هذان بمُشتبِهَيْن ، ودعَتْ بعَيبتها فأخرجت لي مِلحفة مَرَوِيّة مُشْبعة من العُصفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولَتخلَعَنّ مِدرَعَتك ثم لتأْتَزِرَنّ بهذه الملحفة فهي أشبه ببُردِك ؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتها الأبيات فدَمَعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلي بملحفة بثينة وبُرد جميلٍ ونَظرةٍ من بثينة . قال معبد : فجزَيتُ الشيخ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعٍ لغنائه ، وعِلمٍ بحديث جميل وبثينة فيما غنّيت أنا به وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصِدقه ، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبثينة ، ومن الغريض ومنّي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلّها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

[من الطويل]

عَلِقتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليـومِ يَنْمي حُبّهـا ويَزِيدُ
وأَفنيتُ عُمْرِي في انتظاري نوالَها ... وأَفنتْ بذاكَ الدهْـرَ وهـو جَديدُ
فلا أنـا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّهـا فيمـا يَبِيـدُ يَبِيـدُ
وما أَنسَ مِ الأشياءِ لا أَنسَ قولَها ... وقـد قَرّبت نِضْوي أمِصرَ تريدُ
ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... لَزُرتُك فاعذِرْني فدتْـكَ جُدُودُ
إذا قلتُ مـا بي يـا بُثَيْنَةُ قاتِلي ... من الحـبّ قالتْ ثابـتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أَعِشْ به ... تَوَلَّتْ وقالـتْ ذاكَ منـكَ بَعيدُ

عروضه من الطويل ، الشعر لجميل بن معمر ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع ، ولحنه ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانة . وذكر عمرو والهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّل آخرَ للهُذَليّ ، وأنّ فيه خفيف ثقيل يُنسَبُ إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم ، أوّله : «وما أنسَ مِ الأشياء» . وفي الأربعة الأبيات الأُوَل ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة . ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشاميّ .

وأوّلُ هذه القصيدة فيه غناءٌ أيضاً ، وهو موصول بأبيات أُخَرَ : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ رَيْعـانَ الشبابِ جديدُ ودهـراً تَوَلّـى يـا بُثَيْنُ يعـودُ
فَنَغْنَـى كما كنّـا نكـون وأنتـمُ قريبٌ ومـا قـد تَبْذُلِيـن زَهِيدُ
أَلا لَيت شِعْرِي هـل أَبيتَنّ ليلةً بـوادي القُـرى إنّي إذاً لسعيدُ
وهل أَلْقَيَنْ سُعْدى من الدهر ليلةً وما رثَّ من حبل الصفاء جديدُ[1]
فقد تَلْتَقِي الأهواءُ بعـد تَفاوُتٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ

في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر حبش أنّه لإسحاق ؛ وليس يُشبه أنْ يكون له . وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضاً .

[قال ابن أبي ربيعة في شعر له فغيره الغريض باسمه لما غنّاه]

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال حدّثني الوليد بن هشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سلمة المخزوميّ قال : خرجتُ مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ ، فلمّا أَسْحَرْنا قال لي أعمامي : انزل عن نَجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جَمَلَه ، ففعلت ؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غِلاف ، ثمّ ضرب به وغنّى : [من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَـدَوْا فانشَمَرُوا

فقلت لبعض أصحابنا : مَن هذا ؟ قال : الغريض .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَـدَوْا فانشَمَرُوا
على بِغـالٍ شُحَّجٍ قـد ضَمَّهُنّ السفَرُ
فيهـنّ هِنْـدٌ ليتَنِي مـا عُمِّرتْ أُعَمَّرُ
حتى إذا مـا جاءَها حَتْـفٌ أتاني القَدَرُ

عروضه من الرجز . الذي قال عمر :

---

1 ليلة في ل : مرّة .

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ

بالقاف ، فجعله الغريض لما غنّى فيه : «الغريض» يعني نفسه . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ له فيه لحنَيْن . وذكر إسحاق أنّ أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر ، وذكر الهشاميّ أنّ الآخر خفيف رملٍ . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لحن ابن سريج ، وإنّ خفيف الرمل للغريض . وأوّل هذا الصوت في كتاب يونس : [من مجزوء الرجز]

هــاج فؤادي مَحْضَرُ بــذي عُكاظٍ مُقْفِرُ[1]
حتّى إذا ما وازنوا الـ ـمَرْوَةَ حين ائْتَمَرُوا[2]
قيل انزلُــوا فَعَرِّسُوا من ليلكم وانشَمِرُوا
وقولُهــا لأختهــا أَمُطْمَئِــنٌّ عُمَــرُ

[قدم الوليد بن عبد الملك مكّة فصحبه ابن أبي ربيعة وغنّاه الغريض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِيّ : أنّ الوليد بن عبد الملك قدِم مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف ، فقال : هل من رجلٍ عالمٍ يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكَروه فأباه ، ثمّ عاد فذكروه فقال : هاتوه ؛ وركِب معه فجعل يُحدِّثه ، ثم حوّل عمر رداءه ليُصلحه على نفسه ، فرأى الوليد على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة من عند جاريةٍ أُخْرى وجعلتْ تُسارُّني بها ، فغارت التي كنت عندها فعَضَّت مَنكبي ، فما وجدتُ ألَم عَضتّها من لذّة ما كانت تلك تنفُثُ في أُذُني حتى بلغتْ ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تُضحِك به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزِّنا حتى رجع . وكان قد حَمَل الغريض معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً ، فهل لك أن تسمعه ؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أَسمِع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته ؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر ، ومن الناس مَن يرويه لجميل : [من الكامل]

صوت

إنّــي لأحفَــظُ سِرَّكم ويَسُرُّني لــو تعلمــين بصالح أن تُذْكَري

---

1 المحضر : الماء يجتمعون ويحضرون عليه .

2 وازنوا : حاذوا . وائتمروا : تشاوروا .

ويكون يـومٌ لا أَرى لك مُرْسَلاً ... أو نَلتقـي فيـه عـليّ كأشهُرِ
يـا ليتني أَلقَـى المنيّـةَ بَغْتَـةً ... إنْ كان يـومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
مـا كنتِ والوعدَ الذي تَعِدِينَني ... إلاّ كبَـرْقِ سَحابـةٍ لم تُمْطِرِ
تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هذا الغريـمُ لنـا وليس بمُعْسِرِ

عروضه من الكامل . وذكر حبش أنّ الغناء للغريض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبنصر ، قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقْيَتُك ، ووصله وكساه وقضى حوائجه .

[نصيب يصف لنفسه وللشعراء الثلاثة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عَوانة قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال : قدِم نُصَيْب الكوفة ، فأرسلني أبي إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أقرِئْه منّي السلام وقل له : إنْ رأيتَ أن تُهدِي لنا شيئاً ممّا قلتَ ! فأتيتُه في يوم جمعة وهو يصلّي ، فلمّا فَرَغ أقرأته السلام وقلت له ، فقال : قد علم أبوك أنّي لا أُنْشِد في يوم الجمعة ولكن تلْقاني في غيره فأبلُغ ما تحبّ ، فلمّا خرجتُ وانتهيت إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أَتروي شيئاً من الشعر ؟ قلتُ نعم ؛ قال : فأنشدني ؛ فأنشدته قول جميل : [من الكامل]

إنّي لأَحفظُ غَيْبَكم ويَسُرُّني ... لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِي

الأبيات المتقدّمة ؛ فقال نُصَيْبٌ : أمْسِكْ ! أمْسِك ! لله دَرُّه ! ما قال أحدٌ إلاّ دون ما قال ، ولقد نحَت للناس مثالاً يَحتذون عليه . ثم قال : أمّا أصدقُنا في شعره فجَمِيل ، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيّر ، وأمّا أكذبنا فعُمَر بن أبي ربيعة ، وأمّا أنا فأقول ما أَعرف .

[سمع أصوات رهبان في دير فصنع لحناً على مثالها]

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الغريض سمِع أصواتَ رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض مَن معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحناً ؛ فصاغ مِثله في لحنه : [من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي ... لا تَصْرِمِيني إنّني غـادي

فما سُمِعَ بأحسنَ منه .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي ... لا تَصْرِميني إنّـي غادي

جَدّ الرحيلُ وحثّني صَحْبِي وأُريدُ إمتاعـاً مـن الزَّادِ

عروضه من مُزاحَف الكامل . الشعر[1] لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَج .

[غناء إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمَر بن شبّة عن أيّوب بن عباية عن عمرو بن عُقبة ، وكان يُعرف بابن الماشطة ، قال : خرجتُ أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كنّا نحتَشم منه ، وكان محموماً نائماً ، وأحببنا أن نسمع مَن معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعر فيُحسِن ، ونحن نُحِبّ أن نسمعه ، ولكنّا نهابُك ؛ قال : فما عليّ منكم ؛ أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنّى : [من الكامل]

يـا أُمّ بكرٍ حبّكِ البادِي لا تَصْرِميني إنّـي غـادِي
جَدّ الرحيلُ وحَثّني صَحْبِي وأُريد إمتاعـاً مـن الزَّادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يَرقص ويَصيح : أريد إمتاعاً من الزاد ، والله أُريد إمتاعاً من الزاد ، ثم كشف عن أيره وقال : أنا أنيك أمّ الحُمَّى ! قال : يقول لي ابن الماشطة : أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمَّى أحدٌ قبله .

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك .

[هروبه إلى اليمن خوفاً من نافع بن علقمة وموته بها]

وكانت وفاة الغريض في أيّام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنّه مات في خلافة سليمان ، لأنّ الوليد كان ولّى نافع بن علقمة مكّة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان : أنّ نافعَ بن علقمة لمّا وُلِّيَ مكّة خافه الغريض ، وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه ، فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه . قال : فحدّثني رجلٌ من أهل مكّة كان يخدمه : أنّه دفع إليه يوماً

---

1 سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

رَبْعَةً[1] له وقال له : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها لي طِيباً ؛ قال : فصِرتُ بها إليه ، فلقيني نافع بن عَلقمة فقال : هذه رَبْعَةُ الغريض والله ، فلم أقدِر أن أكتُمَه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرته الخبر ؛ فضحك وقال : سِرْ معي إلى المنزل ففعلت ، فملأها طِيباً وأعطاني دنانير ، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأس عليه ؛ فسِرتُ إليه مسروراً فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغي أن أهرب ، إنّما هذه حيلةٌ احتالها عليّ لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليمن ، فكان آخر العهد به .

قال إسحاق فحدّثني هذا المخزوميّ : أنّ الغريض لمّا صار إلى اليمن وأقام به اجتَزْنا به في بعض أسفارِنا ؛ قال : فلمّا رآني بكى ؛ فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبي أنتَ وأُمِّي ! وكيف يَطِيبُ لي أن أعيش بين قوم يَرونَني أحمِل عودي فيقولون لي : يا هَناه ، أتبيع آخرةَ الرَّحْل ! فقلت له : فارجع إلى مكّة ففيها أهلُك ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّما كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطَنتُ[2] هذا المكان ولستُ تاركَه ما عشتُ ؛ قلنا له : فغَنِّنا بشيء من غنائك فتأبّى ، ثم أقسمنا عليه فأجاب ، وعَمَدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخَرَطنا من مُصرانها أوتاراً ، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى في شعر زهير : [من الوافر]

جَرى دَمْعِي فهيَّج لي شُجُونا فقلبي يُسْتَجَنُّ بـه جُنونا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه ؛ فقلنا له : ارجع إلى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقك . ولم نَزَل نُرغِّبه في ذلك حتى أجاب إليه . ومَضينا لحاجتنا ثم عُدنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك ؟ قال : جاءني منذ ليالٍ قوم ، وقد كنتُ أُغنِّي في الليل ، فقالوا : غَنِّنا ؛ فأنكرتُهم وخِفتُهم ، فجعلت أُغنِّيهم ؛ فقال لي بعضُهم غَنِّني : [من مجزوء الوافر]

لقد حَثُّوا الجمالَ ليَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا[3]

ففعلت ؛ فقام إليّ هَنٌ منهم أزَبُّ[4] فقال لي : أحسنتَ والله ! ودَقّ رأسي ، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا ، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُراني إلاّ سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وانصرفنا .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أبي غسّان قال : زعم المكيُّون أنّ

1 ربعة : وعاء الطيب .
2 أوطن المكان : اتّخذه وطناً .
3 لم يئلوا : لم يجدوا موئلاً يعتصمون به .
4 هن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» . والأزب : الكثير الشعر .

الغريض خرج إلى بلاد عَكٍّ[1] فغنّى ليلاً : [من مجزوء الوافر]

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا ركباً كما قـد تجمَعُ السُّبُلُ

فصاح به صائح : اكفُفْ يا أبا مروان ، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا ، وأصبيت سفهاءَنا ، قال : فأصبح ميّتاً .

[رواية أخرى في وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخَطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قَبيلٍ ، يقال له مُحْرز ، عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغريض ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدّثني محمد بن سلاّم عن أبي قبيل ، وهو مولًى لآل الغريض ، قال : شهدتُ مَجْمَعاً لآل الغريض إمّا عُرْساً أو خِتاناً ، فقيل له : تَغَنَّ ؛ فقال : هو ابن زانية إن فعل ؛ فقال له بعض مَواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أَوَكذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به وتمشَّى مِشيةً لم أَرَ أحسن منها ، ثم تَغَنَّى : [من الطويل]

تَشَرَّبَ لـــونَ الرَّازِقيّ بياضُــه أو الزعفران خالط المِسكَ رادعُهْ[2]

فجعل يُغَنِّيه مُقبلاً ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صريعاً ، وما رفعناه إلاّ ميّتاً ، وظَنَنّا أنّ فالِجاً عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : إنّما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَواليه تَغَنّاه فقتَلَتْه الجنّ في ذلك .

نسبة هذه الأصوات

صوت[3]

منها : [من الوافر]

جَرى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونا فقلبــي يُسْتَجَنُّ بــه جُنونــا
أأبكـــي للفِرَاق وكلُّ حـــيٍّ سيبكي حـين يَفتَقِـد القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحــةُ فارقتني ببَيْــنٍ فالرزيَّـــةُ أن تَبِينــا[4]
فقد بانتْ بكرْهي يوم بانتْ مُفارِقــةً وكنــتُ بهـا ضَنِينا

1 بلاد عك : مخلاف باليمن .
2 الرازقي : ثياب الكتّان البيض ، وقيل هو الكتّان نفسه (اللسان) ، وهو غير متّفق تماماً مع سياق البيت .
3 لم نعثر على هذه الأبيات في ديوان زهير بشرح ثعلب .
4 طليعة في ل : ظليمة .

الشعر لزهير ، والغناء للغريض عن حبش ، وقيل : إنّه لدَحمان . وفيه لأبي الورد خفيف رمل بالوسطى [عن حبش والهشاميّ] .

انقضت أخبار الغريض .

ومنها : [من مجزوء الوافر]

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَة

لقد حَثُّوا الجِمالَ لِيَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا

علَى آثارهنّ مُقَلَّـ ـص السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ[1]

وفيهم قلبُك المَتبو لُ بالحسناءِ مُخْتَبَلُ

مُخَفّفةٌ بحَمْلِ حما ئلِ الدِّيباجِ والحُلَلِ[2]

أُسائل عاصماً في السِّرِّ أيْنَ تُراهُمُ نَزَلُوا

فقال هُمُ قَرِيبٌ منـ ـكَ لو نفعوكَ إذ رَحَلُوا

الشعر للحَكَم بن عَبْدَل الأسديّ ، والغناء في اللحن المختار للغريض ، ولحنُه خفيف ثقيل [أوّل] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشاميّ أنّ فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الأوّل . وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحّ فيه أربعةُ ألحان : منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك ، ولحنان في الرمل لابن سريج ومُخارق . وذكر ابن الكلبيّ أنّ فيها لعريب رَمَلاً ثالثاً ، وذكر حبشٌ أنّ فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولابن مِسْجَح رملاً بالبنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر . هذه الألحان كلّها في «لقد حثّوا» والذي بعده .

1 مقلص السربال : مشمره .

2 في هذا البيت إقواء .

[18] ـ أخبار الحكم بن عبدل ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحَكَم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عِقال بن بِلال بن سعد بن حِبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، شاعرٌ مُجيد مُقَدَّم في طبقته ، هَجَّاءٌ خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولة الأمويّة ؛ وكان أعرج أحدب . ومنزله ومنشؤه الكوفة .

[أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيسيّ بواسط قال حدّثنا العُتْبيّ قال : كان الحَكَم بن عبدل الأَسديّ أعرج لا تُفارقه العصا ، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يكتُب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رُسُله[2] ، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل : [من الطويل]

عَصا حَكَمٍ في الدار أوّلُ داخلٍ ... ونحنُ على الأبوابِ نُقْصَى ونُحْجَبُ

وكانتْ عَصا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً ... وهذي لَعمرُ الله أدهَى وأعجبُ

تُطاعُ فلا تُعْصى ويُحْذَرُ سُخْطُها ... ويُرْغَبُ في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها ؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحكةً ؟ واجتَنَبَ أن يكتُب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب الناس بحوائجه في الرِّقاع .

[حبس هو وأبو علية صاحبه]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا الكُرانيّ ، وأخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا

---

1 ترجمة الحكم بن عبدل في السمط : 899 ومصورة ابن عساكر 5 : 208 وتهذيب ابن عساكر 4 : 399 ومختصر ابن منظور 7 : 219 والمؤتلف والمختلف : 242 والوافي 13 : 114 والفوات 1 : 390 ووردت له ترجمة في ابن خلكان 2 : 201 وأخرى في معجم الأدباء 3 : 1185 ، واستغرب محقّق الكتابين ـ إحسان عبّاس ـ ورود هاتين الترجمتين فيهما لأنّ الأولى ليست على شرط ابن خلكان لأنّه لا يعرف سنة وفاته ، وبما أنّ الثانية لشاعر فهي أليق بمعجم الشعراء . وقد اقتبس ابن حمدون من أخباره وأشعاره عن الأغاني في عشرة مواضع وله في حماسة أبي تمام أربع قطع .

2 ل : رسوله .

أبو جعفر القُرَشيّ قال : كان للحَكَم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة ، وكان ابن عبدل قد أُقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَمُ يُحمَلُ وأبو عُلَـيَّة يُقاد ، فلَقِيَهما صاحب العَسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا استقرّا في الحبس نظر الحَكَم إلى عصا أبي عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عصاه ، فضحِك وأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

حَبْسي وحَبْسُ أبي عُلَيَّـ ـةَ من أعاجيب الزمانِ
أَعْمـى يُقـادُ ومُقْعَدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هـذا بِـلا بَصَرٍ هنـا كَ وبي يَخُبُّ الحامِلانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلا ةِ قَرِينَ حُوتٍ في مكانِ
طِرْفِي وطِرْفُ أبي عُلَيَّـ ـةَ دهرَنـا مُتَوافقانِ
مَـنْ يَفْـتَخِرْ بجَـوادِهِ فَجِيادُنـا عُكَّـازتانِ
طِرْفـانِ لا عَلَفاهُمـا يُشْرى ولا يَتَصـاوَلانِ
هَبْنِـي وإيّـاه الحريـ ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

قال : وكان اسم أبي عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحَكَم أيضاً : [من الطويل]

أقول ليحيى ليلـةَ الحبسِ سادِراً ونَوْمِي بـه نَـوْمُ الأَسيرِ المُقَيَّدِ[1]
أَعِنِّي على رَعْـي النجومِ ولَحْظِها أُعِنْـكَ على تحبيرِ شِعْـرٍ مُقَصَّدِ[2]
ففـي حالَتَيْنـا عِبرةٌ وتَفَكُّـرٌ وأَعجبُ شيءٍ حَبْسُ أعمى ومُقْعَدِ
كِلانا إذا العُكَّـازُ فـارقَ كَفَّـهُ يُنِيخ صَرِيعاً أو على الوجه يَسْجُدُ[3]
فعُكّازة تَهْدِي إلى السُّبْل أَكْمَهاً وأُخرى مَقامَ الرِّجل قامت مع اليَدِ

[دولة العرجان]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرَفِيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن بُكَير الأسديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ الأسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال : وَلِيَ الشُّرطَةَ بالكوفة رجلٌ أَعرجُ ، ثم وَلِـيَ الإمارة أمير أَعرج ، وخرج ابن عبدلٍ وكان أعرج ، فلقي سائلاً أَعرجَ وقد تَعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل : [من الكامل]

1 السادر : المتحير .
2 الشعر المقصد : أي في قصائد طويلة .
3 في هذا البيت إقواء .

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والتَمِسْ عَمَـلاً فهَـذِي دَوْلَـةُ العُرْجانِ[1]
لأَميرِنـا وأميرِ شُرْطَتِنـا مَعـاً يـا قَوْمَنـا لِكِلَيْهِمـا رِجْـلانِ
فإذا يكـونُ أميرُنـا ووزيرُنـا وأنـا فـإنّ الرابـعَ الشيطـانُ[2]

فبلغت أبياتُه ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكُفَّ عنه .

وحدّثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال : وَلِيَ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة وضُمَّ إليه رجلٌ من الأشعريّين يقال له سهل ، وكانا جميعاً أعرجَيْن . ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نُعَيم .

[حلم بما أعطاه عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهليّ عن الهيثم الأَحْمَريّ قال : كانت لابن عبدل الأسديّ حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيّأ له الكلام ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنّي رأيتُ لـك رؤيـا ، فقال : هاتِها . فقصَّها عليه ؛ فقال ابن عبدل : وأنـا قد رأيت أيضاً ؛ قال : هاتِ ما رأيت ؛ فقال : [من الكامل]

أَغْفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ مـا كنتُ قبلُ أَنامُها
فَحَبوتَنِـي فيما أرى بوليـدةٍ مَغْنوجـةٍ حَسَنٍ عـليّ قِيامُها
وبِبَدرةٍ حُمِلـتْ إليّ وبغلـةٍ شَهْباءَ ناجيـةٍ يَصِلّ لِجامُها[3]
ليتَ المنابرَ يا ابنَ بِشْر أصبحتْ تُرقى وأنتَ خطيبُهـا وإمامُها

فقال له ابن بشر : إذا رأيتَ هذا في اليَقظة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنّما رأيتُه قُبيلَ الصبح ؛ قال : يا غلام ، ادعُ فلاناً ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة فجاءت ، فقال : أين هذه ممّا رأيتَ ؟ قال : هي هي ؛ وإلاّ فعليه وعليه ؛ ثم دعا له ببَدرة ، فقال : مثلَ ذلك ، وببغلة فركِبها وخرج ؛ فلَقِيَه قَهْرمانُ[4] عبد الملك ، قال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بكَم ؟ قال : بستّمائة ، قال : هي لك ، فأعطاه ستّمائة ، فقال له : أما والله لو أبيتَ إلاّ ألفاً لأعطيتُك ؛ قال : إيّاي

1 التخامع في ل : التحامق . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج .
2 ووزيرنا في ل : ووزيره . وفي هذا البيت إقواء .
3 الناجية : الناقة السريعة . يصلّ لجامها : أي له صوت .
4 قهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

تُنْدِم ! لو أبيتَ إلاّ ستّةً لَبِعتُك .

[هجاؤه محمد بن حسان]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم عن ابن عيّاش عن لَقِيط قال : تزوّج محمد بن حسّان بن سعد التَّميميّ امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس ، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زياد ، فقال ابن عبدل : [من الطويل]

أبـاعَ زيـادٌ سوَّد اللهُ وجهَـهُ عَقِيلَـةَ قـومٍ سادةٍ بالدراهِمِ
ومـا كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابنهُ أبو المسك من أكفاء قَيْس بن عاصِمِ
ولكنّـه ردَّ الزمـانَ على استِـهِ وضيَّع أمرَ المُحْصَنَـاتِ الكرائِمِ
خُذِي دِيَةً منه تكُـنْ لكِ عُـدَّةً وجيئي إلى باب الأمير فخاصمي
فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ خاصمي ولَكنَّما أُلقِيتِ في سجـن عارِمِ[1]

قال : فلمّا بلغَ أهلَها شعرُه أَنِفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسّان عاملاً على بعض كُوَر السَّواد ، فسأله ابن عَبْدَل حاجةً فردَّه عنها ، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ عن محمد بن بِشْر السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت ، فذكر نحواً ممّا ذكره عَمِّي وزاد فيه قال : وكانت المرأةُ التي تزوَّجها مُعاذة بنت مُقاتل بن طَلبة ، فلمّا سمِعَت ما قال ابن عبدل فيها نَشَزَت على زوجها وهَرَبَتْ إلى أهلها ، فتوسَّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

[سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدها من شعره]

أخبرني عَمِّي قال حدّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن عَطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال : سمع ابن عبدل الأسديّ امرأةً وهي تتمشّى بالبلاط تتمثّل بقوله : [من الطويل]

وأُعسِرُ أحيانـاً فتشتَدّ عُسْرَتي وأُدرِكُ ميسورَ الغِنى ومَعِي عِرْضِي

فقال لها ابن عبدل ، وكان قريباً منها : يا أُخَيَّا ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأسديّ ؛ قال : أفَتُثْبِتِينَه معرفةً ؟ قالت : لا ؛ قال : فأنا هو ، وأنا الذي أقول : [من الطويل]

---

1 سجن عارم : حبس كان لابن الزبير ثم للحجّاج . قال ياقوت «ولا أعرف موضعه وأظنّه بالطائف» .

وأُنْعِظُ أحيانــاً فينقدُّ جلدُهُ وأَعذِلُهُ جُهْدِي فلا ينفعُ العَذْلُ
وأَزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتي فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ لــه عَقْلُ[1]
ورُبَّتما لم أَدْرِ مــا حِيلَتِي لــه إذا هو آذاني وغَرَّ بِــه الجهلُ
فآويتُهُ في بطن جارِي وجارتي مكابرةً قُدْماً وإنْ رَغِمَ البَعْلُ[2]

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغِيبَة[3] أنتَ ، فقال : إي والله ، وللتي معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها .

[قدم على ابن هبيرة مستجدياً فأعطاه بعد إلحاح ما أراد]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ قال حدّثنا الهيثم بن عَدِيّ وأخبرني به حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن قال حدّثني أبو خالد الخُزاعيّ الأَسْلَميّ عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفيّ واسطاً على ابن هُبَيرة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال : [من الطويل]

أتيتكَ في أمرٍ مِــنَ آمرِ عَشِيرتِي وأَعْيا الأمورِ المُفْظِعاتِ جَسِيمُها
فإن قلتَ لي في حاجتي أنا فاعلٌ فقد ثَلِجَتْ نفسي وولَّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لَزِمَنِي في حَمالة ؛ قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُناصفوكها ، قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف عليَّ التُّخَمة إن أتممتَها ؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادة ؛ قال : فأعطِني جميعَها سرّاً وامنعني جميعَها ظاهراً حتى تُعوِّد الناس المنعَ وإلاّ فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبون ؛ فضحِك ابن هُبَيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنّه ، ما عَلِمتُ ، حَلاّف مَهِين ؛ فأخذها وانصرف .

[أفنى الطاعون قوماً من بني غاضرة فرثاهم]

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا العَنزِيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأَسديّ قال حدّثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيرُه قالوا : لمّا وقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بني

---

1 يثوب في ل : يكون .
2 قدماً : المضي والإقدام .
3 المغيبة : التي غاب عنها رجالها .

غاضرة ومات فيه بنو زرّ بن حُبَيش الغاضريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضريّ يرثيهم : [من الطويل]

أبعدَ بني زِرٍّ وبعدَ ابنِ جَنْدَلٍ ... وعمرو أُرَجِّي لَذَّة العيش في خَفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نَأمُلُ العيشَ بعدَهم ... ألا إن مَنْ يَبْقى على إثْرِ مَنْ يَمْضي
فقد كان حَوْلي من جيادٍ وسالمٍ ... كُهُولٌ مَساعِيرٌ وكلُّ فَتًى بَضٍّ[1]
يَرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفْعَةً ... أغرُّ كعودِ البانةِ الناعمِ الغَضِّ

[هجاؤه محمد بن حسّان وقد سأله حاجة فلم يقضها]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُحَلِّم قال : سأل الحَكَم بن عبدل أخو بني نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألتَه إيّاها ؛ فردّه ولم يَقْضها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل : [من الوافر]

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتني رَبِّي خِداعاً ... أماتَ اللهُ حَسّانَ بنَ سَعْدِ
فلولا كَسْبُه لَوُجِدْتَ فَسْلاً ... لَئِيمَ الكَسْبِ شأنُكَ شأنُ عَبْدِ[2]
رَكِبتُ إليه في رَجُلٍ أتاني ... كريمٍ يَبْتَغِي المعروفَ عندي
فقلتُ له وبعضُ القول نُصْحٌ ... ومنه ما أُسِرُّ له وأُبْدِي
تَوَقَّ دراهمَ البَكْرِيِّ إنّي ... أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّي
أُقَرِّبُ كلَّ آصرةٍ ليدنو ... فما يزدادُ مِنِّي غيرَ بُعْدِ
فأُقسِمُ غيرَ مُسْتثنٍ يميناً ... أبا بَخرٍ لَتَتَّخِمَنَّ رَدِّي

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأَسَديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ قال حدّثني محمد بن سهل الأسديّ راويةُ الكُمَيت : أنّ الحَكَم بن عبدل الأسديّ أتى محمد بن حسّان بن سعد التَّميميّ وكان على خراج الكوفة ، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه ؛ فقال : أماتني الله إن كنتُ أقدِر أن أَضَع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول : [من البسيط]

1 مساعير : يسعرون نار الحرب . والبض : رخص الجسم .
2 الفسل : المسترذل الضعيف الذي لا مروءة له .

دَعِ الثلاثين لا تَعْرِض لصاحبها ... لا بارَكَ اللهُ في تلك الثلاثينا
لّما علا صوتُــه في الدارِ مُبْتكراً ... كأشتفان يرى قوماً يدُوسُونا[1]
أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطِك اللهُ خيراً مثلَها أبداً ... أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا

قال : فلم يضع له شيئاً ممّا على الرجل ؛ فقال فيه :

رأيــتُ محمــداً شَرِهــاً ظَلُوماً ... وكنــتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتنِــي ربِّــي خِداعــاً ... أمــاتَ اللهُ حَسّانَ بــنَ سَعْدِ
فما صادفتَ في قَحْطان مثْلي ... ولا صادفــتُ مِثلَك في مَعَدِّ
أقــلَّ براعــةً وأشدّ بُخْــلاً ... وألأمَ عنــدَ مسألــةٍ وحَمْدِ
نَحَوْتُ محمــداً ودُخانُ فيــه ... كَريح الجَعْرِ فوقَ عَطِين جِلْدِ[2]
فأُقسمُ غيرَ مُسْتَثْــنٍ يمينــاً ... أبا بَخَـــرٍ لَتَتَّخِمَــنَّ رَدِّي
فلو كنتَ المهذَّبَ مــن تميمٍ ... لَخِفْتَ مَلامَتِي ورَجَوْتَ حَمْدِي
نكَهْتَ عليّ نَكْهــةَ أَخْدَرِيٍّ ... شَتيمٍ أَعْصَلِ الأنيــاب وَرْدِ[3]
فما يدنــو إلى فَمِــهِ ذُبابٌ ... ولــو طُلِيَتْ مَشافــرُه بقَنْدِ[4]
فإن أهديتَ لي من فِيك حَتفاً ... فإنّي كالذي أهديــتَ مُهْدِي

قال محمد بن سهل : وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الداليّة حتى مات وهي طويلة جدّاً . قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِي ليَسوق بغلَه أو حمارَه فيقول : عَدْ * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعْدِ * فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابني محمداً ، فهو عَرَّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً .

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحرِز قال أخبرنا الهيثم بن عَدِيّ قال : دعا أبو المهاجر الحَكَم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغنّي فغنّت ؛ فقال ابن

1 كأشتفان في ل : كاستعار . يدوسونا في ل : يسوقونا .
2 نحوت في ل : فقدت . الجعر : نجو كل ذي مخلب من السباع . والعطين : الجلد المنتن .
3 يقصد بالأخدري : الأسد ؛ والشتيم : الأسد العابس ؛ وأعصل الأنياب : معوجها ؛ والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .
4 القند : عسل قصب السكّر إذا جمد .

عبدل : [من الكامل]

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كرامتي فأهنتَنِي وضربتَنِي لو تَعْلَمُ
عند التي لو مَسَّ جِلْدِي جلدها يوماً بَقِيتُ مخلَّداً لا أَهْرَمُ
أو كنتُ في أَحْمى جهنَّمَ بقعةً فرأيتُها بَرَدَتْ عليَّ جهنَّمُ

قال : فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيْحَك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها مِنِّي ولدٌ .

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسديّ]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : كان عمر بن يزيد الأسديّ مُبَخَّلاً ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك ، وجاءه الحكم بن عبدل الأسديّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تمراً فلم يَدْعُهم إليه ، وذكروا له حاجتَهم فلم يَقضِها ؛ فقال فيه ابن عبدل : [من البسيط]

جِئنا وبين يديه التمرُ في طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفْص ولا كادا
علا على جسمهِ ثوبانِ من دَنَسٍ لُؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

[ابن عبدل يقتضي ديون امرأة موسرة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال : كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت بابن عبدل في دَينها ، وقالت : إنّي امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تُعَرِّض بأنّها تُزَوِّجه نفسَها ؛ فقام ابن عبدل في دَينها حتى اقتضاه ؛ فلمّا طالبها بالوفاء كتبتْ إليه : [من الوافر]

سَيُخطئكَ الذي حاولتَ منّي فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالِي
كما أخطاك معروفُ ابن بِشْرٍ وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان ابن عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله ؛ فقال له : أخمسمائة أَحَبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل ؟ قال : ألف في قابل . فلمّا أتاه قال له : ألف أَحبّ إليك أم أَلْفان في قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً .

[تلطفه في سؤال عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر ، فقال له : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فَرَدَّت عليّ جوابَ رسالتي بِبَيْتَيْ شعرٍ ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت : [من الوافر]

سيخطئكَ الذي حاولتَ منّـي فقطِّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطاكَ معروفُ ابن بشر وكنتَ تعُـدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبد الملك ، ثم قال : لجاد ما أَذْكَرتَ بنفسك ! وأمر له بألفيْ درهم .

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ وحَبيب بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث قال حدّثني عبد الملك بن عفّان قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ ثم الغاضِريّ صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له ، فغبَر عنه شهراً ، ثم التقَيا فقال : يا ابن عبدل ، ما لك تركتَنا وقد كنت لنا زَوَّاراً ؟ فقال ابن عبدل : [من الخفيف]

كنتُ أُثني عليـك خيراً فلمّا أَضْمَرَ القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِب قَنِيتُ حَيائي لم أَقُل غيرَ أن هجرتُـك باسا
لم أُطِق ما أردتَ بي يا ابن مروا نَ سَتَلقــى إذا أردتَ أُناسا
يَقْبَلونَ الخَسيسَ منـك ويُثْنو نَ ثنـاءً مُدَخْمَساً دِخْماسا[1]

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ، ووصَلَه وحَمَله وكساه .

[ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو]

أخبرني الأسديّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال وحدّثني محمد بن معاوية قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال : أراد عمر بن هبيرة أن يُغْزِي الحَكَم بن عبدَل الغاضريّ ، فاعتلّ بالزَّمانة[2] فحُمل وأُلقي بين يديه فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضع عنه الغزوَ وضمَّه إليه وشَخَص به معه إلى واسط ؛ فقال الحكَم بن عبدل : [من الطويل]

لعَمْرِي لقد جرّدتني فوجدتني كثير العيـوب سَيِّىءَ المُتَجرَّدِ
فأعفيْتَنِي لَمـا رأيـتَ زَمانتـي وَوُفِّقْتَ منّـي للقضاء المُسَدَّدِ

فلمّا صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة[3] ، فوهَب له جاريةً من جواريه ، فواثَبَها ليلةَ صارت إليه فنكَحها تسعاً أو عشراً طَلَقاً ، فلمّا أصبحت قالت له : جُعِلتُ فِداك من أيِّ الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرْتم .

1 ثناء مدخمس ودخماس : أي لا حقيقة له .

2 الزمانة : العاهة .

3 الضبعة : شدّة شهوة الفحل .

[أعفاه الحجّاج من الغزو]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت فقال فيه : ضرب الحجّاج البَعْثَ على المُحتَلِمين ومن أَنْبتَ من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرِّد فَتَضمّه إليها وتقول له : «بأبي» جَزَعاً عليه ، فسُمِّي ذلك الجيش «جيش بأبي» ، وأُحضِر ابن عبدل فجُرِّد فوُجد أعرج فأُعفيَ ؛ فقال في ذلك :

لعمري لقد جَرّدتني فوجدتني

البيتين ، وزاد معهما ثالثاً وهو : [من الطويل]

ولستُ بـذي شَيْخَيْن يَلْتَزِمانه ... ولكن يَتِيمٌ ساقطُ الرِّجلِ واليدِ

[تزوّج همدانيّة ولمّا كرهها قال فيها شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفّان قال : تزوّج ابن عبدل امرأةً من هَمْدان فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال : [من الطويل]

تَزوّجتُ هَمْدانيَّةً ذات بهجةٍ ... على نَمَط عاديّةٍ ووسائدِ

لعمري لقد غاليتُ بالمَهْرِ إنّه ... كذاك يُغالَى بالنساء المَواجِدِ

قال : فلمّا دخَل بها كرِهها فقال : [من الوافر]

أَعاذِلتيّ من لَـومٍ دعاني ... أقِـلاّ اللومَ إن لم تَعْذِراني

فإنّي قـد دُلِلتُ على عجوزٍ ... مُبَرقَعـةٍ مخَضّبـةِ البَنانِ

تَغَضّن جلدُهـا واخضرّ إلا ... إذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ

فلمّا أن دخلتُ وحادثَتْني ... أَظَلّتْنـي بيـومٍ أَرْوَنـانِ[1]

تُحدّثني عن الأزمـانِ حتى ... سمعتُ نـداءَ حُـرٍّ بالأذانِ

فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى ... فلمّـا صاحَبـاني طَلّقاني[2]

وأربعـةً نكحتُهـم فماتـوا ... فليت عَرِيف حَيٍّ قد نعاني[3]

1 أروناان : صعب .
2 صاحباني في ل : صابحاني .
3 عريف في ل : عزيف الجنّ .

وقالت ما تِلادُك قلتُ مالي حمــارٌ ظالــعٌ ومَـزادتانِ
وبُــوريٌّ وأربعةٌ زُيُوف وثَوْبــا مُفْـلِسٍ مُتَخَرِّقانِ[1]
وقِطعةُ جُلّــة لا تَمْرَ فيها ودَنّــا عومــةٍ مُتَقابلانِ[2]
فقالت قد رَضِيتُ فسَمِّ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشّاهِدانِ
وما لكِ عندنـا ألفٌ عَتِيد ولا تِسْعٌ تُعَـدّ ولا ثَمانِ
ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهَوانِ

[كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلمّا مات رثاه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأنَس به ويُحبّه ويَستطِيبه ، وأخرجه معه إلى البصرة لمّا وَلِيَها ، فلمّا مات بِشْر جَزِع عليه الحَكَم وقال يرثيه : [من الكامل]

أصبحتُ جَـمَّ بَلابِـل الصَّدْرِ مُتعجِّبــاً لتصــرُّفِ الدَّهــرِ[3]
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتًى ليكون لي ذُخْــراً من الذُّخرِ
ويكــون يُسعــدني وأُسعِـده في كلّ نائبــةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِــرتْ يدايَ به جــاء القَضاءُ بحَيْنِــه يَجْري
إنّي لفِــي هــَم يباكرُنــي منــه وهــمٍّ طــارقٍ يَسْري
فلأَصْبِرَنَّ ومــا رأيــتُ دواً للهــمّ غيرَ عزيمـــةِ الصبرِ
واللهِ مــا استعظمـــتُ فُرْقَتَه حتــى أحاطَ بفضلِـهِ خُبْري

[خرج مع عمّال بني أميّة إلى الشام]

أخبرني ابن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : لمّا ظَفِرَ ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عُمّال بني أميّة خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان ممّن يدخل إلى عبد الملك ويَسْمُر عنده ، فقال لعبد الملك ليلةً : [من البسيط]

يا ليْتَ شِعْرِي وليتٌ رُبَّما نفعتْ هل ابصِرَنَّ بني العَوَّام قد شُمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنّهمُ على البريّــةِ حَتْف حيثمــا نَزلُوا

1 بوري : حصير من قصب . والأربعة الزيوف : أربعة دراهم مزيّفة .
2 الجلة : قفّة كبيرة للتمر .
3 بلابل الصدر : الهموم ، جمع بلبال .

أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ... ذلّت لِعزِّك أقوامٌ وقــد نَكَلُوا[1]

فقال عبد الملك ، ويُرْوى أنّه قائل هذا الشعر :

إن يُمكِنِ اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ ... ومن جُذام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ[2]

نَضْرِبْ جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ... ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائــرَ الأُمَمِ[3]

[يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن رجل من بني أسَد قال : خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة ، وقد أُقيمت الصلاة ، فنزل يُصلّي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشْرفَ النساءُ من السطوح ، فلمّا قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثّل قول الشاعر : [من الكامل]

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً ... إلاّ فَصَمْنَ بساقهــا خَلْخالا[4]

فقالت له امرأةٌ من المُشرِفات : [من الكامل]

ولقــد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفَةً ... كَرَّ المَنِيحِ وجُلْنَ ثَــمَّ مَجالا[5]

فقال يزيد : مَنْ هذه ؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عبدل ؛ فقال : هل تلد الحيّةُ إلاّ حَيَّةً ! وقام خَجِلاً .

[ابن عبدل وصاحب العسس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن عبدل الأسديّ أعرج أحدب ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم ، فلَقيَه صاحب العَسس ليلةً وهو سكران محمول في مَحَفَّة ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال له : يا بغيض ، أنت أعرفُ بي من أن تسألني مَن أنا ، فاذهب إلى شُغلك ، فإنّك تعلمُ أنّ اللصوص لا يخرجون بالليل للسَّرقة محمولين في مِحفّة ؛ فضحك الرجل وانصرف عنه .

1 أقوام في ل : أعداء .
2 جدس : بطن من كندة . وفي رواية جُرَش ، وهي بطن من حمير .
3 سائر في ل : غابر .
4 فصمن في ل : قصمن .
5 المنيح : اسم فرس .

[ابن عبدل يعرض بابن هبيرة حتى أغضبه]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع قال حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عَدِيّ عن ابن عيّاش قال : رأيتُ ابن عبدل الأسديّ وقد دخل على ابن هبيرة ، فقال له : أنشدْني شيئاً . فقال : أُنشدك مَقُولةً أيّها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هذه الأبيات ؛ وهي قديمة وقد تمثّل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويُروى أنّها لأعشى هَمْدان : [من الطويل]

نجمٌ ولا نُعطى وتُعْطَى جُيُوشُهم ... وقد مَلَؤوا مِن مالنا ذا الأَكارِعِ
وقد كَلّفُونا عُدَّةً وروائِعاً ... فَقَدْ وَأَبِي رُعْناكُمُ بالرَّوائِعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من أَلْفِ فَرْسخٍ ... إليكم بمُحْمَرٍّ من الموتِ ناقِعِ

قال : فغضب ابن هبيرة من تعريضه به ، وقال له : واللهِ لولا أنّي قد أمّنتك واستنشدْتُك لضَرَبتُ عُنُقَك .

[كانت له جارية سوداء فولدت ولداً فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال : كانت للحَكَم بن عبدل جارية سوداء ، وقد كان يميل إليها فولَدَت له ابناً أسود ، فكان من أَعْرَمِ الصِّبيان[1] ، فقال فيه : [من الرجز]

يا رُبَّ خالٍ لَكَ مُسْوَدّ القَفا ... لا يَشْتَكِي من رِجْلِه مَسّ الحَفا
كأنّ عَيْنَيْه إذا تَشَوَّفا ... عَيْنا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ أَشْرَفا[2]

[هجا عمر بن يزيد الأسديّ لبخله]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عُمَرُ بن يزيد الأسديّ بخيلاً على الطعام ، فدخل عليه الحَكَم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطِّيخاً ، فسلّم فلم يرُدّ عليه السلام ولم يَدْعُه إلى الطعام ؛ فقال ابنُ عبدل يهجوه : [من البسيط]

في عُمَر بن يزيد خَلَّتا دَنَسٍ ... بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا
جِئْناه يأْكُلَ بِطِّيخاً على طَبَقٍ ... فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عُمر على شُرطة الحجّاج وكان بخيلاً جِدّاً ، فأصابه قُولَنجٌ فحَقَنَه الطبيب بدُهن

1 من أعرم الصبيان : من أخبثهم .
2 النيق : أرفع موضع من الجبل .

كثير ، فانحلّ ما في بطنه في الطَّسْت ، فقال للغُلام : ما تصنع به ؟ قال : أصُبُّه ؛ قال : لا ! ولكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

[ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أبو هَفَّان قال : كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمّد بن عُمَير وكان كلّما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتِبُه هذا يُسارُه ، فوقف وأنشأ يقول : [من الكامل]

ألقيتَ نفسَك في عَرُوض مَشَقَّةٍ وحَصادُ أنفك بالمَناجِل أَهْوَنُ[1]
فبحقّ أُمِّك وهي غيرُ حقيقة باللِّين واللُّطَف الذي لا يُخْزَنُ[2]
لا تُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونَحِّهِ حتى يُداوِي نَتْنَه لك أهونُ
إن كان للظَّرِبان جُحْرٌ مُنْتِنٌ فلَجُحْرُ أنفِكَ يـا محمدُ أنتنُ

[خطب امرأة فأبت فقال يعيّرها]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنَزِيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت قال : خطب ابن عبدل امرأةً من هَمْدان يقال لها : أُمّ رِياح فلم تتزوّجْه ، فقال : أما واللهِ لأفضحنَّكِ ولأُعَيِّرنكِ فقال : [من الطويل]

فلا خيرَ في الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدلٍ ولا في الزواني بعـد أُمِّ رِياحِ
فأَيري بحمدِ الله ماضٍ مُجَرَّبٌ وأمّ رِيـاحٍ عُرْضَـةٌ لِنكاحِي

[ولد له ولد سمّاه بشراً تيمّناً ببشر بن مروان]

قال : فتَحاماها الناسُ فما تزوّجتْ حتى أسنّتْ . وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال : وُلِد للحَكَم بن عبدل ابنٌ فسمّاه بِشراً ، ودخل على بشر بن مروان فأنشده : [من المتقارب]

سَمّيْتُ بِشْراً ببشر النَّدى فـلا تَفْضَحَنِّي بتَصْداقِها
إذا ما قُرَيشٌ قُرَيشُ البِطا حِ عنـد تَجَمُّعِ آفاقِها

---

1 عروض : الطريق في عرض الجبل .

2 باللين في ل : بالبر .

تَسامَتْ قُرُومُهُمُ للنَّدى تُبارِي الرِّياحَ بأَوْراقِها[1]
فمالُكَ أنفعُ أموالِها وخُلْقُكَ أكرمُ أخلاقِها

[اقترض مالاً فدفعه عنه عبد الملك بن بشر]

فأمر له بألفيْ درهم ، وقال : استَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : اقترض ابن عبدل مالاً من التّجار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثاً أنْ يَقضِيَهم المال عند طلوع الهلال ، فلمّا بَقي من الشهر يومان قال : [من المنسرح]

قد باتَ هَمِّي قِرْناً أُكابِدُهُ كأنّما مَضْجَعِي على حَجَرِ
من رَهْبَةٍ أنْ يُرى هلالُ غَدٍ فإنْ رأوْه فحقّ لي حَذَرِي
من فقْدِ بيضاء غادَةٍ كَمُلَتْ كأنّها صورةٌ من الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهليَ الغداةَ ومِن مالي على مثل ليلةِ الصَّدَرِ[2]

فبلغ خبرُه عبد الملك بن بِشْر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفَه له ؛ فقال فيه : [من المنسرح]

لّما أتاه الذي أُصِبْتُ بِهِ وأَنْشَدُوه إيّاه في شِعْرِي
جاد بضِعْفَيْ ما حلَّ من غُرمِي عفواً فزالت حرارةُ الصَّدْرِ
لأَشكرنَّ الذي مَنَنْتَ بِهِ ما دُمْتُ حيّاً وطال لي عُمْرِي

[فضّله الحجّاج في الجائزة على الشعراء]

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجّاج : إنّما شعرُ ابن عبدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع منّي ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله[3] : [من الطويل]

وإنّي لأَسْتَغْنِي فما أَبْطَرُ الغِنَى وأَعْرِضُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي
وأُعْسِرُ أحياناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنى ومعي عِرْضِي

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولستُ بذِي وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتُهُ ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائي ولا أَرْضِي

فقال له الحجّاج : أحسنتَ ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفيْ دِرْهم .

---

1 أوراقها : أموالها .

2 ليلة الصدر : ليلة صدور الناس عن حجّهم ، أي شديد الاضطراب .

3 يبدو أنّ هذه الأبيات من قصيدة طويلة أثبت القالي أربعة عشر بيتاً منها (الأمالي 2 : 261) .

[أحد الأصوات المائة المختارة]

صوت[1]
من المائة المختارة

[من المتقارب]

أَجَـدّ بعَمْـرَةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنَنـا شانُها
فإنْ تُمس شَطَّتْ بها دارُها وبـاحَ لكَ اليومَ هِجْرانُـها
فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطا كأنّ المَصابِيحَ حَوذانُـها[2]
بأحسنَ منهـا ولا مُزْنَـةٌ دَلُـوحٌ تكَشَّفَ إدْجانُـها
وعَمْـرةُ من سَروات النّسا ءِ تَنْفَـحُ بالمسكِ أَرْدانُها

أجدّ : أَسْتَمَرّ . وغُنيانُها : استغناؤها . أم شأننا شأنها : يقول أمْ هي على ما نحِبّ . وشطّتْ : بعُدَت ، قال ابن الأعرابيّ : يقال : شطّتْ وشَطَنَت وشَسَعَتْ وتشسّعتْ وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرت ؛ قال الشاعر :

لا تَتْرُكنّي فيهمُ شَطيرا[3]

ومنه سُمِّي الشاطر . وباح : ظَهَر ؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

أَتَكْـتُمُ حُبَّ سَلْمى أم تَبُوحُ[4]

والرّوضة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير ، وكذلك الحديقة . وقوله :

كأنّ المصابيـحَ حَوْذانُـهـا

أراد كأنّ حَوذانها المصابيح فقلَب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

. . . كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السحابة . والدّلُوحُ : الثقيلة ، يقال : مرّ يَدْلَح

---

1 أبيات قيس بن الخطيم في ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت) : 66–69 .
2 الحوذان : نبات سهليّ طيّب الريح له زهرة حسنة .
3 شطيراً : غريباً .
4 سلمى في ل : ليلى .

بحمله إذا مرّ به مُثْقَلاً . والدَّجْن : إلباسُ الغيم السحاب برَشٍّ ونَدًى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تكشَّف إدْجانُها إذا انكشف السوادُ عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنة بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطَيْن من الكُمّين .

الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

* * * *

الفهرس